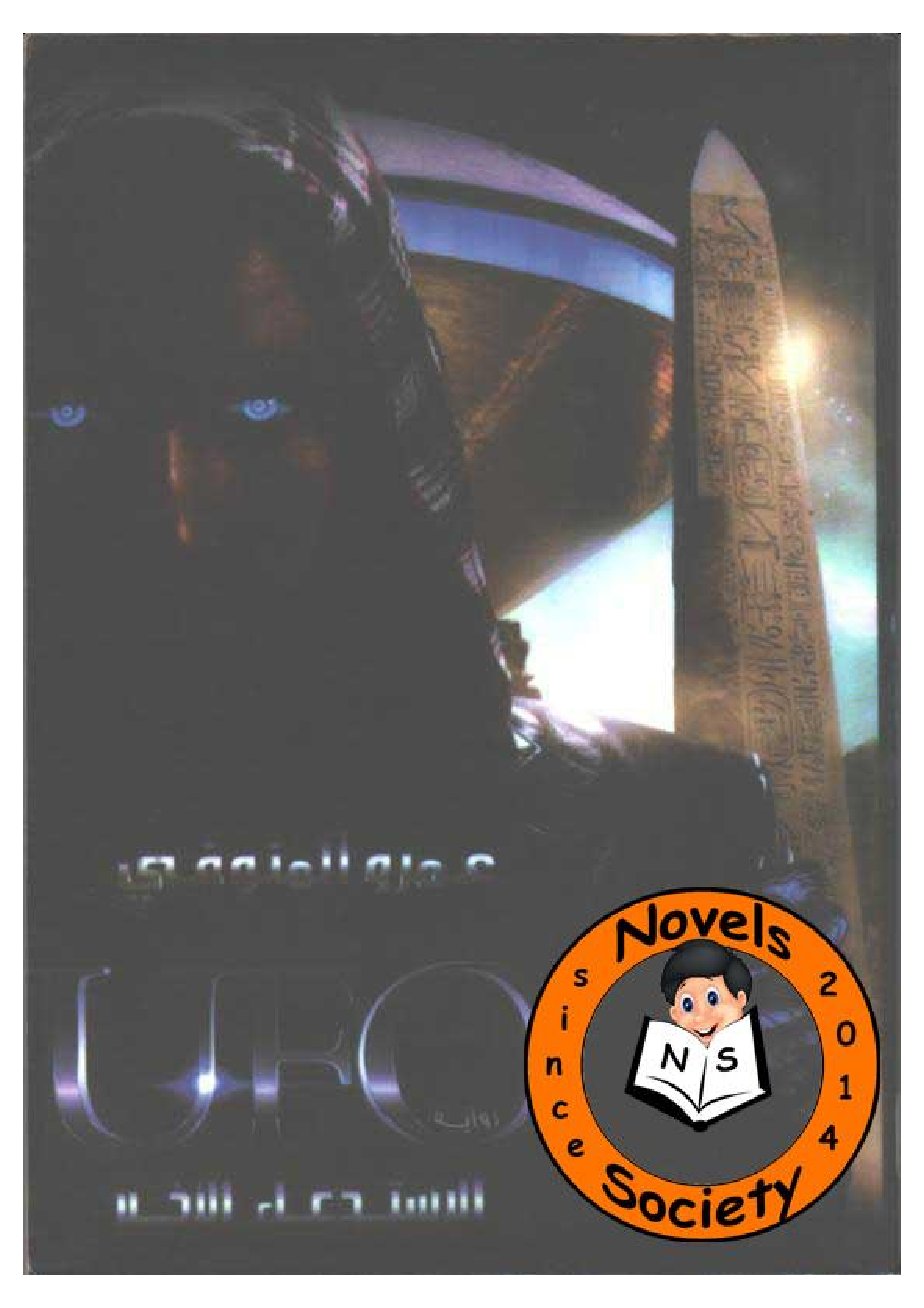


عمرو المنوفي
UFO
رواية
Novels
since
2014
N S
Society

UFO

الاستدعاء الأخير

عمرو المنوفي



الكتاب : الاستدعاء الأخير

المؤلف : عمرو المنوفي

تصميم الغلاف : إسلام علام

تدقيق لغوي : أحمد عبد المجيد

رقم الإيداع : 2013/20380

الترقيم الدولي : 978-977 – 6436 -33- 6

الطبعه الاولي : 2014



20 عمارات منتصر – الهرم – الجيزة

ت- 02-35860372 011-27772007

Noon_publishing@yahoo.com

لم يفصح الكون عن كل أسراره بعد، وهذا شيء جيد للبشرية

المخيف ألا يظل على صمته.

تمهيد

اهتزت الأرض ومعها ارتجفت القلوب وتوترت الأعصاب، ثم أعلنت الأرض عن غضبها العاتي.

كان الأمر مفاجئًا.. بل صاعقًا

لم يستوعبه العامة مباشرة من هول الصدمة، ثم مرت لحظات قليلة قبل أن يدركوا حجم الكارثة المروعة التي تحدث أمام أعينهم، فرصدت العقول ما يحدث، ثم تفاعلت معه.

إنه زلزال.

زلزال عنيف يضرب أرض مصر.. ويرج قلبها النابض.

أي جنون هذا؟!

- إنه شيء لا يصدق!

رددها الآلاف في خوف وهلع.

ولكنه كان جنونًا.. محسوسًا.. وقاتلاً.. ومدمرًا.

لم يصدق العديدون أن الزلازل من الممكن أن تحدث في مصر، وبهذه النكبة. وكأن مرور السنوات من الممكن أن يمحوا حقيقة مخيفة، كحدوث الزلازل، أو أنها – وكما تعرفون – لعنة ذاكرة الشعوب الواهنة الأبدية.

الأمر كان مفزعًا. لدرجة أن بعضهم ردد فاغرًا فاه عن جهل، وربما لصغر سنه: إن مصر خارج نطاق حزام الزلازل.

ولم يكن هذا ليمنع الزلازل من الوقوع أيضًا. فهي لن تخجل من جهلنا بخريطتها الزمنية، وستتوقف عن نشاطها المدمر.

لقد تعرضت مصر عبر تاريخها الطويل لسلسلة لا تنتهي من الزلازل، بدأت منذ عام ١٢١٠ق.م في مدينة أسوان، وآخرها حتى كتابة هذه السطور حدث في عام ٢٠١٠م، وتعرضت منطقة جنوب الصعيد – بما فيها مدينة أرمنت، بلدة الشيخ عبد الباسط عبد الصمد – لهزة أرضية عنيفة بقوة ٣ ريختر مركزها منطقة البحر الأحمر.

والمخيف أن الأمر لم يتوقف عند هذه النقطة، فتوقع العلماء حدوث هزات أرضية أخرى في المستقبل أشد وطأة وخطورة.

وهذه الزلازل المختلفة في القوة كانت لها تأثيرات متباينة ومفزعة، فمنها من هدم المنازل والمنشآت، ومنها من خلّف وراءه ضحايا بالمئات، ومنها من خلّف في القلوب آثارًا نفسية سيئة لم تمحَ رغم مرور الزمن.

ضربت الزلازل أرض مصر في سنوات متعاقبة، ومعها بدأت تغيرات جيولوجية هائلة تحدث في باطن الأرض.

باطن الأرض.. الذي لم يخلُ بعد من الأسرار.

وفي باطن الأرض بجنوب الصعيد، وفي منطقة نائية، كانت المقبرة تقبع هناك.

تنتظر اللحظة المناسبة التي سيأتي فيها تعيس الحظ ليكتشفها، ويخرج ما بها من هول.

المقبرة التي تضم بداخلها أخطر أسرار الحضارة الفرعونية قاطبة، وأكثرها إفزاعًا.

مقبرة سرية بلا نقوش أو زخارف، حاول الكهنة إخفاءها بكل الوسائل المتاحة في عصرهم الغابر، لعظم الشر الذي تداريه بداخل جدرانها المصمتة.

تحتوي هذه المقبرة على عدة صناديق من الذهب الخالص شديد النقاء، وبداخل كل صندوق تقبع قوة من أعظم القوى شرورًا، التي ظهرت على وجه الأرض خلال تاريخها الممتد.

تلك القوى التي كادت أن تتسبب في إبادة الحياة البشرية من فوق ظهر الأرض ذات يوم، لولا أن حاربها الكهنة، وقاموا بالسيطرة عليها وتحجيمها بمساعدة بعض الأصدقاء المجهولين القادمين مما وراء النجوم.

وضع الكهنة في حساباتهم جميع الاحتمالات لعدم عودة هذه القوى الوحشية مرة أخرى بعد أن سيطروا عليها.

فاستعانوا بكل علومهم وقدراتهم غير المسبوقة لحصارها، وأعدوا العدة كي لا تُبعث هذه الشرور من قبورها الذهبية المطلسمة مرة أخرى، ونسوا مع نشوة الانتصار قوى الطبيعة التي لا تُقهر، والتي كثيرًا ما تُغير جميع الحسابات.

كان الزلزال الأخير الذي ضرب جنوب مصر هو من بدأ المأساة، فبرغم ضعف قوته التي لم تتجاوز ٣ ريختر، إلا أنه تسبب في تحرك بعض طبقات الأرض، لم يكن لها أن تتحرك.

وانطلقت قوى الشر من محبسها.

تسبب زلزال عام ١٩٨٤م في ذلك الشرخ الرهيب الذي أطلق القوة من عقالها.

ولكن زلزال عام ٢٠١٠م هو من أطلق سراح الكائنات الطفيلية، لتبدأ خطة الاستعادة.

والفناء.

فناء الجنس البشري.

عندما جاءه الأمر المباشر بالتوجه إلى كوكب الأرض، شعر بتوتر بالغ، إن هذا الكوكب مخيف، وقد توقفت كل رحلات الكواكب الأخرى إليه منذ زمن بعيد، فالشر الناتج عنه كافٍ لتلويث قلب الكون نفسه.

الجزء الأول

أبناء الأرض

النداء الأول

هبط الظلام على الوجود كموسيقى حالمة، ليصبغ شرفات الكون بلون أسود داكن يليق بالمساء، وليدفع بيده الحانية القمر الخجول ليعلو قبة السماء، قبل أن ينثر النجمات في رداء الليل المعتم.

النسيم ساكن، وبقايا حر اليوم تلهب أعصاب شريف منصور، الذي اندفع عائدًا إلى منزله غارقًا في عرق لزج غير محبب؛ يحمل تحت إبطه مجلدًا ضخمًا له غلاف سميك، مارًا بتلك المنطقة النائية الواقعة على أطراف القاهرة القديمة بالقرب من خرطة أبو السعود، وهو في قمة إعيائه وتعبه؛ يجر قدميه جرًا، وهو يلعن حظه التعس الذي جعله يسكن في مثل هذه المنطقة المتطرفة الموحشة، التي يختفي سكانها كالأشباح عند حلول الظلام.

أقرب وسيلة مواصلات تبعد عن منزله بأكثر من نصف ساعة سيرًا على الأقدام، ويوميًا يضطر شريف إلى قطع هذه المسافة صباحًا، ومساءً. ذهابًا، وإيابًا. من وإلى متجر والده القديم، الذي يُطل على الميدان الفسيح في وسط المدينة حتى بلي حذاؤه وصار يؤلمه في المشي، ليتحول الحذاء إلى هاجس آخر من هواجسه العديدة التي لا تنتهي، مذكرة إياه بحظه التعس.

المشكلة الآن أنه لابد وأن يحصل على حذاء جديد ليرأف بقدميه المرهقتين، فالقديم لم يعد يُجدي فيه إصلاح أو ترقيع، وهي فكرة مروعة عندما لا يتوفر الثمن.

لم تكن المنطقة التي يمر عبرها معزولة تمامًا، بل هي قريبة من العمران إلى حد ما، ولكن الفقر يستطيع أن يعزل كونًا بأكمله من خريطة الحياة.

فالتوك توك يصل إلى هذه المنطقة ببساطة، المشكلة هنا أن معظم السائقين يفضلون عدم القدوم إلى هذا المكان النائي لأنه سيقطع طريق العودة خاليًا بدون زبون آخر، وشريف لم يكن لديه فائض من المال ينفقه على رفاهية المواصلات الداخلية، هذا لو قبل السائق القيام بتوصيله في النهاية.

لقد اعتاد الأمر كاعتياده الحزن والنكد، وإن لم يتقبله أبدًا. ولا يملك معه إلا الاعتراض والتذمر، الذي لا يريح قلبًا ولا ينهي مشكلة.

يجلس شريف طوال النهار بداخل متجر والده العتيق، ولا يفارقه إلا من أجل الحصول على كوب شاي من المقهى القريب، أو البحث عن بعض الفكة لزبون لا يحملها.

يمضي عليه النهار غارقًا في قراءة الكتب القديمة، التي يعج بها المتجر، والتي هي أساس التجارة في ذلك المتجر القديم الذي ورثه عن أبيه.

وأما ترون فهي ليست مهنة مربحة جدًا، وإن كانت تدر عليه دخلاً هزيلاً يكفيه بالكاد، كي لا يضطر لسؤال أحد.

في كل مساء وبعد غروب الشمس يغلق شريف متجره، ثم يعود إلى المنزل حاملاً معه همومه، وأحزانه، وكتابًا من تلك الكتب القديمة ذات الغلاف السميك جيد الطباعة - والذي يذكرنا بعشق الأقدمين وتفانيهم في عملهم- والرائحة القوية التي هي مزيج مكتوم من رائحة الصمغ وأحبار الطباعة، ورائحة غريبة نتجت عن اختلاط الكتب، واختلاف الأيدي التي مرت عليها عبر السنين، والتي كان يطلق عليها شريف بينه وبين نفسه «رائحة الزمن».

يحمل شريف كتابه المختار بين يديه النحيلتين بحرص شديد، يقبض عليه بقوة، وكأنه يقبض على كف حبيبته التي طال شوقه إليها، ليأنس به قبل أن ينام.

وفي طريق عودته الموحش كان يمر بالمقابر التي تتوسط الطريق إلى المنزل، فيلقي السلام على موتاه وموتى المسلمين، دون أن يتطلع إلى المقابر نفسها، ودون أن ينتظر إجابة.

فلو أتته الإجابة لخرّ صريعًا من الرعب والمفاجأة.

شعور رهيب بالغربة والوحشة دائمًا ما كان يداهمه ويتغلغل إلى روحه، ويتسبب في اضطرابه كلما مر من أمام هذه المقابر المظلمة، أو وقع بصره عليها، بمظهرها المقبض الموحي، خاصة في مثل هذا الوقت الميت الذي يجعل المكان ككوكب مهجور خالٍ من كل مظاهر الحياة، وكأنه آخر إنسان على سطح الكوكب عليه أن يواجه كل الشرور وحده.

هو يعلم يقينًا أن الموتى لا يعودون إلى الحياة، ليس في هذه الحياة على الأقل، ولكن ماذا عن الأشباح، والأرواح الشريرة، والغيلان التي تتغذى على رفات الموتى؟

الموتى لا يعودون، ولكن ماذا عن كل هؤلاء؟!

لابد وأن أحدًا منهم يعود، وسيقابله يومًا ما، ولن يكون لقاءً سارًا أبدًا.

وبرغم أنه يتحاشى دائمًا النظر إلى المقابر المظلمة، إلا أن حضورها ظل طاغيًا في نفسه، ورهبتها ظلت حاضرة ومسيطرة على كيانه.

إن لديه رصيدًا من الخيال، كافٍ لإقلاق راحة نصف سكان كوكب الأرض.

وكثيرًا ما لام نفسه على جبنها، وعلى خوفها من مخلوقات لم تعد تملك من أمرها شيئًا، حتى أمام دود الأرض الذي يمرح بداخلها دون رادع.

هزته فكرة الديدان التي تمرح في أجساد الموتى، فلعن خياله المريض مرة أخرى، وأخرج من جيب سرواله قطعة من العلكة، أخذ يطحنها في قوة، لتطرد عنه التوتر، وهو يهز رأسه في حركة لا إرادية، وكأنه ينفض تلك الأفكار المشؤومة التي تصر على تعكير صفو ليلته.

بدّل الكتاب الثقيل ليده اليسرى بعد أن كلّت اليمنى، ثم توقف للحظات ليلتقط أنفاسه، وليستعيد رباطة جأشه، وعندما أوشك على بث الطمأنينة بداخل روحه، اكفهر وجهه، وتحفزت كل خلية في جسده، في تلك اللحظة التي سمع فيها صوت الحفيف الموتر للأعصاب، والذي بدا له ولأول وهلة، وكأن هناك من يتسلل من خلفه، في محاولة منه لمباغتته.

حفيف مجهول لا يعرف مصدره ولا يريد أن يعرف ، ولن ينتظر ليعرف.

إن القبور مليئة، بمن دفع حياته ثمنًا للحظة فضول، أو رد فعل متأخر.

دق قلبه في عنف، وتوترت أعصابه بشدة، وكرد فعل لا إرادي ودون أن ينظر خلفه، اندفع في طريقه يعدو مسرعًا، وكأن شياطين الكون كلها تطارده، حتى ابتعد لمسافة كافية شعر بأنها بعيدة عن مصدر التهديد

المجهول، فتوقف يلهث في عنف، مستندًا إلى جذع شجرة صنوبر صلب تقف وحيدة على جانب الطريق، وهو يلعن مجددًا خياله الخصب الذي يعابثه، وهو ينظر خلفه للطريق المظلم الخالي من الخطر، أو من أي كائن حي.

وبرغم أنه لا علاقة لفقره من قريب أو من بعيد بهذا الموقف الذي يتطلب منه قدرًا بسيطًا من الشجاعة والثقة بالنفس والإيمان، إلا أن فكرة الفقر سيطرت عليه تمامًا، وعلى شماعتها ألقى كل مخاوفه، وكأنما وقر في داخله أن الغني لا يخاف، أو أن المال يصنع الشجاعة، وجعله هذا يتساءل في عجز وخنوع بينه وبين نفسه:

– وماذا بيدي لأفعل، والفقر يكبلني ويحاصرني؟

وهنا سنلتمس له بعض العذر، فلا يوجد سبيل آخر يسلكه ليعود إلى منزله إلا هذا الطريق الوعر، وإن كنا نتمنى وجود مثل هذا الطريق الآخر لتنتهي محنته وروعه.

فبرغم مرور سنوات عديدة منذ بدأت رحلته صوب المتجر من هذا الطريق، ومنذ عرف الحقيقة المخيفة لهذه البنايات الصغيرة ذات الشواهد الحجرية، وحقيقة قاطنيها الملفوفين في الأكفان، لاسيما وأنه كان قد تخطى مرحلة الطفولة ودخل لمرحلة الإدراك، إلا أنه لم يألف بعد منظر شواهد القبور

ليلًا، وخاصة عندما يسقط عليها ضوء القمر الفضي البارد، لتثار حوله الظلال، مجسدة أمام عينيه كل مخاوفه القديمة حتى ليكاد يرى في كل ركن عفريتًا، وفي كل ظل شبحًا.

الخيال الواسع نقمة على صاحبه. والقراءة تشحذ الخيال، وهو كان ماكب قراءة لا تنتهي من كتاب إلا لتبدأ في الآخر. لذا فإن كل الهواجس كانت من السهولة بحيث تتحول بداخل عقله لواقع مخيف.

وفي هذا اليوم الكئيب الشبيه بكل أيامه الأخرى. وأثناء قطعه لذلك الطريق غير الممهد الذي يفصله عن منزله، استولت على شريف ثلة من الأفكار السوداء الكئيبة، والتي دائمًا ما تدور في ذهنه عن فقره المدقع، وعن عدم رضاه التام بحالته المادية المتدهورة، أو سخطه الدائم بحكم القدر الذي حرمه من والديه، ومن ميراث ضخم كان يستحقه، لو كانت حالتهم المادية أفضل.

لم يتعلم شريف القناعة بحكم القدر. ولم يكن لديه الاستعداد ليؤمن به

عقيدته مهزوزة وإيمانه باهت. يعيش في عالم من الخيال. تصنعه تلك الروايات التي يقرؤها دون أن يبالي بتلك النواحي الأخلاقية المبثوثة بداخلها بكل مهارة، والتي سعى لها كتاب هذه الروايات. لقد اعتاد القراءة

ليستعيض عن عدم وجود جهاز تلفزيون عنده قبل أن يدمنها، وتصير روتينًا يوميًا.

ودائمًا ما كان يبحث عن الحلول المستحيلة ليغير حاله، مهما كانت بشاعتها أو استحالتها، أو التضحيات التي سيقدمها

كان يحلم بالثراء والرفاهية دون أن يعمل لتحقيق أي منهما، ولولا حاجات جسده التي لا تصبر من طعام وشراب لما قرب من هذا المتجر، ولما حث نفسه على العمل.

هذا وإن كان الجلوس طوال الوقت والقراءة يعتبر عملاً حقيقيًا.

كثيرًا ما كانت تهاجمه تلك الأفكار الشاذة ودائمًا ما كان يستسلم لها، حتى أنه جرؤ ذات مرة بعد أن قرأ كتابًا مترجمًا عن ذلك الشخص الذي باع روحه للشيطان.. ماذا كان اسمه؟! فاوست.. نعم فاوست.

جرؤ على أن يتخيل الفكرة، بل وتمنى كثيرًا أن يعقد مع الشيطان معاهدة مماثلة لما عقدها فاوست، يمنحه فيها الشيطان المال مقابل الطاعة العمياء.

وإمعانًا في الجحود، أخذ شريف يناشد الشيطان كثيرًا وهو في غرفته، ويشعل له الشموع، ويردد بعض العبارات التي قرأها في تلك الكتب

المشؤومة الخاصة بالسحر. التي وجد بعضًا منها في متجر أبيه، ولكن الشيطان لم يتجسد له مرة واحدة ليمنحه ما يريد، وكأنه اكتفى بأن أفقده إيمانه، وأوصله إلى هذه الحالة المتقدمة من الكفر والجحود.

فلعن الشيطان، ولعن فاوست، ثم عاد لكدره وانطوائه.

كثيرًا ما تسيطر على عقله مثل هذه الأفكار الشاذة، ويروح عقله وروحه معها. خاصة وهو عائد ليلاً في طريقه المار عبر المقابر، لقد أورثته رؤية المقابر الدائمة يقينًا بأنه سيذهب إليها عاجلاً أو آجلاً دون أن يحقق أي شيء ذي قيمة في حياته، وأنها قد خلقت لتذكره بتعاسته ومصيره الأسود.

كان صراعه مع الأفكار المتطرفة يسحق عزيمته ويوهن إيمانه، وكانت الفكرة التي تسيطر عليه الآن أثناء قطعه للطريق الذي يقود نحو منزله هي فكرة البعث بعد الموت.

وهل حقًا هناك بعث بعد الموت؟!

كان يناقش الأمر بمنظور عقلي بحت وأفكار لا منطقية، وتذكر تلك المحاورة بين أحد المتدينين وأحد الملحدين، التي قرأها ذات يوم في أحد الكتب التي لا يذكر اسمها أوكاتبها:

الملحد: ما هو رد فعلك عندما، تموت ثم لا تجد حسابًا بعد الموت ولا ملائكة ولا إله، وقد حرمت نفسك من كل متع الحياة.

المتدين: سيكون أهدأ بكثير من رد فعلك، عندما تنكر كل هذا، وتموت لتُبعث وتجد إلهًا وملائكة وحسابًا.

كان الجواب مفحمًا، بالفعل فلا يمكن المقامرة بمثل هذه الأفكار. لا يمكن من الأساس أن تدخل في تحدٍ مع الله.

عبثت في رأسه الكثير من الأفكار، حتى تاهت من بين يديه خيوطها، فأخذ يتابع ظله الممتد أمامه بعين لا ترى، يسبقه تارة ويتخلف عنه تارة، حتى انتهى به الطريق ووصل إلى بوابة المنزل المعدنية الضخمة التي يكسوها الغبار والصدأ، والتي تعطي للمنزل مهابة ورهبة، خاصة مع حجمها الكبير الذي لم يعد مستعملاً الآن في المباني المماثلة.

وهنا نلتمس له العذر من جديد، فلا يصلح منظر هذا المنزل الكئيب، مع عزلته الواضحة، وسط هذا الظلام المخيف، إلا أن يكون مسرحًا لجريمة حدثت أو ستحدث في المستقبل القريب.

يظهر المنزل أمام أعين الفاحصة، وخاصة مع الظلام الذي يحيط به من كل جانب ككابوس يبعث على الخوف والنفور، بنوافذه الخشبية المهشمة،

والتي تلتها العيون المقلوعة، وطلائه المتساقط كمرض جلدي، والملامح البشعة والذي جعله كوجه مجذور أو مريض بالجذام. وما يتبادر إلى الأذهان فور رؤية هذا المنزل، أنه منزل ملعون.

[illegible]!!

لا أحد يعرف.. مجرد شعور محض ولكنه يصل إلى مرحلة اليقين.

شريف نفسه، انتابه مرارًا ذلك الشعور المفزع الموتر للأعصاب، الذي يشبه زحف عقرب على وجهك وأنت نائم، والذي يبعثه شكل المنزل في نفسيته الهشة، دون أن يجد تفسيرًا واحدًا مريحًا لحقيقة هذا الشعور، وتلك الطاقة السلبية التي تبعثها مجرد رؤية المنزل، إلا حظه السيء الذي جعله يتواجد في هذه الحياة.

ورغم أنه قضى عمره كله بداخل المنزل دون منغصات أو أحداث غير طبيعية، لو اعتبرنا أن موت والديه المفاجئ المتتالي أحداثًا طبيعية، فقد ظل ذلك الشعور المقبض جاثمًا فوق صدره ليزيد همومه همًا آخر.

تقدم شريف من بوابة المنزل المعدنية بخطوات وئيدة، ثم أخرج من جيب معطفه الجلدي – الذي لا يخلعه أبدًا صيف شتاء تنفيذًا لوصية أمه

لـ حلة، والتي كانت تعتبر البرد هو أخطر الأمراض. وأشدها فتكًا بالإنسان

- سلسلة المفاتيح، وانتقى منها مفتاح الباب في وجوم.

وما أن أولج شريف المفتاح المختار بداخل الرتاج المغلق، حتى فاجأه صوت نباح أحد الكلاب الضالة أثناء عبوره أمام المنزل، مهشمًا ما تبقى من أعصابه بعد هذه الليلة الملعونة

انتفض شريف مذعورًا كمن لسعه عقرب، وسقطت من اضطرابه سلسلة المفاتيح أرضًا ومعها الكتاب الثمين أثناء استدارته بنصف جذعه إلى الوراء بحثًا عن عدو غامض هيأه له نباح الكلب المفاجئ

وعندما وقع بصره على الكلب، أطلق سبّة قبيحة قبل أن يتناول الكتاب، وسلسلة المفاتيح التي علاها الغبار، ويولج المفتاح مرة أخرى في رتاج الباب بيد راجفة، قبل أن يديره في الرتاج، لينفتح بصرير يشبه عواء الذئب، ليدلف مباشرة إلى الحديقة الصغيرة المحتضرة، التي يضيء الممر بداخلها مصباح أصفر شاحب لم يتلاش ضوؤه حتى الآن، شفقة بصاحب المنزل المعدم

قطع شريف عدة خطوات في الممر المفضي إلى باب المنزل الداخلي وهو يلعن بداخله الفقر الذي جعله لا يجد مأوى إلا هذا المسب الموحش، الذي لم يشعر يومًا بداخله بالأمان

ود شريف كثيرًا لو يترك أنوار المنزل الداخلية مضاءة بانتظاره؛ إلا أن فاتورة الكهرباء برزت أمام طموحاته كوحش مشرع الأنياب التهم كل أمنياته في هذا الموضوع.

فهو قد لا يتناول طعامه لعدة أيام، ولكنه لا يستغني ولو ساعة واحدة عن الكهرباء، والضوء.

ففي الظلام الدامس يوجد ألف وحش متربص، وألف شبح غادر، وفي الظلام تتجسد المخاوف، خاصة وأنه جلب معه الكثير منها، مع أحداث اليوم الغامضة.

(ترى ماهو الشيء مصدر الحفيف الذي كان يتبعه؟

هز رأسه لينفض الفكرة المخيفة من عقله، وهو يردد بينه وبين نفسه:

— أنت مريض نفسي يا شريف.. مريض.

فتح الباب الداخلي بأحد المفاتيح المزخرفة قديمة الشكل، والتي كانت المتدلي من سلسلة مفاتيحه، ثم اتجه مباشرة صوب غرفة النوم، التي أصبحت مع مرور الأيام هي غرفة النوم، والجلوس، والقراءة، والطعام معًا.

وأول ما يلفت نظرك في هذه الغرفة الكئيبة.. أكوام الكتب المكدسة في كل مكان، وطبعًا الرائحة المكتومة الخانقة التي هي مزيج من روائح الكتب القديمة، وبقايا الطعام، ورائحة الخشب المتعفن الرطب.

اعتاد شريف غرفته بكل ما فيها من ملاحظات لا تجعلها قابلة للسكنى، حتى لم يعد يلحظ أو يهتم بالحالة السيئة المتفاقمة التي تتحول إليها الغرفة يومًا بعد يوم. حتى ذلك الشرخ الثعباني الذي تسبب فيه الزلزال الأخير، أصبح من معالم الغرفة، ولم يعد دخيلاً عليها بعد أن اعتاد رؤيته.

فلاعتياد يقتل في الروح كل شيء، حتى الرغبة في حلم جديد.

وتأكيدًا لذلك فبمجرد دخوله الغرفة، وبعد أن أشعل الأضواء، أخرج لفافة الطعام الصغيرة من جيب معطفه، والتي كالعادة لوثت بطانة الجيب الداخلية ببعض بقع الزيت، وتناول منها إحدى الشطائر الباردة، والتهم منها بفتور قضمة صغيرة، ويده الأخرى الخالية تمتد في آلية إلى الرواية، التي أحضرها معه ليفض غلافها، ويبدأ في القراءة.

كان يقضم قضمة من الشطيرة، وينهي صفحة من تلك الرواية الشائقة بطبعتها الأولى غير المنقحة؛ رواية ألف ليلة وليلة.

وتمنى أن يكون علي بابا، ويعثر على المغارة التي تحتوي على تلك الكنوز الهائلة التي لن تمكنه فقط من شراء منزل جديد وإضاءته بالكهرباء، بل تمكنه من بناء مدينة كاملة دون أن يقل رصيده من الكنوز.

وغاص بخياله مع عروس البحر إلى أعماق البحار الغامضة، وحارب من أجلها الوحش الأسطوري؛ بل وتزوجها في النهاية بعد أن تحول بفضل المحار الذي منحته له، وصار قادرًا على التنفس تحت الماء، وظهرت له الخياشيم.

إنها الأمنية التي تملكته بعنف، وظل يحلم بها كحلم يقظة مُلح، هي أن يحصل على المصباح السحري الذي يرقد بداخله الجني خادم المصباح، والذي يستطيع في لمح البصر تحقيق أي أمنية تخطر بباله.

كم يريد مثل هذا المصباح بشدة!!

غاص في الرواية بشدة إلى درجة أنه نسي الشطائر، ولم يفق إلا وضوء القمر الرقراق يتسلل من خصاص النافذة فترك الرواية بصعوبة، ثم استلقى على فراشه نائمًا كلوح خشب دون أن يتحرك، أو يتململ، أو يخشى أن يفوته ميعاد العمل، فاليوم يوم إجازته الأسبوعية التي أقرها لنفسه.

قرر وهو على حافة النوم، أنه بمجرد انتهائه من صلاة الجمعة في المسجد القريب من موقف السيارات، أن يذهب لزيارة قبر والدته، ثم قبر والده، كما كان يفعل دائمًا مع أمه التي كانت لا تنقطع عن زيارة قبر والديها، لكي يقرأ لهما الفاتحة ويدعو لهما بالرحمة والمغفرة.. بل ويشكو لهما من سوء حاله وفقره المدقع، فلم يكن له أي أصدقاء ليلجأ إليهم عندما تختنق روحه، وترتدي الدنيا في عينيه منظارها الأسود.

***

أدى صلاة الجمعة في المسجد القريب من موقف السيارات، والذي يبعد نصف ساعة عن منزله، ثم توجه صوب المقابر، وعندما انتهى إلى قبر أبيه بعد زيارة قبر أمه المنفصل عن قبر أبيه؛ تنفيذًا لوصية جدته بأن تدفن ابنتها البكر معها في نفس القبر، انهمك في وصلة بكاء مرير وشكوى لا تنقطع.

بللت الدموع وجهه وملابسه وروت قطرات منها الأرض بالقرب من باب القبر، فتارة يبكي على رحيلهما، وتارة يبكي على حاله، وتارة يبكي دون سبب واضح؛ اللهم إلا رغبة منه في أن يزيح من فوق صدره بعض الهموم الجاثمة ككابوس لا ينتهي.

المقابر كانت خالية من البشر، كقلب لم يعرف دفءًا، فنادرًا ما يأتي أحد لزيارة موتاه في مثل هذا الحر القائظ الخانق، الذي لا توجد به نسمة هواء

والوحشة، وهذه المقابر لم تحصل بعد على سكان رغم ازدحام المقابر في الجانب الآخر، فالجميع يتشاءم من هذا المكان لسبب مجهول. ربما كان أو هي خرافات العجائز التي لا معنى لها.

جلس شريف وحيدًا مريحًا ظهره إلى جدار القبر المقابل لقبر أبيه، يلفحه الحر، والحرقة الأحزان. يشكو، ويشكو، حتى شعر بالفراغ، وليس الارتياح.

وما أن انتهى من شكواه حتى استوى واقفًا، ونفض الغبار العالق بملابسه، واتخذ طريق العودة بين المقابر، والوجوم والحزن يخيمان على وجهه وقلبه.

وأثناء سيره الوئيد الواهن سمع الحفيف الحاد مرة أخرى، التفت بسرعة ليرى مصدر الصوت المتصاعد المثير للأعصاب، ليلمح ذلك الشيء الصغير الشفاف، المندفع نحوه كقذيفة، ليقفز شريف مبتعدًا في محاولة منه الهرب من ذلك الهجوم الغامض الذي لا تفسير له، ليشعر بعدها بلطمة عنيفة على وجهه، تبعها ألم حاد في حلقه وكأن هناك من يعمل بمنشار ثلم أذنه.

صرخ شريف متألمًا من المفاجأة ومن ملمس تلك الأهداب التي تعبث بداخل فمه، وهو يمد أصابعه عبر أسنانه متتبعًا متسللاً مجهولاً، يحاول احتراق أحشائه عبر حلقه.

اعتصر الألم صدره في قسوة فأصبح الهواء شحيحًا، فشعر باختناق لحظي، مع قشعريرة كهربائية متتالية رفعت حرارة جسده إلى درجة مخيفة، ليجتاحه بعدها، جفاف مريع كاد يحرق حلقه، فجثا على ركبتيه متألمًا باكيًا.

ظل جسده ينتفض لعدة دقائق، قبل أن يستقر ويهدأ، ويزايله الإحساس العارم بالضياع الذي اجتاحه مع عودة الترطيب للسانه وحلقه.

اتكأ شريف على كفيه في وضعية الحبو، وهو يتطلع حوله كالمجذوب، وعلى وجه نظرة ذهول اختلطت بعدم فهم:

– ماذا يحدث لي؟!

قالها في دهشة ثم عاد يستطرد:

– هل أصابني مرض مفاجئ، أم هي الذبحة الصدرية التي يتحدثون عنها؟!

لم يكن يذكر أي شيء عن ذلك الشيء الشفاف الذي هاجمه، وكأن تلك الذكريات مُحيت من عقله بطريقة غامضة.

نظر نحو السماء بغضب، وهو يتساءل صارخًا:

– الفقر والمرض.. الفقر والمرض!

وأم الدفع يضرب الأرض بقبضتيه، وهو يصرخ من جديد:

– لماذا.. لماذا؟! أي جرم ارتكبته لأستحق كل ما يحدث لي؟!

ثم انهار ساقطًا فوق الأرض وأخذ يبكي بحرقة ودون انقطاع.

ربما فقد الوعي لدقائق وربما لا، ولكنه بعد عدة دقائق انتفض واقفًا، وعاود سيره بين المقابر في اتجاه طريق العودة نحو منزله، وقد اكتسى وجهه بسواد الحزن.

وأثناء سيره المحبط وسط المقابر سمع النداء لأول مرة.

سمع صوتًا ما..

صوتًا يدعوه.. لأمر مخيف، بل مفزع..!

يدعوه...!

لنبش قبر والده.

صوت قاسٍ قاهر.. يتغلغل بداخله ليحول الطلب إلى احتياج ملح..!!

نداء مخيف غريب جعله يتساءل هل سمعه بأذنيه، ام دوى داخل عقله دون صوت؟!

تجاهل ذلك الخاطر الرهيب الأقرب إلى الهلاوس بصعوبة ومضى إلى منزله مطأطئ الرأس كسير الفؤاد يجتر ذكريات الوحدة، والفقر، والحزن، وأخيرًا المرض. هز رأسه في بأس وهو يتساءل عن حقيقة هذا النداء هل سيصل للحافة الأخرى؟!

هل اقترب من الجنون..؟!

لقد سحقه الفقر، وهاجمه المرض، وهاهو الجنون يتقدم نحوه بخطوات واثقة.

أي مصير هذا الذي ينتظره؟

أي ذنب ارتكبه في حياته ليحدث له كل هذا؟!

زاد من سرعة خطواته كي يعود لمنزله، مع رغبة ملحة للاستسلام للنوم كي يمر هذا اليوم المشؤوم، وهو يتحسس صدره ليبحث عن علامة مميزة تخبره بحقيقة ما أصابه من مرض، وكأن للذبحة الصدرية علامة مشابهة..!!

للحظة شعر بأن هناك حركة محمومة تحت جلده، وكأن الدماء تغلي في مكان محدد منه، ولكنه عندما عاود البحث والتدقيق لم يجد شيئًا فواصل مسيرته، وهو موقن بكونه على حافة الجنون.

قطع نصف الطريق بقلب واجف مثقل بالهموم، وهو يمني نفسه بانتهاء النصف الآخر ليعود لفراشه.

إذا كان واهمًا فالأمر لم ينتهِ معه عند هذا الحد، ولا يبدو بأنه سينتهي على خير بأي حال من الأحوال.

في منتصف الطريق غير الممهد الخالي من المارة الذي يفصل بين منزله، وبين المقابر رآه هناك.

منتصبًا، منفوش الشعر، يعترض طريقه كالطود، ويكشر عن أنياب حادة والزبد يسيل من شدقيه في جشع، وعيناه المخيفتان تلمعان ببريق وحشي مخيف.

كان كلبًا ضخمًا بادي الشراسة يفوقه طولاً وعرضًا..!!

بعث منظره المخيف الرجفة في جسده، فتوقف شريف عن الحركة تمامًا.

التقت عينا شريف بعينيّ الكلب الزجاجيتين، فأصابت شريف رعدة قوية، جعلته يرتجف كذيل ثعبان مقطوع.

لم يكن شكل الكلب غريبًا أو مختلفًا عن غيره من الكلاب، ولكن ضخامته أعطته مظهرًا مروعًا غير أرضي، ضخامة مبالغ فيها مع نظرة مخيفة مليئة

بالوعيد والفهم، نظرة ليست حيوانية بالكامل، نظرة تدل على أن الكلب يعرف جيدًا ما يريد!

النقطة التالية هي التي زلزلت عقل وكيان شريف، وجعلته يلعن قدرته على الملاحظة:

فالكلب الذي يطارده لم يكن له ظل منعكس، ولم يكن يترك أثرًا على الأرض خلفه.

تملك شريف روع شديد من هذه الملاحظة، والتي لا يمكن أن تمر مرور الكرام، واندفع يستعيذ بالله من الجن والشياطين.

التقت عيناه مجددًا بعينيّ الكلب المشتعلتين، وعقله يكاد يحترق من التفكير بحثًا عن مخرج، دون أن يلوح في الأفق أي أمل.

كان الكلب يرمقه بود غريب، وكأنه يعرفه، أو يألفه بشكل مخيف.

لم يكن يدري ماذا يفعل؟!

فقد توقف عقله عن التفكير تمامًا، وتصلبت أعضاءه، وكأنما صُبت فوقها طبقة أسمنتية سريعة التماسك ثبتته بالأرض. وبدا وكأن الأمر سيستمر إلى الأبد، نظرات متبادلة دون رد فعل منطقي واحد.

لم أفقده الخوف، الذي رفع دقات قلبه إلى ألف ضعف، وجعل تلك الغدة القابعة فوق كليته، والمسؤولة عن إفراز الإدرينالين بالعمل بطريقة محمومة أشبع أطنانًا منه، ليتحول الخوف مع الوقت، ومع كمية الإدرينالين القادرة على إحياء قلب فيل ميت، إلى رد فعل إيجابي فعال، وقد منحته غريزة البقاء طاقة هائلة إضافية.

فقط توقف اللحظات القادمة على حسن تصرفه.

أصبح الفرار هو الشيء الواقعي والحتمي والمنطقي، والذي لا بديل عنه. ودون لحظة واحدة ضائعة اتخذ شريف قراره، وفجر ذلك النشاط المتوتر في كل كيانه رغبته في النجاة، فما أن استلمت قدماه إشارة مخه التي تحثها على الحركة، حتى انطلق يعدو هاربًا مرة أخرى في طريق المقابر، وكأنه الإنسان الأخير فوق الأرض والذي يحاول اللحاق بالسفينة الفضائية الأخيرة، والنازحة نحو كوكب البشر الجديد.

وكما هو متوقع انطلق الكلب المخيف خلفه، والزبد يتساقط من شدقيه بطريقة مفزعة ليتلاشى في الفراغ، فانطلق شريف يعدو يمينًا ويسارًا، والكلب يحاصره من كل اتجاه كقدر لا فكاك منه، حتى عاد به إلى المقابر من جديد.

المقابر التي لا يمكن أن تكون ملاذًا آمنًا حتى في وضح النهار.

لم يهاجمه الكلب، ولم يصبه منه أدنى سوء، رغم قدرة الكلب الواضحة على الفتك به، وكأن الكلب لا يرغب في إيذائه بمقدار رغبته في إبقائه في المقابر.

وعندما لم يجد شريف فائدة من الهرب، ووجد نفسه يعود من جديد ليتوقف عند نفس المكان الذي يقع فيه قبر أبيه رغمًا عنه.

انقبض قلبه وأخذ يدق في عنف ودون توقف.

ودون مقدمات عاد النداء من جديد ليتردد داخل رأسه بطريقة محمومة، ليحثه على نبش قبر أبيه، مع شعوره بتعاظم تلك الحركة الغريبة أسفل جلد صدره.

كان الأمر مخيفًا أكثر منه مؤلمًا.

أمسك رأسه بين كفيه، وهو يحاول طرد ذلك الصوت المخيف من عقله، دون جدوى.

كانت لهجة الصوت آمرة.. مسيطرة.. حارقة.. مؤلمة.

ولكنه قاوم، وقاوم، وقاوم.. حتى لم يعد عقله قادرًا على التحمل.

فسقط على الأرض متكورًا على نفسه في وضع الجنين.. ثم تمالك كل إرادته وصرخ:

- لا!!!!!!!!!.

ومع انتهاء صرخته راح الصوت يخفت، ويخفت، ويخفت، حتى تلاشى تمامًا من رأسه، وتوقفت تلك الحركة الغريبة تحت جلد صدره، وعندما تحسس صدره لم يجد أثرًا لأي شيء غريب.

كان غاضبًا، تائهًا، خائفًا، منهكًا.. لا يعرف من الذي يلعب معه هذه اللعبة المبهمة ولماذا؟

جلس شريف مسندًا ظهره مرة أخرى إلى جدار القبر المقابل لقبر أبيه، وهو ينظر حوله باحثًا عن الكلب الذي اختفى دون أدنى أثر، وكأنه شبح مخيف ظهر من العدم وعاد إليه.

أطلق زفرة خلاص عالية، ونظر للقبر محدثًا جدرانه الهرمة:

- أي سر تخبئه بداخلك أيها القبر الصموت؟!

- أمصر على تعذيبي حتى بعد موتك يا أبي؟!

وهدر صوته وهو يقول:

- لماذا!!!!!!!!؟!

ثم صمت صوته لحظات، وعاد يستطرد بحرقة:

م أكن يومًا ابنًا عاقًا، أو ناكرًا للجميل..!!

انطع لم يحصل على أي إجابة فزفر في حنق من جديد، وهو يتنفس في عمق محاولاً أن يعود بنفسه لاستقرارها، وهدوئها السابقين.

لملم شتات نفسه بصعوبة، ثم عاد إلى المنزل بخطوات بطيئة كئيبة متوترة

وما إن دلف إلى غرفته أخيرًا، حتى ألقى بجسده المنهك فوق الفراش، وهو يلهث في عنف غير مصدق ما حدث معه في الدقائق الماضية.

تعلقت عيناه بالمصباح الباهت المتدلي من سقف الغرفة كئيبة الطلاء، وهو يفكر بذعر في تلك الأحداث العجيبة التي مرت به.

حاول ترتيب أحداث الليلة المشوشة، وتفسيرها في ذهنه، دون أن يصل بأي حال من الأحوال إلى إجابة شافية.

لم يستطع النوم لحظة واحدة، فما حدث له أفقده استقراره النفسي والعصبي، وأطار النوم من عينيه، وهو لن يرتاح حتى يعرف السر.

- فمن أين يبدأ؟!

أوشكت خلايا عقله أن تحترق من كثرة التفكير والبحث عن طرف الخيط أي طرف خيط، وما بذله من جهد ضاع هباءً دون فائدة لأنه لم يتوصل لشيء منطقي ولم يجلي أي غموض.

كان السكون من حوله يخنقه ويوتر أعصابه، ففتح المذياع مستدعيًا منه بعض الصحبة والونس.

وانسابت موسيقى كئيبة من إحدى المحطات الإذاعية لدقائق.. ثم دوى صوت نباح بعيد.. تلاه النداء الثالث المخيف يدعوه مرة أخرى لنبش قبر أبيه.

وكأنه كان ينتظر سماع هذا النداء، بعد أن تسممت حياته بما يحدث، فقام من فوره وهبط إلى القبو الفسيح عفن الرائحة عديم الإضاءة، وباستخدام ذاكرته المنهكة استطاع الوصول إلى الرفش المعدني المسند على الحائط، فأمسكه في يده بقوة شديدة توحي بالعزم والتصميم.

وقد استقرت في داخله فكرة وحيدة.

مخيفة.

سينبش قبر والده!!

وبداخل صدره خفق ذلك الشيء الكامن أسفل جلده، عدة خفقات متواترة زلزلت كيانه.

ولا يعرف شريف حقًا، هل لمح ذلك الشبح المعتم شديد السواد، يمر من أمامه بسرعة خاطفة، أم كانت هلاوس إضافية.

النداء الثاني

المقابر في الليل لا تشبه أبدًا المقابر في النهار.

إنها مرعبة أكثر، وغامضة أكثر، وموحشة أكثر، ومقبضة أكثر، وباردة أكثر.

وبرد الليل أشد قسوة من برد النهار، فهو ينخر في العظام، ويجمد الدماء في العروق، بل ويجمد العروق نفسها دون رحمة.

حتى الأصوات هناك تختلف.

فالسكون يعم، والصمت يسود، ولا يرتفع إلا حفيف الخوف الموتر للأعصاب، أو صوت مخلوق غامض تعطلت ساعته البيولوجية.

الرائحة أيضًا تختلف.

فهي مكتومة، خانقة، مسيطرة، تمتزج برائحة عطن، وعفن، ورائحة التربة البكر التي شهدت في يوم ما ميلاد الكون.

ولليل هناك.

رهبته، وهيبته، وسلطانه الكاسح، وغموضه الذي يشبه الطلاسم.

وبرغم كل هذه الأمور المشئومة، ها نحن نرى رضوى تخترق الظلام في خطوات متصلبة، مرتدية عباءتها السوداء، التي اتسخت بطريقة مقلقة، بل وتمزقت في عدة مواضع بطريقة عشوائية أظهرت أجزاءً من ساقيها، لتمارس نشاطًا غريبًا ومخيفًا، وبالتأكيد غير بريء. نشاط لن تصدق أبدًا أن هذا الوجه الجميل يمارسه ما لم تره يفعله.

كان على وجهها علامات معاناة شديدة وصراع، وهي تتقدم كالمغيبة صوب أحد القبور الغارقة في الظلام وكلها تصميم، حتى إنها لم تبالِ بذلك الفأر الجائع الذي فزع لرؤيتها، وعبر من جوارها كالسهم فاقدًا كل شهية للطعام.

تقدمت رضوى من باب المقبرة المعدني وكأنه لا يعنيها في الوجود إلا أن تصل إليه، وفي قوة مروعة لا يمكن لبشري أن يمتلكها انتزعته من جذوره، حتى إن المكان المحيط بحلق الباب تشقق وتساقط منه الملاط، ولحسن الحظ أو لسوئه لم ينهر القبر، لتقذف الباب بلا مبالاة ليصطدم بالقبر المواجه في عنف، ليترك أثرًا واضحًا على طلائه، قبل أن تدلف إلى داخل القبر، ليحتوي ظلامه جسدها بالكامل.

من هي؟!

ليس من السهل أن تعرفها إلا لو كنت من قاطني هذه الناحية، ولكننا لن نجعلها لغزًا غامضًا، وفي السطور القادمة سنحكي حكايتها.

من هي؟!

سأخبركم حالاً، بعض الصبر يا أصدقائي.

هي شخصية متفردة، يقولون عنها:

إنها منطوية ومزاجها سوداوي، وإلا لماذا هي دائمًا صامتة، وترتدي الوحدة كرداء أبدي؟!

وتقول لهم رضوى:

– إنها تعشق الهدوء، والليل، وتعشق الصمت بسحره الذي لا يراه إلا الحالمون، وتنأى بنفسها عن كل التفاهات التي تمارسها قريناتها بعناد أسطوري.

جمالها هادئ عادي، وإن كانت قسمات وجهها مريحة، ولها جاذبية مغناطيسية تجذب حولها الذباب.

تعيش في عالمها الخاص بعيدًا عن كل من يحيطون بها، وهي لا تتصور أن ترتبط بمخلوق من عالم آخر لتكمل حياتها معه.

فهي تشعر أن كل من في سنها من الشباب مخلوقات مختلفة، وكأنهم من كواكب أخرى، فقط يشبهونها في التركيب الداخلي والشكل الخارجي، ولكن تفصلها عنهم آلاف السنين الضوئية من النضج.

حالتهم المادية معقولة، وأسرتها متوسطة الحال لا تصل للغنى، ولا تهبط للفقر، (مستورون) بالمعنى الشائع للكلمة.

مات والدها وترك لها ثروة هائلة من الكتب في غرفة مكتبه الخاصة، التي كانت تعتبرها مغارة كنزه الخاص، والتي لا يعلم قيمتها إلا من تربى في منزل أديب.

علمها والدها أن لكل كتاب قدسيته، ولكل رواية مكانتها المميزة والخاصة جدًا.

والسر الذي لم يخبر أحدًا به غيرها.. أنه لم يكن يحرص على أصدقائه بمقدار حرصه على كتبه.

كانت تشعر دائمًا أن أباها يختلف عن أمها كثيرًا، هناك فجوة ما بينهما، وكأنهما يسكنان عالمين مختلفين، أو هما شخصان من حضارتين مختلفتين.

ولكن أمها كانت طيبة القلب، وبرغم الفجوة الثقافية التي تفصلهما إلا أن العشرة والمودة ربطتهما برباط خاص لم يفصمه إلا موت الأب.

- "ولا يحدثني أحد عن موت الأب".

هذه هي عبارتها الشهيرة التي كانت ترددها رضوى دائمًا أمام المرآة. ثم تشرع في سرد القصة لنفسها، وكأنها ليست أحد أطرافها، أو أنها غريبة لم تعاصر الأحداث بنفسها.

ليس لها أصدقاء بمعنى كلمة أصدقاء.. أقرب صديقة لها.. هي رضوى صاحبة تلك الصورة التي تطالعها في المرآة كل صباح، فهي تعتبر أقرب صديقاتها إليها هي رضوى، لذا لم تكن تكف عن استعراض الأحداث ورواية القصص لصديقتها المقربة (هي).

ودائمًا ما تبدأ حكايتها كالتالي:

- كان يومًا أسود لا شمس له، أذكره كما أذكر اسمي، ويتمي، وكل أحزاني. استيقظ أبي كعادته مع أذان الفجر، توضأ في المنزل، ثم اتجه صوب المسجد وأدى الفريضة. وعاد يحمل الإفطار المعتاد؛ فول، وفلافل، وفجل، وجرجير. إنه من الجيل القديم الذي لا يجد مذاقًا للطعام إلا لو كان بجواره الفجل، أو الجرجير، أو كلاهما.

- رحمك الله يا أطيب أب رأته هذه الدنيا وطيب الله ثراك.

وفي هذا اليوم الكئيب، عاد أبوها كعادته من المسجد القريب، وأيقظ النائمين ليصلي بهم الفجر كما عودهم، ووقف أمامهم كإمام.

أدوا فرضهم في جماعة، ثم تناولوا الإفطار وسط جو من المرح غير معتاد.

انتاب رضوى يومها شعور مقلق غير معتاد.

إن أباها لم يكن على طبيعته في هذا اليوم، لم يكن على طبيعته أبدًا، حتى نظرته كانت مختلفة، وكأنها تتطلع إلى كون آخر لا نراه.. كانت نظرة وداع، ولكن أحدًا لم يفهمها.

إن أباها رجل حازم وصارم..لا يظهر حنانه بسهولة ولا يجاهر به.

وفي هذا اليوم بالذات ظهر حنانه دافقًا، متوهجًا، مبهجًا، بكرم حاتمي لا مثيل له، وكأنه يحاول أن يعوضها بطريقة ما عن اللحظات التي لم يفصح فيها عن مشاعره كأب حنون.

الأمر كله بدا عجيبًا ومقلقًا برغم استمتاعها به.. شيء لم تعتده منه، ولن تعتاده بمثل هذه الطريقة الغريبة والمفاجئة.

حتى أمها بفطرتها السوية. كانت قلقة مما يحدث، فلم تنقطع لحظة عن قول (اللهم اجعله خيرًا)، فهي حسب معتقداتها الراسخة التي تقدسها بشدة تؤمن أن السرور الزائد يتبعه مصيبة، أو شيء سيء، وكان درعها هو هذه العبارة (اللهم اجعله خيرًا).

كانت رضوى تلوم نفسها كلما تذكرت هذا الجزء من القصة، بل وتقسو على نفسها في اللوم لأنها لم تصدق إحساسها، ولأنها لم ترتشف أكثر جرعات الحنان التي كان يغمرهم بها أبوها.

ولكنها طبيعة الأشياء.. لا يعرف المرء قيمتها إلا عندما يفقدها أو تضيع من بين يديه.

انتهى أبوها من مداعبتها ثم قام من فوره وارتدى ملابسه المخصصة للعمل، ونظارة القراءة، وجلس يتصفح جريدة الصباح كعادته، ولم تمضِ دقيقة حتى نحاها جانبًا، ونادى عليها لتحضر له المصحف.

يومها استغرق أبوها في قراءة آيات الذكر الحكيم حتى فاضت روحه، وصعدت إلى بارئها في هدوء، دون ألم أو معاناة، لقد انتهى أبوها من قراءة سورة يوسف، وهي السورة التي أحب قراءتها دائمًا بعد أن عشقها مسجلة بصوت الشيخ محمد رفعت.

ذلك الصوت الملائكي الرخيم الذي يجعل الاستماع إلى القرآن متعة ومداعبة، ويضيف عليها روحانية خاصة لا يتذوقها إلا من عُجن بماء النيل، ثم وضع المصحف فوق المنضدة بحرص، وأراح رأسه على مسند المقعد، واستسلم لقبضة ملك الموت، ليسترد الله أمانته كما كان يردد دائمًا.

كانت رضوى أول من لاحظ ميل رقبته بتلك الطريقة غير المريحة، وسكن في اعتقادها أنه استسلم للنوم مجددًا، وخشيت أن يتأخر عن موعد العمل، فاقتربت منه برفق لتوقظه فلم يستجيب لها.

رفعت صوتها دون جدوى.

هزته بيدها ولكن لاشيء.

لقد مات أبوها.. مات في هدوء، ولكن ترك بداخلها ضجيجًا من الألم لا يمكنها احتماله.

لقد مات أبوها الذي كان يملأ الكون حولهم بهجة، ويملأ كل فراغ لديهم بحكاياته الجميلة.

أبوها أصبح جثه هامدة.

صرخت، وصرخت، وصرخت حتى بُحّ صوتها قبل أن تفقد الوعي، ولم تستيقظ إلا وأبوها محمولاً فوق الأعناق، والناس تردد من حوله الأدعية وتترحم عليه، وتتصارع لحمل نعشه.

لم تصدق ما يحدث، ولم تذرف يومها قطرة إضافية من الدموع، ولم تنطق بكلمة واحدة طوال ثلاثة أيام.

ارتدى المنزل والشارع زي الحداد، وتوافد المعزون من كل مكان، وأصبح اللون الأسود هو لون حياتها في هذه الفترة العصيبة، فلم تعرف البسمة سبيلاً إلى وجهها، ولم يعرف الفرح طريقًا إلى قلبها.

كان الأمر مروعًا بحق، وتلقت هي الصدمة الكاملة، فاليد التي كانت تحنو عليها، أغلقوا عليها القبر، فصارت وحيدة تتلمس ذكراها، دون أن تهنأ بلمستها.

وكي تكتمل المأساة فقد توارى أصدقاؤها من المشهد، فقد عزفت عنهم دون سبب، وعزفوا عنها بعد أن رأوا منها الجحود.

لم تكن صداقة مخلصة على أي حال.

وهكذا هي قلوب الفتيات مثل الإسفنجة تمتص الحب بسرعة، وتلفظه أسرع عند أول عصرة.

بعد عشرة أيام انتظمت في الدراسة، وإن أصبحت انطوائية أكثر من ذي قبل، والغريب أنها عادت لتفوقها بقوة، وبطريقة غير مسبوقة، حتى إنها تساءلت بينها وبين نفسها عن الخطوات التي انتهجتها لتصل لهذا التفوق.

كانت تشعر بتبدل غريب في شخصيتها لم تستطع أن تحدد طبيعته.

وبالرغم مما يحيط بها من غموض، استمرت على تفوقها دون أن تجد تبريرًا معقولاً يصف هذا التبدل المفاجئ، إلا أنها هبة خاصة حصلت عليها مع أول صفعات الصدمة.

فما يحدث لها عند تلقي الدروس هو شيء عجيب للغاية.

انفصال تام عن العالم من حولها، تصحبه حالة عجيبة من الشرود، تفيق بعدها لتبقى جميع المعلومات حاضرة في ذهنها إلى الأبد.

أما الشيء الذي أثار قلقها، وجعل أيامها أكثر سوءًا، هو تلك الذكريات الغريبة، التي كان يحدث لها إسقاط لحظي بداخل عقلها كلما انفردت بنفسها، والتي تدور عن أناس لا تعرفهم، في أزمنة متعددة لا يربط بينها رابط محدد، وهذا الأمر بالذات جعلها أكثر انطوائية وانغلاقًا، مما أوحى لمن عاصرها بأن المأساة تفوق قدرتها على التحمل.

ناشدها الجميع كي تسمح لنفسها بالنسيان، وهم يرددون أن نعمة النسيان هي أعظم منن الخالق عز وجل.

وكيف لها أن تنكر تلك النعمة؟!

ولكن من قال إن أباها من الأشياء التي يمكن أن تُنسى؟!

مات أبوها وهي في الصف الثالث الإعدادي، والآن هي تنتظر نتيجة مكتب التنسيق بعد أن حصلت على مجموع مرتفع يؤهلها لدخول كلية الطب.

كانت أمنيتها الخاصة أن تصبح عالمة لتبحث في أسرار الحياة والموت، وحالت بينها وبين هذا الأمر أمنية أبيها، فقبل أن يموت كانت رغبته الملحة هي التحاقها بكلية الطب، فكيف لها أن تخيب رجاءه.

هي إذن كلية الطب.

ثلاث سنوات مرت على موت أبيها.

ثلاث سنوات مرت، وهي تتلمس رائحته في كتبه، وأوراقه، وملابسه.

ثلاث سنوات مرت وتعلمت فيها الكثير، ولكنها لم تتعلم النسيان.

ثلاث سنوات عانت فيها من قسوة ذكريات لا تخصها، ولا تعرف الهدف من مطاردتها لها.

•••

ظهرت منذ عدة أشهر نتيجة مكتب التنسيق، وكما توقعتم جميعًا هي كلية الطب العتيدة.

احتاج الأمر لترتيبات كثيرة لن أصدع رؤوسكم بها..والآن ها هي تُعد العدة للانتقال إلى منزل جدتها العجوز في المدينة الكبيرة.

حزمت ملابسها، وأوراقها، والطعام الكثير الذي أعدته لها أمها قبل أن تغادر، وكأن المدينة صحراء خالية لن تعثر فيها على طعام، وطبعًا صندوقين كبيرين من الورق المقوى، امتلآ حتى كادا يفيضان من الكتب الثمينة، التي كانت بمكتبة أبيها، وانطلقوا نحو المدينة.

هي، وخالها، وأمها.. ثلاثة.. ورابعهم القلق!

وكم أرهقت أذناها من كثرة النصائح، التي أخذت تنهال على رأسها كالسيل من أمها ومن خالها تباعًا، ولولا كثرة اطلاعها لتوقعت رضوى فتاة القرية الخام، أن ترى رجالاً ذوا مخالب وأنيابًا في كل ركن من أركان المدينة الواسعة، لاهم لهم إلا مطاردتها ومغازلتها.

ولتقطع يومها ذلك الحديث المرهق المتكرر، نظرت لأمها نظرة راجية، ثم سألتها بكل براءة:

– أمي، ألا يمكن أن تنتقلي للعيش مع جدتي ومعي الآن، فكما عرفت منك أنها تعيش وحيدة دون أنيس؟!

أجابت أمها بصوت ملأته الحسرة والتمني:

– يا ليت يا ابنتي، ياليت، ولكن جدتك أم أبيك تكرهني كالوباء، فهي لم تنس لي أني أخذت منها ابنها الوحيد بعد الزواج وعشنا واستقررنا في قريتنا.

تنهدت الأم في حزن، ثم عادت واستطردت:

– عشرات السنين مرت، ولم تغفر بعد، وها هي على أعتاب الأبدية، أو كما قالت بتعبيرها الفطري (قدم في الدنيا وأخرى في الآخرة)، ولم تغفر بعد، ولن تغفر، أنا أعرفها.

قالتها أمها في حسرة، جعلت قلب رضوى ينفطر، وهي تعيد في رأسها ذلك الحوار القصير في محاولة لهضمة، لقد كانت كلمات أمها مفاجئة لها فهذه أول مرة تسمعها تتكلم فيها بمثل هذه الأريحية ودون انتقاء للكلمات.

فيبدو أن رضوى كبرت في نظرها باقترابها من دخول الجامعة لتشاركها هذه الأسرار، أو أنها هرمت، ولم تعد قادرة على إخفاء أحزانها أكثر.

كل الاحتمالات مع الحزن واردة.

دارت في رأس رضوى فكرة مقلقة، فعادت لتسألها في توجس:

– وماذا ستفعل معي؟!

ابتسمت أمها ابتسامة بخارية، سرعان ما غادرت وجهها، وكأنه من العار أن تبتسم وابنتها على وشك تركها لتسافر وحيدة، وقالت بصوت هادئ واثق:

– لا تخشي شيئًا يا بنيتي فهي تحبك حبًا جمًا لأنك الشيء الوحيد الباقي ليذكرها بولدها الراحل.. كما إنها هي من عرضت أن تستضيفك في بيتها عوضًا عن مكوثك في المدينة الجامعية، ولم يجبرها أحد على ذلك، فهي وإن كنتِ لا تعلمين تتقصى أخبارك دائمًا.

في هذا اليوم الاستثنائي جلست رضوى صامتة، وهي تحاول أن تهضم هذه المعادلة في عقلها حتى وصل القطار إلى المدينة.

وها هي الآن وقد مرّ على مكوثها لدى جدتها ما يقرب من أربعة أشهر وجدتها تعاملها كأميرة.

كل مخاوفها تبددت كغبار واحه ريحا عاتية، فقط لو تتوقف تلك الرؤى والذكريات عن صفع عقلها، لصار العالم أجمل وأروع وأرحب.

أنهت اختبارات الفصل الدراسي الأول، وأتت الإجازة نصف السنوية فقررت أن تقضيها بالكامل مع أمها، وقبل أن ترحل أوصتها جدتها بأن تقرأ الفاتحه لأبيها عند قبره نيابة عنها، وأن ترسل له سلامها لأنها تشعر بقرب قدومها إليه وكلها شوق، حسب عبارتها المبكية.

وها هي ذى وحيدة في القطار الذي يحملها إلى قريتها من جديد، تجتر ذكرياتها وتمتلئ عيناها بالدموع لذكرى أبيها، فمازال بالنسبة لها أعظم إنسان خُلق في هذا الوجود.

تمالكت نفسها بصعوبة، بعد أن حاصرتها تلك النظرات الفضولية من الركاب، وقد خشيت أن تتحول إلى نظرات تطفلية. خاصة وأن معظمهم من الشباب الذين يجيدون اقتناص الفرص.

وما من فرصة أفضل من فتاة وحيدة باكية.

مسحت بعينيها الفراغ عبر نافذة القطار الزجاجية المتسخة، وأخذت تتابع مسار القطار وكأنما لا يشغلها شيء في الوجود عن متابعته، وهو يقطع المسافات والبلدان ويتوقف في محطاته المختلفة.

وظلت شاردة سارحة في عالمها الخاص البعيد بأميال عن كل من حولها. أو عادت إلى ما كانت تقرؤه قبل أن تجتاحها عاصفة الذكريات.

ووضعت على الصفحة التي كانت قد طوتها كعلامة تعود لها عند استئناف القراءة، وبدأت تقرأ في ذلك الكتاب المخيف الذي أحضره لها سامي أحد زملائها في الكلية كهدية عندما علم بعشقها المرضي للقراءة، كتمهيد لعلاقة يحلم هو بإقامتها معها، علاقة لم يهمها منها إلا ذلك الكتاب الراقد بين يديها الآن، والذي تحرص على قراءته نهارًا، فوطأة كلماته تصبح أقل رهبة مع ضوء النهار، والبشر المتلاحمين من حولها.

ومن تنفسها المحموم، وهبوط صدرها وانخفاضه، كان من الواضح أن الكتاب قد فرض سيطرته عليها، ومن عينيها المنبهرتين ظهر شغفها بما تقرأ، لم يكن كتابًا عاديًا أو بسيطًا، فاقتناء مثل هذه الكتب يُعد جريمة كبرى قد تصل عقوبتها إلى الإعدام في بعض البلدان.

كان كتابًا عتيقًا، لغلافه ملمس عجيب يشبه ملمس الجلد اليابس، وهو ملمس لا يطاق، لذا فإن رضوى أضافت له غلافًا ورقيًا آخر من تصميمها مليئًا بالزهور، احتوى بداخله الغلاف الأصلي.

وكانت تنتابها في البداية فكرة مرعبة كلما نظرت للغلاف الجديد وأزهاره.

"هل من الممكن أن تذبل الزهور الموجودة على ظهر الغلاف؟!"

يا لها من فكرة رهيبة تبعث على التوتر.

كانت مجرد فكرة ولم تحدث أبدًا، ولكن وقعها كان مخيفًا، خاصة بعد أن تشرب الغلاف برائحة الكتاب، والتي تشبه رائحة خليط من التوابل والعطور، تلك الرائحة الغريبة التي تشمها وأنت بداخل دكان العطار، أو قبل دخولك حي الحسين، لو كنت مررت بمثل هذه التجربة.

أصبحت هذه الرائحة العطرية تفوح من الغلاف، ولكن من يشمها يعتقد بأنها تنبع من قلب الزهور المرسومة فوق الغلاف. حتى إن شعورًا غريبًا ظل ينتابها كلما شمّت الرائحة، أو وقعت عيناها على الأزهار المختلفة الألوان.

كان عنوان الكتاب (المختارات من سحر الأقدمين وتاريخهم)، كان كتابًا عجيبًا ممتعًا ومخيفًا، ولا تعرف حقًا ما الذي جعل سامي يختار مثل هذا الكتاب ليختصها به دون باقي الكتب.

ربما هي محاولة فاشلة منه لإضفاء نوع من الغموض أو القوة لشخصيته الهشة، في محاولة منه لإبهارها. الخلاصة أنها لم تستطع رفض الكتاب بعد أن قرأت عنوانه، كما رفضت العلاقة. إنه بلا شك الفضول أو شهوة القراءة التي تفوق كل الشهوات الحسية الأخرى.

لو تصفحت الكتاب على عجل لوجدته ممتلئًا بالجداول والرسوم والدوائر المليئة بالنقوش والتعاويذ.

"كتاب أرهق من ألفه بشدة، ولكن ما حقيقة ما ورد به؟"

كانت تقرأ في جزء يحاول المؤلف فيه إقناع القراء، بأن الجنس البشري ليس متماثلاً، وأن هناك عرقًا مختلفًا نشأ منه السحرة وأصحاب القوى الخارقة، عندما داهمتها رؤى قديمة عن جبل من الماء يطيح بجزيرة ما، ولم يوقظها من مشاهدة وجوه الموتى والمحتضرين، إلا صوت صافرة القطار وتوقفه معلنًا وصلها لمحطته المنشودة.

جذبت حقيبتها الصغيرة من فوق الحامل المعدني العلوي، واندفعت نحو الباب مع سيل الهابطين من القطار، لتجد أمها بانتظارها، وقد شحبت ونحلت، وحُفر الحزن على وجهها، كقناع من صخر صلد.

احتضنتها أمها بشدة، وقبلتها كثيرًا وهي تبكي.

لم تكن رضوى تعرف لماذا كانت تبكي بهذه الحرقة.

"من الشوق.. من الوحشة.. من الحب!"

وربما لأن وجه أمها أعاد لها لحظة موت أبيها.

فقط كانت تعرف أن الدموع تريحها وبشدة، فلم تبخل بها وشاركتها أمها.

ركبتا سويًا ذلك الاختراع القاتل الجديد المسمى (التوك توك)، والذي كان يركبه طفل صغير بالكاد تصل قدمه إلى دواسة الوقود والفرامل، وطار بهما صوب المنزل.

وليؤكد سطوته، ومهارته، وتمكنه بعد نظرتهم المترددة قبل أن يركبا معه، والتي اعتبرها إهانة لم يغفرها بسهولة، فجعلهما تشعران بكل مطب وكل حصاة في الطريق، وكأنهما تُسحلان فوقه سحلاً.

كانت أمها تخشى ركوب (التوك توك) وخاصة بعد الحوادث العديدة التي انتشرت، وتنوعت، ونُفِّذت عن طريقه؛ ما بين سرقة، واغتصاب، إلى قتل، وترويج مخدرات.

أما هذه المرة والتي لا تنوي تكرارها، فقد ركبته استثناءً من أجل ابنتها العائدة من دياجير الغربة.

وصلوا إلى المنزل، فنقدت الأم السائق الطفل أجرته، لتهبطا أمام باب المنزل، ليصعق رضوى منظر المنزل، ما آل إليه حاله، فينقبض قلبها في عنف.

ما بال البيت يبدو كئيبًا حزينًا هكذا؟

هل يحزن الجماد مثلما يحزن البشر؟!

هي تعرف من قراءاتها المتنوعة أن هناك بيوتًا مسكونة بطاقة نفسية ما، وتقوم بأفعال عجيبة تُعزى دائمًا للأشباح، وعادة ما يكون هناك مشكلة ما حدثت في فترة سابقة، وفي أغلب الأحيان تكون جريمة قتل، أو أن المنزل استخدم للتعذيب في حقبة ما، أو حدث به زواج محرم، أو بُني فوق المقابر.

وبالنسبة لبيتهم لا يندرج تحت أي من هذه الأمور الشنيعة. لذا فإنها أقنعت نفسها بأن اكتئابها وحزنها هما من صورا لها تلك الأوهام.

المشكلة أن البيت يبدو حزينًا فعلاً!!

ظلت هذه الفكرة تُلح بخاطرها كثيرًا، وأرقتها حتى كادت تقتل فرحتها بعودتها إلى منزلها، وحضن أمها الدافئ، فنفضتها عن عقلها وهي تلتهم المنزل بعينيها.

كل شيء كما هو، ولكنها تشعر بأن هناك شيئًا أساسيًا ناقصًا، فراغ هائل تركه أبوها خلفه، هذا الفراغ انتقل لداخلها وأصابها بكدر شديد.

دلفت لغرفتها بروح مثقلة، وفتحت نافذتها التي تطل على الحقول المجاورة، ولم تنهمك كعادتها في الاستمتاع بخضرتها الممتدة إلى آفاق

البصر في مشهد مريح، بل عادت إلى غرفتها التي نظفتها أمها بعناية، وكأنها لم تغادرها يومًا، فارتدت رداءً منزليًا مريحًا، وخرجت لأمها التي كانت قد جهزت طعام الغداء.. كم أوحشها طعام تلك الغالية.

تناولت طعام الغداء بشهية، وأمها تستجوبها عن كل شيء وأدق التفاصيل عن الفترة التي قضتها بعيدًا عنها، ولما انتهى الطعام كان الحديث قد انتهى، فصلت العصر، ثم عادت لكتابها المخيف.

استلقت رضوى فوق الفراش المريح، وفتحت الكتاب لتكمل ما بدأت قراءته؛ فهي لم تتجاوز المقدمة بعد.

تلك المقدمة التي تكاد أن تكون كتابًا وحدها، واستغرقت في القراءة لدقائق قليلة، وسرح عقلها مع تلك الكيانات القديمة التي يتحدث عنها الكتاب، وكيف أن لها دورًا لا يُنكر في تاريخ السحر والبشرية، ثم سحبها النوم إلى عالمه السحري، فغادرت عالم الواقع بهدوء ودخلت عالم الأحلام الأثير، لتجده ينتظرها هناك.

إنه أبوها..

كان ينتظر قدومها للبيت ليقوم بزيارتها.. إنها المرة الأولى التي يزورها فيها في المنام.

ولكن ما هذه الملابس التي يرتديها؟! ولماذا تظهر المعاناة على وجهه بهذا الشكل المريب؟! وما هذا السواد الذي يغزو ملامحه؟!

صرخت وقد روعها المنظر:

- إنك لست أبي! بالتأكيد لست أبي!!

أتاني صوت أبيها مبحوحًا متحشرجًا متألمًا، وهو يتحدث بكلمات غير مفهومة لم تستوعب معناها لأول وهلة، حتى كررها مرة أخرى بصوت مفهوم، ومسموع، وواضح:

- "لا تلبي النداء.. لا تلبي النداء".

كررها أكثر من مرة بطريقة تمزق نياط القلوب.

استيقظت من النوم صارخة مفزوعة، وهي تبسمل وتحوقل، واستعاذت بالله من شر الحلم، لتندفع أمها وقد طار صوابها شعاعًا إلى قلب الغرفة، لتضمها إلى صدرها في قوة وكأنها تقيها من خطر مجهول، ثم أخذت ترقيها بالفاتحة، وهي تمسح بيديها على رأسها في حنان

اندفعت لتقص عليها الكابوس، لكنها نهرتها بشدة، لتتوقف عن سرد أحداث الكابوس حتى لا يتحقق

فقالت:

- إنه أبي و....

فغطت فمها بيدها، وقالت بحزم:

- يجب أن تزوريه.

رشفت رضوى من الإناء المصنوع من الفخار (القلة) رشفات نهمة من الماء البارد أزالت جفاف حلقها، وأعادت لها بعض هدوئها وسكينتها، فأخبرت أمها أنها أصبحت بخير حال، وأنها ستصلي المغرب، ثم تذهب لزيارته.

عبس وجه الأم قليلاً، وقالت في قلق:

- إن الظلام سيهبط بعد قليل، والصباح رباح.

فردت في عناد:

- لقد زارني اليوم لذا يجب أن أزوره اليوم، ربما هو بحاجة لمثل هذه الزيارة!

هزت الأم رأسها في استسلام أن لا بأس، فهي تخشى عليها من الأحياء لا من الأموات، وبلدتهم أكثر أمنًا من قسم شرطة المدينة المجاورة.

فكل من بالقرية يعرفون بعضهم، ويحرصون على بعضهم، لا يوجد جفاء المدينة هنا.

أزاحت الغطاء لتعيد ترتيب الفراش، لتجد الكتاب قابعًا أسفله مفتوحًا على نفس الصفحة، التي كانت قد شرعت في قراءتها قبل أن تخلد للنوم فأغلقته، ودسته أسفل الفراش بعد أن قامت بترتيبه، وارتدت رداءها الأسود علامة الحداد الدائمة، وصلت المغرب، وتوجهت صوب المقابر.

وهناك شعرت بقلبها ينقبض، إن المقابر عامة لا تخيفها، ولكن ذلك الشعور بأن هناك من يتربص بها ويريد بها شرًا ضايقها.

أطلقت رضوى زفيرًا ساخطًا وهي تعاتب نفسها:

- لماذا لم أستمع لكلمات أمي. وأنتظر للصباح؟!

كانت على يقين من أن خروجها لزيارة قبر والدها في هذا التوقيت بالذات لم يكن خالص النية تمامًا، لقد ضاقت من الحزن. وهي في حاجة ماسة للخروج من البيت المشبع بأطنان منه، واستنشاق بعض الهواء النقي لتشعر ببعض البراح، حتى ولو كان في المقابر.

كانت المقابر خالية إلا من صوت ريح خفيفة، وأصوات المخلوقات الليلية، التي بدأ يومها مع غروب الشمس.

انقبض قلبها مرة أخرى، بمجرد رؤيتها الشواهد الباهتة التي خُطت فوقها أسماء الموتى. وراحت تتخيل اسمها على أحد هذه الشواهد.

الصمت أطلق العنان لخيالها، حتى كادت أن تعود من حيث أتت وتؤجل الزيارة إلى الغد، ولكنها في النهاية أقنعت نفسها بأنه مادامت هنا، فلتنتهي من هذه الزيارة، ولا داعي لهذا الخوف الطفولي غير المبرر، وشرعت في تلاوة بعض سور من القرآن الكريم في سرها.

تقدمت ببطء وهدوء وسط صفين من المقابر، وأخذت الرائحة الخانقة تتسرب إلى مسامها، وتخترق رئتيها حتى شعرت بطعم الموت المنفر في فمها.

اقتربت من المقبرة وهي متوجسة وقلبها يدق في صدرها كطبول الحرب.

شعرت بحركة خفيفة خلفها فالتفتت مذعورة تنظر وراءها.. لم يكن أحد هناك.

استدارت لتغادر بعد أن سيطر عليها القلق، لتلمح ذلك الشيء الأشبه بالدودة ينقض عليها.

حاولت أن تتفاداه، ولكنه لم يمنحها فرصة.

شعرت باللطمة، ثم بشيء كالنار يزحف عبر حلقها. تصلبت أعضاؤها مع شعورها بألم كاسح يمزق صدرها، قبل أن تصرخ بذعر:

- ماذا يحدث لي؟!

سقطت على الأرض ليصطدم رأسها بجدار قبر صلب، ثم فقدت الوعي لوقت غير معلوم، قبل أن تستيقظ كالمأخوذة وهي تنظر حولها لتردد نفس السؤال السخيف:

- ماذا حدث لي؟!

تفحصت جسدها على عجل، وعندما اطمأنت إلى أنه لم يتم مهاجمتها، أو الاعتداء عليها، هدأ روعها قليلاً، وأخذت تحدّث نفسها بأن هذا الكتاب المشؤوم الذي شغلها الأيام الماضية، قد جعلها فريسة سهلة للأوهام، وجعل من تعثرها وسقوطها قصة مخيفة. وقررت بمجرد عودتها، أن تضعه في مكتبة أبيها، وتكتفي بروايات الحب والرومانسية.

نفضت رضوى الأتربة من فوق عباءتها السوداء التي التصقت بها من جراء سقوطها، وعندما وضعت يدها على مكان الارتطام بعفوية أحست بالدماء الجافة دون أن تجد أي أثر لجرح، مسحت الدماء بطرف ثوبها، وقد أصابها القلق من هذه الدماء مجهولة المصدر، ثم عادت لتنتظم في وقفتها

أمام قبر أبيها، واتخذت اتجاه القبلة ووقفت تقرأ له الفاتحة، ثم بلغته سلام حدتها، وأخذت تدعو ببعض الأدعية المسجوعة، وما أن انتهت من القراءة الخافتة حتى سمعت النداء يدوي بداخل رأسها.

صوت مخيف بلا كلمات.. يصل إلى عقلها لا عبر أذنيها.

صوت غامض يدعوها لنبش قبر أبيها.

صوت يخبرها بأنه يتعذب وبحاجة لمساعدتها.

كان النداء كاسحًا ثقيلاً مؤلمًا، فأخذت تضرب رأسها براحة يدها، وهي تتراجع للخلف في محاولة منها للعودة من حيث أتت، ولكن الصوت لم يمهلها لتقوم بما خططت له، فقد دوى من جديد ليصفع عقلها، بأصوات صراخ وألم وأنين، قبل أن يعود النداء ليدعوها لنبش قبر أبيها.

كان النداء يُضعف إرادتها، ويخترق عقلها بطريقة مروعة، حتى لتكاد أن تسيل خلاياه من أذنيها، فانفجرت صارخة:

- لا أستطيع.. لا أستطيع.. لا أستطيع.

وانطلقت تجري بين صفين من المقابر، والهلع يتملكها وذاكرتها تسترجع تلك الشبكة المعقدة من الممرات بينها، ولم تخنها ذكرتها أو حدسها، وما

أن اقتربت من الخروج حتى فوجئت بكلب أسود ضخم الحجم له نظرات مشتعلة غاضبة.. كلب شيطاني!!

انحسرت الدماء من عروقها، وشحب وجهها، ولم يتوقف قلبها من الهلع إلا لمعجزة لا تدري عنها شيئًا.

ودون وعي منها تحركت قدماها صوب الاتجاه الآخر الذي لا يوجد به الكلب، واندفعت تجري من جديد بين صفوف المقابر ورداؤها يشتبك في نباتات الصبار المنتشرة في كل مكان أمام أبواب القبور المغلقة، ليتمزق دون أن تبالي به.

وصلت إلى قبر أبيها فتوقف الكلب عن العدو خلفها، ودوى النداء قاهرًا.

- انبشي القبر وأخرجي الصندوق.

أو تموتين..

أخذت تقرأ آيات من القرآن، وتدعو بكل ما تعرفه من أدعية تختص بالمس والحسد والنجاة من الأعداء، سواء بشرًا أو حيوانات، في محاولة لإغلاق عقلها وردع تلك القوة القاهرة، التي تحاول أن تسيطر على إرادتها بلا فائدة.

لم يتوقف عقلها لحظة عن محاولة تفسير ما يحدث، وأخيرًا توصل عقلها لتفسير مناسب.

إنها تلك الرؤى والذكريات العجيبة التي تطاردها منذ عدة أشهر، لابد وأن شيئًا ما جعلها تتطور وتتخذ طورًا أقوى وأعنف، وفي اللحظات التالية، اندفع سيل هائل من الرؤى ليجتاح عقلها وكأن هذا ينقصها.

فشاهدت عبر رؤياها فرعون وهو يبتهل إلى السماء وكرات مضيئة تدور حوله في فضاء المعبد، ورأت أطباقًا طائرة تُطلق أشعة مميتة على بشر لديهم عيون متألقة، ثم رأت تلك الجثث المتحركة، التي كانت تهاجم العامة والجنود يهاجمونها بالسهام المشتعلة.

دقائق قليلة مرت عليها وهي في هذه الحالة من عدم التوازن أو التركيز، من كثرة تلك المشاهد التي طفقت تتوالى بداخل عقلها.

وعندما رأت الشمس الزرقاء، شعرت بصدمة عقلية عاتية، وفي اللحظة التالية استعادت وعيها، فنظرت حولها بحثًا عن الخطر الحقيقي، عن الكلب الضخم، فلم تجد له أثرًا.

تلاشى فجأة كما ظهر فجأة.

دارت حول نفسها في غير وعي، في محاولة منها لاستجلاب أمان زائف، فلم تمهلها الأحداث.

في اللحظة التالية شعرت بخفقان رهيب بداخل صدرها، وكأن هناك طائرًا قزمًا يضرب بجناحيه قفصها الصدري في قوة وسرعة، قبل أن تجتاحها صاعقة كهربائية أخذت تضرب جسدها وترج كيانها، لتسيطر قوى النداء على جسدها، وتبدأ في التحكم فيه دون رغبة منها أو مقاومة.

ورغم كل شيء لم تكن تنوي الاستسلام، فحاولت أن تقاوم مجددًا ذلك الاحتراق العقلي بكل ما أوتيت من قوة، فتضاعفت الآلام في رأسها وكأنه يعاقبها على صمودها، ومع مرور الوقت ظهر جليًا أن مقاومتها تفتر، بل تتلاشى.

مضت عدة دقائق أخرى، والألم يعتصر رأسها وجسدها، وعقلها يكاد أن ينصهر من هول الصراع الدائر داخله.

وقفت على قدميها تتلوى من الألم المتزايد، ومقاومتها له تفشل مع كل ثانية تمضي، وأخيرًا فقدت كل قدرتها على المقاومة، حتى دموعها التي لم تتوقف لحظة كانت لا إرادية.

وبكل عنف، وبإرادة توجهها قوى النداء، قبضت على باب المقبرة المعدني المغلق، ثم جذبته في عنف وقوة لينخلع في صوت مدوي لابد وأنه أزعج الموتى في المقابر المجاورة، لتتداعى المنطقة المحيطة به لتظهر بها شروخ عدة في الملاط، وصلت لشاهد القبر الرخامي الذي يزينه اسم أبيها، قبل أن تُلقي الباب في لامبالاة ليصطدم بجدار القبر المقابل ويخرب منظر الجدار.

نعم إنه ذلك المشهد الذي بدأ به هذا الجزء من قصتنا، هلموا بنا لنكمل.

هاجمتها رائحة الموت والعفن، من فوهة القبر الشبيه بفم وحش يستعد لالتهام فريسته.

لم تكن مقابر القرية تشبه أبدًا مقابر المدن، والتي قامت بزيارتها مع جدتها في الذكرى السنوية لجدها منذ شهرين، بكونها بناءً من القرميد له مدخل وبوابة، والقبر نفسه يهبطون إليه بدرجات حجرية تصل إلى تحت الأرض.

بل كانت مختلفة تمامًا، فهي على هيئة قباب فوق سطح الأرض تتخذ أشكالاً مختلفة وأحجامًا متباينة، ويظلل كلاً منها شاهد قبر رخامي حفرت فوقه بأناقة اسم المتوفي أو اسم عائلته.

لذا فإن هذه المقابر كانت ضيقة، لا تتجاوز المترين عرضًا في المتر ونصف ارتفاعًا، صندوق حجري يجثم فوق صدر الأرض، بداخله الجثث اليابسة التي تحيط بها الأكفان المهترئة، صحيح أنها تخالف أحكام الشريعة بالنسبة لدفن الموتى بباطن الأرض، إلا أن اللحادين، والأهالي، كانوا يحتالون على الأمر بوضع بعض تراب القبر فوق كفن الميت، وطوبة تحت رأسه.

القبر كان ينظر نحوها كعين مقلوعة، ترقد بداخلها عدة لفائف بيضاء أظهرها ضوء القمر لتمنح المشهد رهبة إضافية، حتى كاد قلبها أن يتوقف من هول المنظر، ولكنها لم تمتلك أي قدرة على الاعتراض، وكأنها زومبي أمر يحركه الساحر كيف يشاء.

وعلى أطرافها الأربعة زحفت في سرعة حتى دخلت إلى ظلام القبر المدلهم، والتراب الدقيق والرائحة الخانقة يغمران جهازها التنفسي، ويكادان أن يسلباها حياتها بعد أن سُلبت تعقلها.

الخفقان المستمر في منطقة صدرها لا يهدأ، وكأن بداخله موتورًا لا يتوقف عن الحركة.

الظلام دامس وجسدها يرتجف، ولكنها لم تكن تملك الإرادة لتغادر، إنها مازالت تقاوم دون جدوى.

راكعة على ركبتيها، تجد صعوبة كبيرة في فرد جسدها بطريقة مريحة، يحتك رأسها بسقف القبر ليغمرها المزيد من ترابه الناعم الدقيق المشبع بالموت.

وبيد تكاد أن تُشل من الفزع دفعت ثلاثة أكفان إلى جانب القبر؛ تفتت أحدها في يديها، ليزيد حالتها سوءًا.

الحقيقة أنها لا تعرف كيف لم تُجن في هذه اللحظات العصيبة.

ربما هو الظلام الذي لم يجعلها ترى التفاصيل بوضوح، أو هي القوى المخيفة التي تسيطر على إراداتها.

فقط ما فعلته أنها أخذت تحفر في أرضية القبر الهشة كالمغيبة، ويداها تدميان، وتتمزق بشرتها نتيجة اصطدامها ببعض العظام المدفونة في أرضية القبر نفسه، والتي دفنها اللحادون من قبل لتفسح مكانًا لجثث طازجة أكثر.

تدفقت دموعها بلا توقف، وأخذت أظافرها تتقصف، وثيابها تتلوث، وروحها ذاتها تبصقها مع كل دفعة تراب تتسلل لفمها. ولم تنتهي من حفر أكثر من قدم حتى جاءتها النجدة من السماء ودوى صوت الأذان.

أذان العشاء..

رددت الأذان دون وعي، فشعرت براحة عظيمة، واسترجعت نفسها من غفوتها.

كان مفعول الأذان معها كالسحر، وكأنما انحل من روحها قيدٌ ما كان يكبلها ويسيطر عليها، وعاد قلبها لدقاته الطبيعية بعد أن توقف ذلك الخفقان الرهيب الذي أصلى قلبها آلامًا لا حصر لها.

أفاقت لنفسها لترى هول ما كانت عازمة عليه فشهقت من المفاجأة، ثم أفرغت ما في جوفها بعنف في قلب القبر، وكالمجنونة قفزت خارجة منه وهي تتعثر. كادت أن تهوي على وجهها أكثر من مرة ولكنها تماسكت وسيطرت على رعشة قدميها، ثم اندفعت تجري بكل ما في جسدها من قوة عبر الطريق، دون أن تبالي بالنظرات التي كانت تحدجها في دهشة أثناء عدوها، بداخل طرقات القرية، حتى وصلت إلى منزلها، فغرفتها، ففراشها وسط نظرات أمها الملتاعة.

وهناك انتهت مقاومتها، وفقدت الوعي أمام أمها التي كادت أن تقضي من خوفها عليها، ولم تسمع رضوى منها إلا كلمة واحدة فقط، ولم تفهم مغزاها في حينها:

- النداهة؟!

المقبرة

انطلق هشام بكل تهور عبر الطريق الرئيسي مسرعًا ليعبر شارع شبرا المزدحم، في محاولة خرقاء منه ليصل إلى الجانب الآخر من الشارع، وسط طوفان السيارات المندفع دون توقف، ومع عجلته لم يستطع أن يقيس المسافة بينه، وبين السيارة المسرعة المندفعة نحوه فعبر جسده كله الطريق، ولكن قدمه اليسرى زلت، ولم تتبع جسده أثناء اندفاعه بالسرعة المناسبة، فاصطدم بها صدام السيارة المسرعة، واندفع جسده كله بزاوية حادة نحو الرصيف، واصطدمت رأسه بعنف وفقد الوعي.

كل من شاهد الحادث المفاجئ أجزم بكل يقين، أن هذه هي اللحظات الأخيرة في حياة هشام، وفي ثوانٍ معدودة كان أهل المنطقة يحيطون به، وقلوبهم تخفق في عنف، فموت شاب صغير يثير الشجن في القلوب، خاصة لو كان مثل هشام بخفة دمه وشقاوته، التي لم يسلم منها أحد في منطقته.

في نفس الوقت، بل وفي نفس اللحظة تحديدًا؛ دوت صرخة ملتاعة في منزل قريب من مكان الحادث، وفزعت الأم، وهي ترى ابنتها لبنى تصرخ دون سبب واضح وهي تمسك رأسها في قوة، فانقبض قلبها، وقالت بصوت من يتوقع الاسوأ:

- "لبنى، هل حدث مكروه لهشام؟!"

ردت لبنى بصوت متهدج يضج بالمعاناة:

- "بالتأكيد حدث له مكروه يا أمي".

ثم صمتت قليلاً لتبتلع ريقها، وهي تضغط بكفيها على رأسها بقوة، لتستطرد بعدها في قلق:

- لقد شعرت بذلك يا أمي فهو توأمي، وأنت تعرفين تلك الصلة التي تربطنا ببعض جيدًا، وهو قريب فلم يمضِ عليه بالخارج أكثر من عشر دقائق.

اندفعتا بسرعة كبيرة نحو باب الشقة، وقلب كل منهما يدق في خوف، وقلب الأم يكاد ينفطر لهفة على صغيرها، ليقابلوا جيرانهم وهم يصعدون بهشام درجات السلم الضيقة، واثنان منهم يسندانه وهو يتحرك بينهم بصعوبة، منكس الرأس بادي الخجل والألم.

اندفعتا نحوه لتطمئنا عليه، وعلى مقدار الضرر الذي أصابه، وقلب الأم يكاد يقفز من صدرها عندما رأت الدماء تغرق وجهه وشعره، برغم المنديل القماشي العملاق الذي قام ابن حلال بلفه مؤقتًا حول رأسه، كضمادة بدائية.

صعدوا به مع باقي الجيران إلى شقتهم، والبعض يحاول أن يهوّن الأمور على الأم وابنتها، ويخبرهما بأن الله قد كتب له عمرًا ثانيًا.

كانت إصابته بسيطة لا تتجاوز بعض الرضوض في قدمه اليسرى، وجرح بسيط لا يستدعي الخياطة في رأسه.

وأخيرًا هدأ قلب أمه، وهي تتأمل حجم الإصابة الحقيقي، وبعد أن غادر الجيران المكان، ارتدت قناع الغضب وقالت له لائمة:

- "ستقتل نفسك يومًا ما، وتقتلنا معك قلقًا عليك أيها المتهور فاقد الإحساس والمسئولية".

احنى رأسه في خزي وخجل دون أن ينبس ببنت شفة. فأسرعت شقيقته لبنى إلى داخل الحمام، ثم عادت وقد أحضرت من صيدليته الصغيرة شاشًا، ومطهرًا، ولاصقًا طبيًا، عالجت به جراحه بمهارة اكتسبتها من عملها كممرضة في المستشفى العام القريب.

وأحضرت له الأم ماءً مذابًا فيه سكر، وأجبرته على تجرعه، ثم جعلته غير منتبه وألقت في وجهه قليلاً من الماء كي تضيع منه (الخضة) أو المفاجأة كما هو متوارث في عائلتها.

كانت أسرة متوسطة الحال مكونة من ثلاثة أفراد.. الأم، ولبنى، وهشام، والأب توفاه الله منذ عدة أعوام، ولم يترك لهم إلا معاشه الذي يكفي بالكاد لمتطلباتهم الأساسية، وكان عمل لبنى كممرضة يساعد على الأقل لتعيل نفسها، في حين كان هشام يعمل في وقت الإجازة في ورشة لإصلاح السيارات، حتى ينتهي من المعهد الذي التحق به.

أسرة عادية جدًا، والاختلاف الوحيد عن غيرهم من باقي الأسر في المنطقة، هو الصلة الروحية التي تربط بين هشام ولبنى لكونهما توأمين.

ما دورهم في القصة هنا؟!

هذا سؤال جيد، بعض الصبر ودورهم في القصة سيأتي لا محالة، ولنذهب الآن إلى الصعيد.

إلى إحدى قرى الصعيد النائية التي يحتضنها الجبل ويفصلها عن المدنية، وبالتحديد بداخل كوخ جبلي منفرد يقع بعيدًا عن المناطق المأهولة.

ففي هذا الكوخ المخيف جلس شخص في العقد السادس من عمره، له لحية سوداء هائلة، يرتدي ثيابًا أقرب لثياب المشعوذين والدجّالين، بل هي ثيابهم فعلاً.

تلتصق بوجهه ابتسامة لزجة مقيتة يمكن أن تراها على أوجه المنافقين والأفاقين، والمداهنين.. كما أن له رائحة خبيثة، هي مزيج من العرق، وروائح عطرية منفرة، وبخور.

جلس هذا الدجّال أمام مبخرة عملاقة تتصاعد منها الأبخرة والفرقعات الخافتة الناجمة عن احتراق البخور، وغيرها من الأشياء العجيبة التي يستخدمها المشعوذون في حبك خدعهم وحيلهم على البسطاء والجهلاء.

على منكبيه يستقر كتاب عملاق متهرئ يقرأ منه كلمات غامضة، ليقوم بعمل سحري لامرأة نحيلة كئيبة السحنة كانت تجلس أمامه وهي ترتجف، وفي عينيها نظرة خوف عاتية.

فما كان لامرأة مثلها أن تأتي وحيدة لهذا المكان القفر، إلا لأمر يهدد حياتها أو يهدد استقرارها، وهذا ما حدث بالفعل.

فزوجها الذي تزوجها طمعًا في مالها، قد زهد المال بعد أن كره سحنتها الكئيبة، وروحها المغلقة، وهجرها، وهي تريد عودته بأي ثمن، لأنها ستموت قهرًا لو عرفت أنه يمنح نفسه لامرأة أخرى.

الإشاعات تملأ البلدة عن علاقته بسعدية بنت محمد حسين

لذا فهي لم تتوانَ بأن تستعين بقدرات الشيخ بدران، الذي ذاعت شهرته وطبقت الآفاق، بسبب قدرته على القيام بأعمال السحر السفلية.

لقد منحت هذا المشعوذ ما يكفي لشراء فدان كامل من الأرض ليجيد عمله، ولم يبخل هو عليها بعلمه الأسود، فهاهو يردد منذ نصف ساعة كاملة كلمات لا تفهما بلغة غريبة، ولكن لها وقع مقنع ومخيف.

الأمر في البداية كان عاديًا لا يثير لديها القلق، ولكنها مع الوقت بدأت تشعر بحضور عجيب.

شيء ما يتسلل إلى داخل عقلها، شيء ما لا تفسير له، إلا ما يقوم به الدّجال.

حاولت أن تقاوم.

أن تصرخ.

ولكنها كانت عاجزة تمامًا عن التحكم في جسدها، قاومت لبعض الوقت، وفي لحظة واحدة فقدت كل مقاومتها الداخلية، واستسلمت لتلك القبضة الرهيبة المسيطرة.

لم يلاحظ الدجّال ما يحدث لها لانهماكه في القراءة من كتابه العتيق، إلا عندما شهقت المرأة في عنف مع سيطرة تلك القوى الغريبة عليها، نظر نحوها في استغراب، ثم في قلق، ثم في خوف شديد.

فما يحدث أمامه غريب عليه، ولا يمكن أن يكون من صنع يديه.

توقف عن القراءة من كتابه، ثم تعلقت عيناه المتسعتان بوجه المرأة المكفهر، وقد بدأت جيوش القلق تحشد جنودها بداخل روحه.

سقطت المرأة المتألمة على الأرض تتلوى وكأنها تعاني من حالة صرعية متأخرة، فانتفض في مكانه واقفًا كالملسوع بسرعة لا تتوافق مع سنوات عمره الستين، وكاد أن يصاب بأزمة قلبية، عندما صدرت من حلق المرأة تلك الشهقة العنيفة، قبل أن يتصلب جسدها النحيل وكأنه وتر مشدود، وتنهض أمامه كشيطان رجيم يُبعث من قلب الجحيم، وقد جحظت عيناها، واختفى سوادها، وانطلقت تصرخ بعنف، وجسدها ينتفض، وكأن هناك من يتلبسها أو يستحوذ عليها دون إرادتها، وهي تحاول مقاومته دون أمل.

وأخيرًا هدأت المرأة، وإن كسى سحنتها الكئيبة سواد مخيف، وكسا البياض عينيها في مشهد مروع.

تراجع الدجّال إلى الخلف، وقد اعتراه فزع حقيقي، وأخذ يردد بعض التعاويذ لتحميه من تلك الأرواح المجهولة التي تحيط به، ولكن الأمور كانت قد خرجت بالفعل من بين يديه، ولم تعد تُجدي تلك التعاويذ الزائفة، التي لم تنفع غيره لتنفعه الآن.

المرأة واقفة أمامه كقدر لا فكاك منه، وملامح المعاناة تظهر على وجهها جلية، وكأنها تحترق وهي تصارع قوىً مجهولة غير مرئية، وهو عاجز عن فعل أي شيء ذي فائدة من أجلها أو من أجل نفسه.

إن علومه قاصرة، فقدرته على ممارسة السحر تقتصر فقط على تنفيذ بعض أعمال الإيذاء المحدودة، وفك بعض الأعمال السحرية التي لا يستخدم فيها السحر القوي، إنه قادر على علاج الاستحواذ والمس، ولكن ما يحدث أمامه الآن هو شيء شيطاني لا قبل له ولا لعلومه به.

لذا فقد قرر بدران بنذالة متوقعة من أمثاله، أن يهرب من الكوخ، ويترك المرأة لمصيرها المظلم، وتوجه بالفعل وبخطوات مرتعشة صوب باب الكوخ المغلق، وقبل أن يفتحه سمع العواء المتألم الصادر من حلق المرأة، ثم شعر بلطمة قوية أصابته في ظهره، ليطير من مكانه وليرتطم بالباب في عنف مدو، ليقتلعه، وليندفعا معًا خارج الكوخ، وهو غير مصدق لما يحدث، وقد شعر بكل عظمة في جسده تئن وتتألم من أثر ارتطامه بالباب.

انتصبت المرأة أمامه في غضب، وحمل وجهها ملامح مخيفة لا تنتمي لعالم البشر بصلة، واستحالت عيناها إلى لون أبيض مخيف لا حياة فيه. وهي تنظر له بتوعد، وقد ظهر على جسدها قوة مفاجئة خارقة، مكنتها من حمل بدران كطفل صغير، قبل أن تقذفه في الهواء لعدة أمتار، ليسقط مرتطمًا بالأرض في عنف، حتى كاد أن يفقد الوعي، قبل أن تعاود السير نحوه بخطوات بطيئة لا حياة فيها.

ركع المشعوذ على قدميه في هلع، وهو ينظر برهبة ورعب شديدين إلى المرأة التي استحوذت عليها الشياطين، وأخذ يبكي، وهو يردد دون توقف:

– لا تؤذيني.. لا تؤذيني، وسأفعل لكِ ما تريدين.. انصرفي أيتها الروح انصرفي.

ثم أخذ يردد تعاويذ مبهمة، ليوقف تقدم المرأة دون جدوى.

اقتربت منه المرأة أكثر، بنفس خطواتها البطيئة الواثقة، فأخذ يتراجع على يديه وقدميه، وهو يحبو كطفل صغير لم يتعلم المشي بعد.

ودون مقدمات دوى صوت غليظ مقبض قاتم من بين شفتيها:

– لا تخف يا بدران.. إنه أنا معلمك القديم.

في هذه اللحظة، وبعد سماعه ذلك الصوت الذي لم يسمعه منذ ستة وعشرين عامًا، فقد بدران تحكمه في نفسه، وبال في سرواله وكاد يقضي رعبًا.

لم تخفف الكلمات من رعبه أو توتره، واجتاحت جسده رعدة هائلة جعلته ينتفض عدة مرات، وهو يتساءل برعب شديد، وقد شحب وجهه وصار كالغريق الذي لا أمل في نجاته لأن مصيره تحدد مسبقًا:

– معلمي من؟!!

دوى الصوت الرجولي الغليظ من بين شفتيّ المرأة، وقال:

– معلمك أصلان.. أنسيتني بهذه السرعة يا بدران؟!

وكأنه الغريق الذي وجد طوق النجاة بعد طول معاناة، فقال بصوت متهدج:

– سيدي ومعلمي أصلان!!

وعاوده التوتر، فقال:

– ولكن كيف؟! لقد مت منذ ستة وعشرين عامًا!

دوت ضحكة مخيفة غليظة من بين شفتيّ المرأة، وقال الصوت ساخرًا

- ومن قال إنني مت يا بدران؟!

قال بدران بصوته المرتجف الخائف، وقد بدأت روحه تهدأ بعد سلاسة الحوار مع هذه الروح العائدة من الموت:

- ولكني أنا من واريت جثتك في تلك المقبرة القديمة بيديّ، بعد أن فارقتك الحياة!

قال الصوت الغليظ بعتاب، ولكنه جاء كالتهديد:

- لقد تعجلت يا بدران.. لقد تعجلت كثيرًا.

شق القلق قلب بدران برمح ملتهب، فتساءل في خوف وحذر:

- على أي شيء تعجلت يا سيدي.. لقد كنت جثة هامدة!!

قال الصوت بنفس لهجة العتاب المغلفة بالتهديد:

- تعجلت على دفني يا بدران.

ثم صمت قليلاً، وروح بدران قد وصلت لحلقومه، والعرق الغزير يسيل ليغرق لحيته الكثة التي اختلطت بالتراب، وقال:

- لقد دفنتني حيًا أيها التلميذ النجيب.. لقد كنت تتعجل أن تصير أنت المعلم.

لو رأى أحد سحنة بدران بعد هذه الكلمات، وقد امتقع وجهه واسودت بشرته، والطفأت عيناه، لأشفق عليه وعلى سنه، ولو لم تأتِ الكلمات التالية لتمحو ذعره، لكانت هذه آخر لحظات حياته، فقد أكمل الصوت الغليظ حديثه، وقال:

- ولكنها كانت أكبر خدمة قدمتها لي في حياتك يا بدران، ودون أن تدري، وأنا لا أنسى من يخلص لي.

انطلقت الكلمات من بين شفتيّ بدران كالصرخة، وقال:

- كيف ذلك؟!كيف أدفنك حيًا عن جهل مني، وتعود لتخبرني بأنه أفضل شيء حدث لك، وتدعوني بالمخلص؟!!

كانت الأمور قد وصلت مع بدران إلى الذروة، وبلغ إيمانه بأنها اللحظات الأخيرة في حياته فازداد في تهوره، وقال:

- لو أنك أتيت من الجحيم لتنتقم مني، فأنا جاهز يا سيدي، افعل ذلك سريعًا ولا تطل فترة عذابي، لم يعد في العمر ما يستدعي البكاء.

انطلقت ضحكة هائلة من بين شفتيّ المرأة، وعاد الصوت الغليظ ليمتزج بفحيح غريب لتتشوه حروفه وهو يقول:

– وماذا يدفعني للحديث معك أيها الغبي لو أردت الانتقام منك، أو حتى تمزيقك إربًا، من يمنعني عنك؟

وعاد لصمته من جديد، وبدران يلهث، ثم استطرد مكملاً حديثه:

– إن ما حدث لي لا يخصك، ولكن ما يهمك الآن هو أن تعرف أني لن أقدم على إيذائك، بل إني سأخصك بمهمة من أجلي، لو قمت بها على أكمل وجه، سأمنحك كنوزا هائلة تجعلك أغنى رجال العالم وأكثرهم ثراءً.

لم ينبس بدران ببنت شفة، وإن كان لون وجهه قد عاد قريبًا من اللون الطبيعي، وبرقت في عينيه نظرة شرهه جشعة بعد أن سمع حديث المال.

وعاد يستمع للصوت الذي أكمل:

– إن جسد هذه المرأة غير مناسب لي يا بدران، أريد جسدًا آخر، جسد فتى مليء بالصحة والعنفوان والقوة.

– أريدك أن تأتي لي بولدك زاهر عند المقبرة القديمة، ليساعدني في المرحلة القادمة.

شهق بدران وقال في ذعر:

– ولدي زاهر لماذا، لماذا؟! أستطيع أن آتي لك بأي شخص آخر.

عاد الصوت الغليظ ليدوي بقوة، وقال:

– لا بديل عن ولدك يا بدران، وسأمنحك مقابل هذه الخدمة أكثر مما وعدتك به.

أسقط في يد بدران، ولم يعرف ماذا يفعل في ذلك المطلب الشاذ.

حقيقة أن ولده زاهر غير مقرب منه مثل باقي أبنائه، وخاصة بعد أن طلق زوجته العجوز ليتزوج بدلاً منها فتاة في عمر الزهور منذ سنوات، إلا أن زاهر رغم كل شيء ولده الذي خرج من صلبه، فكيف يضحي به.

كان شيئًا غير متوقع تمامًا أن تظهر مشاعر الأبوة فجأة لتطرق باب قلبه الغليظ، وهو الذي لم يرَ ولده زاهر منذ عشر سنوات، برغم وجودهما معًا في قرية واحدة.

عاد بدران من جديد لدنيا الواقع، وقال:

– سيدي إن حياتي فداء لك، ولكن ولدي كيف أذبحه بيدي، وهو في عمر الزهور؟

أتى الصوت غاضبًا ثائرًا:

- ومن قال لك إنه سيموت أيها المعتوه، هل أقتل ابن أخلص أتباعي؟ أي تفكير أحمق يسكن عقلك، إنني أريده فقط من أجل إكمال التعويذة، فهو فقط من سيساعدني للخروج من هذا القبر الذي أسكنتني فيه، وأنت بهرمك وشيبتك هذه لا تملك أن تساعدني، وإلا كنت أنهيت الأمر على الفور.

ارتجف بدران، وذهبت عنه فورة الشجاعة المفاجئة، عندما أتى معلمه على ذكر فعلته الشنيعة، وقال:

- سأنفذ ما تأمر به يا سيدي، على أن تغفر لي ذلك، وتعتبرني ذراعك الأيمن.

أتى الصوت الغليظ هذه المرة هادئًا من بين شفتيّ المرأة ليقول:

- إنك بالفعل ذراعي الأيمن يا بدران، وستحصل الآن على مكافأة ثمينة ستحفزك على فعل ما طلبته منك.

- اتبعني..

قالها الصوت بصرامة وغلظة، فهبّ بدران واقفًا، واتجه خلف المرأة التي لو أفاقت لماتت ذعرًا مما يحدث لها.

سار لمسافة غير بعيدة من الكوخ، وأشارت المرأة إلى مكان قريب بجوار أحد المدافن القديمة، وقال الصوت بحزم:

- احفر هنا.

أطاع بدران الأمر المفاجئ، وأخذ يحفر على الفور.

يحفر، والخوف يتسلل إلى قلبه..

يحفر، والعرق يغمر وجهه..

يحفر، وأصابعه تؤلمه..

يحفر، وأظافره تدمي وتتقصف..

يحفر بكل عزم وهمة ليفرغ انفعالاته، إلى أن اصطدمت يداه بشيء معدني فتأوه، وتوقف عن الحفر.

نهره الصوت ليسرع فعاد يحفر من جديد حتى ظهر التمثال الذهبي أمام عينيه لتتسعا في لهفة.. تمثال فرعوني متوسط الحجم من الذهب الخالص

انتزعه بدران من وسط التراب، وأخذ يمسحه في ملابسه، وعيناه تأكلانه في جشع ونهم، وخياله يسرح مع أحلام الثراء الباذخة.

ظل بدران مشدوهًا لدقيقة كاملة، ومعلمه يتطلع صوبه عبر عينيّ المرأة الشديدة البياض، تاركًا له هذه الدقيقة الثمينة في حضرة الذهب ليبدل بريقه روحه، قبل أن يقاطع تأملاته بصوته الغليظ، وقد أيقن أن التمثال قد حقق غرضه:

– غدًا في نفس الموعد تأتي لي مع ابنك زاهر، واحرص على حضور هذه المرأة معك، فهي وسيلة اتصالنا، ولا تتأخر عن الموعد بأي حال من الأحوال.

ابتلع بدران ريقه بصعوبة، قبل أن يقول بصوت مغيب، بدّله حصوله على التمثال الذهبي:

– لن أتأخر يا سيدي.. برقبتي.

عاد الصوت من جديد ليلقي عليه أوامره:

– ستعود الآن إلى كوخك أنت والمرأة، وبعد أن تفيق المرأة لن تتذكر أي شيء مما حدث لها، لتصرفها على الفور، ولكن احرص على عودتها غدًا

هز بدران رأسه موافقًا، وعيناه تلتهمان التمثال الذهبي التهامًا دون أن ينبس ببنت شفة، وقد أعماه بريق الذهب.

وتنفيذًا لأوامر معلمه أصلان، عاد بصحبة المرأة إلى الكوخ، فأخفى التمثال بداخل صندوق قديم يحتوي على بعض الملابس التي تخص عمله المحرم، ثم بدل ثيابه الغارقة في البول، وأيقظ المرأة التي كسى الذهول وجهها بعدة صفعات، ثم صرفها بعد أن أكد لها على عودتها في اليوم التالي بعد الغروب، وفي عقله أخذ سؤال مضنٍ يلح عليه بعقله بلا توقف:

– كيف سيقنع ولده زاهر على القدوم غدًا؟

***

في هذه الأثناء، وبعد انصراف بدران والمرأة من الكوخ، وبداخل المقبرة القديمة حدث شيء غريب، وعجيب، ومخيف في نفس الوقت، لقد ثارت الأتربة التي ظلت ساكنة لسنوات عديدة، وتناثرت في كل مكان داخل المقبرة، وتحرك شيء ما بداخلها، شيء غير محدد الملامح، وإن كان يتوهج بوهج أزرق عجيب.

لم يكن هذا الشيء إلا أصلان، أو من كان أصلان منذ ستة وعشرين عامًا.

استقر جسد أصلان في مكانه داخل المقبرة، وهدأت أخيرًا عاصفة الأتربة التي تناثرت حوله، ليظهر بجلاء حدود جسد أصلان المتوهج في قلب ظلام المقبرة الدامس، كمصباح إشعاعي متألق.

لم يكن جسده بحالته البشرية المعتادة، لم تكن هناك العظام التي تحدد هيكل الجسم، ولا الجلد المشدود الذي يغلفها. لقد تحول جسد أصلان إلى كيان هلامي لا شكل له يتوهج بضوء أزرق ساطع.

لقد ذهب أصلان القديم بغير عودة وما تبقى منه هو كتلة هلام حية، تعيش في وسط إشعاعي رهيب، أعلى مقبرة فرعونية لم تُكتشف بعد.

المقبرة نفسها كانت مختلفة، لم تكن تشبه أي مقبرة أخرى أنشأها الفراعنة عبر تاريخ الأسر الحاكمة، إنها مقبرة حجرية عجيبة أُنشأت لهدف معين.

سجن من نوع ما يحتجز بداخله قوى وحشية رهيبة، لم يستطع الكهنة التحكم فيها بعد هزيمتها، فدفنوها في هذه المقبرة الغامضة، ثم وزعوا مفاتيح القوة القادرة على تحريرها في عدة أماكن أخرى، حتى يصعب العثور عليها ليتقوا شرها.

لم يعرف أحد أبدًا كيف ظهرت هذه القوى الوحشية الملعونة، التي تسيطر على أجساد البشر، وتمتص حيويتهم، وحياتهم نفسها دون رحمة ودون أناة.

لقد ذاق الفراعنة على يد هذه المخلوقات الأمرين، وهلكت عدة قرى على أيديهم، ولم يعد من الممكن الصمت على هذا الأمر، خاصة وأن الأعداء يعدون العدة للقضاء على الفرعون واحتلال القطر المصري، والقائد الجيد لا يجب أن يحارب جبهتين في وقت واحد.

جاء الأمر من الفرعون حازمًا صارمًا، لابد من تطهير الجبهة الداخلية بأي ثمن، قبل بدأ المعركة مع الأعداء.

وأمر فرعون مقدس وتهون معه الحياة.

مئات من الضحايا فُقدوا حتى تمت تسوية الأمر، بعد أن تمت الاستعانة بعلوم الكهنة السرية، ومساعدة بعض الأصدقاء الغامضين القادمين من وراء النجوم.

أمر الفرعون بدفن أصل هذه الشرور، وتمّ حبس هذه الكائنات الهلامية الزرقاء في صناديق ذهبية، وإغلاقها بتعاويذ سحرية خارقة.

ومرت عدة آلاف من السنين، وطُمرت هذه المقابر التي تمّ إخفاؤها بعناية وسرية، وقام الأهالي ببناء هذه المقابر فوقها دون أن يعلموا بالهول القابع أسفلها بباطن الأرض.

وذات يوم وبالقرب من موقع المقبرة، وتحديدًا في الكوخ الذي يسكنه بدران الآن ليمارس فيه عمله المحرم، وقبل ربع قرن من الزمن، اشتد على أصلان العجوز المرض، وتطور الأمر بسرعة لعدم وجود من يُعنى به في سنه المتقدمة هذه، خاصة وأن مساعده بدران كان في مهمة أرسله إليها بنفسه، ليسقط أصلان في غيبوبة عميقة استمرت عدة أيام، وحينما أتى بدران من مهمته ظن أن معلمه قد مات، ولاقى ذلك هوىً في نفسه، فشرع بإجراءات الدفن دون أن يخبر أحدًا، واحتل مكانه، وصار المعلم بدران.

الذي شجع بدران على إنهاء الأمر بسرعة، أنه وقبل ثلاثة أيام من موت أصلان، ضرب الزلزال أرض مصر.

شعر الجميع بالزلزال العنيف الذي تسبب بموجة من الذعر والهلع لا مثيل لهما، وتفاعل كل منهم معه بطريقته، ولكن تفاعل بدران كان مختلفًا.

فبداخل بدران تولد شعور طاغٍ بأن الزلزال الذي حدث منذ عدة أيام، كان نذير سوء لحدوث أمر جلل في المستقبل القريب، لقد علمه معلمه أصلان أن يقرأ العلامات، وهذه علامة قوية ولا يمكن أن يغفلها.

وعندما عاد من مهمته الشنيعة التي كان يقوم بها، وهي إحضار كبد شاب منتحر من حارس مقابر يعرفه أصلان، والذي أبلغهم عن طريق وسيط بتوفر طلبهم القديم، والذي يحتاجه أصلان من أجل عمل سفلي انتقامي.

وعندما وصل بدران إلى الكوخ الجبلي يحمل ذلك القلب المشؤوم، فوجئ بفقدان أصلان للنطق وغياب علامات الحياة عنه، فوقر بداخله أن الزلزال قد حدث نتيجة موت أصلان المشعوذ المعروف، فشخصية قوية مثله لا يمكن أن تموت ببساطة قبل أن تنعاها الطبيعة.

ولأن أصلان لا أهل له.. قام بدران والعمال الذين استأجرهم من خارج البلدة بدفن أصلان في المقبرة القديمة دون علم ملاكها الحقيقيين، فمن هو مقطوع من شجرة مثله لا يملك مقبرة ليتم دفنه بها.

كان الزلزال هو البداية.

وقد حدثت نتيجة هذا الزلزال تشوهات جيولوجية عنيفة في طبقات الأرض، أدت هذه التشوهات إلى انسحاق المقبرة الفرعونية القديمة، وحدوث شرخ ضئيل لا يُرى بالعين المجردة في ذلك الصندوق الذهبي المطلسم الذي يحتوي على قوى الشر القديمة.

وبرغم ذلك الشرخ لم تستطع هذه المخلوقات الوحشية النفاذ عبر الصندوق الذي تحميه تلك التعاويذ الفرعونية القوية، ولكن ما تسلل منه كانت قوى رهيبة مخيفة أشبه بالفيروسات، وإن كانت تختلف عنها تمامًا في تركيبها ووظيفتها، وراحت هذه القوى تبحث عن عائل مناسب، ولم تجد أمامها إلا أصلان الذي سحقته الشيخوخة، وسيطرت عليه مخالب الغيبوبة،

فبدأت تُسلط قواها عليه، ولم يكن الأمر سهلاً، ولا سريعًا، استغرق الأمر عشرون عامًا كاملة، تحول أصلان بعدها لذلك الكائن الهلامي المتألق.

أخذت الأيام تمر بعد انتهاء التحول، وأصلان ينتظر موت أي شخص جديد كي يأتوا لدفنه، فيستطيع أن يستحوذ على جسد جديد وطازج، جسد يستطيع أن يتحمل تلك التغيرات العنيفة التي ستحدث له مع عملية الاستحواذ، خاصة وأن الأجساد البشرية أصبحت هشة مع مرور الزمن ولا تحتمل بسهولة عملية الاستحواذ.

ومر الوقت دون أمل، وكأن أهل قريته قد كُتب لهم الخلود، فلم يعد منهم أحد يموت ليأتوا لدفنه، فتتاح له الفرصة ليتحرر أخيرًا من سجنه المظلم.

كان كوخ أصلان قريبًا جدًا من المقابر، وبرغم تحوله وامتلاكه للقوة، لم يجد أصلان أي وسيلة تمكنه من الاتصال ببدران، حتى حضرت عنده هذه المرأة التي جاءت تشكو من هجر زوجها.

كانت امرأة غير طبيعية، مصابة بخلل عضوي في المخ، وهو ما أكسبها هذه السحنة المكفهرة، وهذا الخلل جعلها أفضل وسيط يتم عبره الاتصال. وعبرها استطاع أصلان أن يتصل ببدران، وأن يعقد معه الاتفاق الذي سيمنحه القدرة على العودة، وبالتالي سيمنح لهذه المخلوقات فرصة لن تتكرر للبعث من جديد.

الزلزال الأول أحدث الشرخ في الصندوق المطلسم الذي يحتوي على القوى الوحشية التي تتغذى على حيوية وحياة الأجساد البشرية، ولكن الزلزال الأخير كان الأكثر أهمية، فقد تسبب في سحق صندوق آخر، لم يبال الكهنة بتحصينه بنفس قوة الصناديق الأخرى.

محتويات هذا الصندوق كانت تختلف تمامًا عن تلك الكائنات الوحشية.

مجرد كائنات طفيلية تشبه دود الأرض، إلا أنها أكبر حجمًا وأكثر شفافية، لقد توقع الكهنة أن تهلك هذه الكائنات مع مرور الوقت، فما هي إلا ديدان كبيرة الحجم على كل حال، ولكنها ظلت حية عبر مئات القرون بوسيلة ما.

وما لم يعرفه الكهنة أن هذه الكائنات الطفيلية الأقرب إلى الدود هي مفتاح العودة للسادة.

تلك المخلوقات الوحشية ذات القوة المروعة، التي لم تخلف وراءها إلا الدماء والضحايا.

فما أن انسحق الصندوق الذهبي الذي يُحجمها، حتى تحررت هذه الكائنات الطفيلية، وانطلقت تنفذ خطة العودة التي وضعها السادة في اللحظات القليلة قبل دفنهم بعد أن قرأوا عقول الكهنة، وعرفوا خطتهم الكاملة لمقاومتهم.

كل هذه المعلومات لم يكن يمتلك منها أصلان إلا النذر اليسير

ولكنها كانت كافية تماما لبعث اللعنة من وسط الرماد.

وعودة أبناء السماء.

•••

وفي وقت سابق، وفي أعماق المجرة، وبالقرب من أحد كواكبها المأهولة التي لم تتوصل لها اكتشافات الفضاء الأرضية.

وفي مدار خاص بالقرب من قمره الثاني، دوى أزير خافت بداخل إحدى سفن الفضاء البحثية، وبداخلها تحرك مخلوق حي يشبه في تركيبه الخارجي البشر، ولكنه يختلف عنهم في تفاصيل أخرى كثيرة، ليقف أمام جهاز البث الفضائي، ليستقبل الرسالة التي تراصت بحروف مجهولة لا مثيل لها على كوكب الأرض، مع تكليف إمبراطوري بمهمة جديدة، مهمة تخص كوكب الأرض، الكوكب الذي حذر منه مجلس العلماء مرارًا، والذي يحمل على كل الخرائط الفضائية علامة إكس؛ دليلاً على خطورته. إنه استدعاء خاص لكوكب شرير، لعنة من تلك اللعنات التي تجوب الكون، لتختار التعساء.

و لم يكن عليه إلا أن يلبي.

الجزء الثاني

الثمرة المحرمة

استسلام

تقول الحكمة القديمة:

"الموت أخف وطأة من انتظاره".

هذا ما دار بداخل رأس شريف منصور، وهو يقترب مهزوم الإرادة من قبر أبيه، وكل جزء في جسده يرتجف، ويتعرق، وكأنه متصل بتيار كهربي عالي الفولت.

من يتخيل في أبشع كوابيسه أن يقوم شخص في مثل انطواء شريف وانعزاله بمثل ما هو مقدم على فعله، فهاهو بكامل إرادته يدخل في دائرة المحرمات التي لا يمكن لشخص عاقل أن يزج بنفسه بداخلها.

لم يعد الأمر في عقله مجرد فكرة أو نزوة، بل هو استسلام كامل لإرادة النداء القاهر.

لقد تحول الأمر من مجرد فكرة مخيفة منفرة إلى رد فعل عملي، انتقل بمجرد وقوعه تحت الضغط – ولا ننكر هنا أنه ضغط غير طبيعي – إلى حيز التنفيذ، فها هو شريف يقف أمام قبر أبيه، وفي يده الرفش المعدني ذو اليد الخشبية، وسيقوم بالفعلة الشنيعة التي لا يقرها عرف ولا دين.

سيبيش قبر أبيه.

هل هو خائف؟!

بالتأكيد هو خائف، بل وتعدى بهشاشته مرحلة الخوف إلى مرحلة الهلع!

لماذا لم يقاوم أكثر؟!

- لا أحد يعرف!!

لماذا لم يهرب أو يتجاهل الأمر؟!

- الخوف يفعل أكثر من ذلك.

لا أحد يستطيع أن يحكم على شريف إلا لو كان في موضعه، يواجه ما يواجهه ويكابد ما يكابده، وربما هي قدرة ذلك النداء الرهيبة في السيطرة على ضحاياه. لقد انتقى النداء ضحيته هذه المرة، وقد أحسن الانتقاء.

شخصية انعزالية هشة لم تستطع أن تقاوم لوقت مناسب، ربما لضعف ما في إيمان الشخصية؟! أو عدم إيمان هذه الشخصية بنفسها وقدرتها.

لو بحثنا خلف جميع الأسباب التي جعلت شريف يستسلم لإرادة ذلك النداء لعرفنا أنه الخوف الهستيري.

ذلك الخوف الذي يجعل المهددون بالموت يقدمون على الانتحار، فبدلاً من الإيمان بقدرة الخالق على نجدتهم في الوقت المناسب، يبحثون عن مخرج آخر يُنهي معاناتهم بطريقة أسرع، دون النظر إلى ما يلي هذا الإجراء من تداعيات قد تكون أشنع مما لو واجهوا الأمر بشجاعة، واتكأوا على أرضية إيمانية صلبة.

لن أطيل عليكم في محاولة لفهم نوازع شريف التي قادته لذلك الاستسلام المخزي للنداء، فقط أحب أن أنوه هنا أن استسلامه لم يكن لقوة النداء، بل على العكس تمامًا لضعف بالغ في شخصية شريف.

لقد اختار شريف أن يظهر بمظهر الضحية أمام نفسه، واختار الحل البعيد.

سيبيش قبر والده.

***

كان شريف متوترًا كما للتوتر أن يكون.

مشاعره مبعثرة وحلقه جاف، وعرقه الغزير يغرق تحت إبطيه، مع إيمانه الكامل بقرب نهايته، التي ستحسم أشياء كثيرة في حياته لم يستطع حسمها بإرادته.

في رأيي هو نوع مقنّع من الانتحار.

أو ربما استجاب الشيطان أخيرًا لتوسلاته، وقرر أن يصحبه معه للجحيم.

وكلما اقترب الأمر صار هشًا عن ذي قبل، ومع الوقت صارت مشاعره الداخلية كالبحر المتلاطم، فبداخل عقله صوتان.

صوت يخبره أنه يجب أن يفر، ولا يجب أن يستسلم أو يرضخ لهذا النداء الشرير، ولدور الضحية الذي يستمتع بأدائه، وهو صوت ضعيف واهن، وصوت مزعج يلح عليه من أجل أن يستمر ليكشف سر ما يحدث من حوله ولينهي هذا الغموض.

كانت نفسه تميل إلى الصوت الأول، ولكن جسده أطاع الصوت الثاني، وبدأ الحفر.

لم يكن يحفر بداخل القبر نفسه بل بجواره، وهذا ما هدأ من نفسيته الثائرة قليلاً.

لا يعرف حقًا كيف حدد هذه المنطقة بالذات ليحفر فيها، ولكنه عرف عن يقين أنها النقطة المنشودة.

ضرب الأرض في قوة بمعوله القديم، وبدأ يزيح أكوام التراب ليصنع الحفرة المطلوبة.

كم استغرقه الأمر.

لا يدري حقًا.

لقد استمر يحفر طوال الليل، ومع ظهور أول شعاع لضوء النهار بدأ ينتبه إلى أنه لم يتوقف عن الحفر منذ ساعات، وبرغم ذلك لا يشعر بأي إنهاك.

نظر إلى أعلى ليقيس ارتفاع الحفرة التي يقف في قعرها لتتسع عيناه في ذهول ودهشة.

لقد حفر ما يفوق الأمتار العشرة.

نظر حوله بحثًا عن أكوام التراب المتخلفة عن الحفر.. فلم يجدها. كما أنه يرى في الظلام جيدًا.

شعر بتلك الحركة الغامضة تتجدد تحت جلده بخفقان متسارع.

شعر بنشوة لا يعرف مصدرها.

إنه ليس وحده بالتأكيد.

هناك قوة ما تساعده.

قوة خفية وخارقة.

إنه يشعر منذ زمن بالحضور الطاغي لتلك القوة، يشعر بتواجد عجيب يجعل شعر عنقه ينتصب في قوة.

كم يريد أن يستسلم لهذه القوة، برغم أن القوة لا تريد ذلك.

اجتاحه حماس عجيب عندما شعر بأنه قريب من هدفه.

أخذ يتنفس في عمق محاولاً أن يتنسم عبير هذه القوة التي تسانده، وهو يشعر بإحساس متنامٍ من الإثارة.

النشاط يدب في كل جزء من كيانه دون كابح، تغير غريب يشعر به يطرأ على جسده.

عاود الحفر بسرعة أكبر، ونشاط غير مسبوق، وهو يري نفسه إنسانًا آخر..

إنسانًا خارقًا.

لم يبالِ بشروق الشمس ولا بانبلاج النهار، إنه أسمى من كل مخاوفه القديمة، ولا يوجد كائن حي يستطيع أن يوقفه، أو يجبره على عدم إتمام مهمته.

إنه شخص مختلف.. لقد انتهى شريف القديم لينبعث شريف جديد من رماده الخائف..

واصل الحفر بكل همّة، وشعوره بالحضور الطاغي يزداد، وشعوره بقوته يتضاعف.

عشرون مترًا، والحفر مستمر..

لا يشعر بالحر ولا بضيق في التنفس كما يفترض أن يحدث.

ثلاثة وعشرون مترًا، والحفر مستمر..

خمسة وعشرون مترًا..

سبعة وعشرون مترًا..

و أخيرًا ظهر الصندوق..

صندوق متوهج من الذهب الخالص..

صندوق مختوم بأختام فرعونية سرية لا مثيل لها..

تقدم شريف من الصندوق في انبهار طاغٍ، وقد اتسعت عيناه في قوة، وبدا مسلوب الإرادة تمامًا، وهو يمد يده محاولاً لمسه. ثم دوى الصوت الهادر بأعماقه:

- لا تحاول..!!

دوى الصوت عاصفًا مهيمنًا غاضبًا، صارمًا ومحددًا.. ولكن شريف كان في عالم آخر، إحساسه الطاغي بالقوة جعله يُكمل، ويمد يده أكثر.

كانت مجرد لمسة.. لمسة لم تتجاوز الوهج المحيط بالصندوق.

لمسة صاعقة دفعته ليصطدم بجدار الحفرة الترابي، ليسقط أرضًا متألمًا ليتلاشى كل إحساس داخله بالقوة في الساعات الماضية.

وأمام عينيه المذعورتين، توتر الهواء من حوله، وكأنه صفحة نهر في يوم غائم، ثم دوى الأزير المزعج وصحبه ضوء متألق، ليظهر ذلك الشيء المعتم أمامه من قلب العدم بعيون زرقاء متوهجة.

ومع أحاسيسه المضطربة لم يرَ من هذا الشيء إلا العينين المتوهجتين بالضوء الأزرق القاتل.

اجتاح شريف ذعر عاتٍ.. وكعادته بحث عن أسهل وسيلة للهروب، ولكن الشيء المعتم الذي بدأت تفاصيله تتضح لعينيه المذعورتين، لم يمنحه أي فرصة ليترجم أفكاره لفعل عملي، وبسرعة مذهلة رفع ذلك الشي نحوه ما يشبه رمحًا أسطوانيًا معتمًا. انطلقت من فوهة الرمح المسدسة الشكل شبكة ضوئية متألقة، أحاطت بشريف في إحكام مما جعله يفكر لوهلة، هل يلمس الضوء؟

وفي اللحظة التالية شعر بتيار متردد عالٍ يصعقه، فارتج مخه في رأسه بعنف، وتحت الجلد الذي يكسو صدر شريف وبجوار قلبه تمامًا، حدثت حركة سريعة مجهولة فبدا للعيان أن هناك ثعبانًا حيًا يتلوى أسفل جلده، قبل أن ينتفض شريف انتفاضة أخيرة خفيفة، ويهمد جسده تمامًا.

***

استيقظت رضوى من نومها فزعة، وهي تشعر بآلام شديدة في حلقها، وكأن هناك من قام بشق حنجرتها بنصل حاد قبل أن يملأه برمال جافة.

سعلت عدة مرات لتطرد ما علق في رئتها من تراب القبر، واستنشقت الهواء البارد في جشع، ورائحة الموت والجثث تزكمان أنفها دون رحمة.

شعرت بتنميل بسيط في رقبتها فعزته لنومها غير المريح.

ثنت جسدها بصعوبة، وهي تستعمل قبضتيها لتجلس فوق الفراش ناظرة حولها في عدم تركيز في أنحاء غرفتها المظلمة، قبل أن تتداعى إلى عقلها أحداث الليلة السابقة المخيفة، لتهاجمها فورة مشاعر لم تتخلص منها إلا بالبكاء.

نظرت حولها في حيرة، وعقلها عاجز تمامًا عن هضم ما مر بها.

إنها تذكر كل الأحداث وكأنها حدثت الآن.

تذكر الكلب الشيطاني، تذكر النداء، تذكر دخولها للقبر ونبشه، تذكر الأذان، تذكر أمها، تذكر النداهة.

أي نداهة؟

هي لم تر أي نداهة. أمها هي من ذكرت النداهة.

وما حدث لا يمكن أن يتشابه مع قصص النداهة، فالنداهة لم تدعُ أحدًا لنبش قبر أبيه، القصة مختلفة هنا، ولكنها مخيفة أيضًا.

ظل جسدها يرتجف لعدة دقائق رغم حرارة الجو، إن فكرة أنها كانت بداخل القبر مازالت تروع كيانها.

تطلعت حولها من جديد وقد بدأ عقلها يصفوا قليلاً، مازال طلاء الليل الأسود يخضب كل شيء، والنهار مازال حلمًا بعيدًا.

نظرت للجانب القصي من الغرفة مستعينة بمصباح الصالة الواهن، الموشك على الاحتضار، والذي يُرسل ضوءه عبر نافذة الباب الزجاجية بحياء. فلمحت أمها نائمة هناك فوق مقعد خشبي غير مريح دون أن تشعر بطلتها، ابتسمت ابتسامة باهتة، ثم سعلت مرتين ومسحت الرذاذ المتطاير من فمها في رداء نومها الذي بدّلته لها أمها النائمة مع الملاءات المتسخة. والتي لابد وأنها ماتت عدة مرات، وهي ترى فلذة كبدها في هذا الموقف.

كانت تتمنى لو أن أمها نامت معها في نفس الفراش لتغفو في أحضانها، ولكنه كان حلمًا بعيدًا، فهي لن تجرؤ على إيقاظ أمها الآن بعد أن أفزعتها، كفاها ما رأته قبل أن تنام.

لم يتوقف جسدها بعد عن الارتجاف، ولكنها أصبحت ارتجافات متباعدة، أخذت ترمق أمها وقد شعرت برغبة عاتية للنوم. لم تستسلم لها بسهولة. شعرت بعد لحظات بحركة رتيبة تشبه النبض تنبع من صدرها، وعندما حاولت استجلاء الأمر، شعرت بدوار مفاجئ، وبأن وعيها ينسحب، وبدون وعي أخذت تردد دون توقف:

(شيء من بعيد ناداني، شيء من بعيد نداني، شيء من بعيد ناداني)

وقبل أن يغيب وعيها تمامًا، شاهدت جزءًا من الظلام ينفصل ويتحرك نحوها، ثم سمعت صرخة أمها الملتاعة قبل أن يجذبها النوم إلى مملكته.

***

يشبه زاهر أباه بدران كثيرًا، إلا أنه أكثر فتوة وأكثر شبابًا. الوسامة كما يبدو لم تعرف جينات هذه الأسرة نهائيًا، ولكنهم استعاضوا عن الوسامة بالقوة البدنية والطول الفارع.

كان زاهر عملاقًا بشريًا.. تراه بتلك العصا الغليظة التي يحملها في يده سائرًا في أنحاء البلدة مصعرًا خده للمارة والجالسين، لتتذكر على الفور مطاريد الجبل وقطاع الطرق، وبالتأكيد لو كان منهم لكان هو الخُط الكبير.

تعجب زاهر كثيرًا من زيارة أبيه الليلية في اليوم التالي، ولكن تعجبه تلاشى ومعه ريبته؛ عندما شاهد التمثال الفرعوني الذهبي، الذي لفه أبوه في بعض الملابس القديمة، وقبض عليه في قوة كمن يقبض على روحه ذاتها.

لقد محى بريق الذهب سنوات من الجحود والنكران بين الابن وأبيه، واجتمعت القلوب الناقمة مرة أخرى على أنغام الطمع والمصالح.

لم يتردد زاهر في أن يذهب مع والده، في ذلك الوقت المتأخر من الليل، لنبش تلك المقبرة التي تحتوي على ذلك الكنز المزعوم، الذي أخبره أبوه

بوجوده، وأكد حقيقته ذلك التمثال الذهبي المتألق الذي رآه بأم عينه. فالطمع يعمي القلوب ضعيفة الإيمان، وما أضعف الإيمان بقلب زاهر.

زاهر الذي يعمل كمخبر في نقطة القرية القريبة من المصرف، والذي لم يتورع على التنكيل بأهل قريته لمجرد أن يرى الرضا في عينيّ الضابط الذي يرأسه، لقد مات قلب زاهر منذ دهر مع أول متهم بريء مات بين يديه.

قلب جاحد وعقل مغلق.

لم يختلف قلب بدران عن قلب ولده، فلو كان قلب زاهر كالحجارة أو أشد قسوة، فإن بدران بلا قلب أساسًا يُركن إليه.

مجرد دجّال آخر تعلم بعض فنون السحر الأسود، وطريقة عمل الأعمال السفلية الضارة، وفكها على يد معلمه الذي ظن أنه مات، ثم عاد ليُبعث من الحياة الأخرى كالعنقاء.

كان بدران جشعًا، فضّل أن يمارس السحر والشعوذة على أن يفلح أرضه ويأكل من حلال.. كان يشعر بقوته عندما يرى نظرة الرعب في العيون التي تأتي إليه لتطلب مساعدته.. كان ينتشي عندما يُسلّم أب ابنته ليديه ليعبث بجسدها كما يشاء ويتلقى الشكر على ذلك.

كم رجلاً قتل بيديه؟ كم امرأة سلّمت نفسها إليه.. كم من أموال استولى عليها.. بدعوة إرضاء الأسياد.

لقد كان بدران وغدًا بلا قلب. لذا لم يتورع على أن يستبدل أبونه بعدة تماثيل ذهبية من الذهب الخالص. وحقيقة أن قلبه قد حنّ في البداية، عندما طلب معلمه العائد من الموت أن يُحضر إليه ابنه غير المقرب منه، لا يمكن أن نتأكد منها، لأن الأمور كانت متعادلة وقتها، وقد ظن أنه سيحسن سندًا يمكن أن يحتاج إليه في يوم من الأيام.

وربما استيقظ قلبه من غيبوبته، ثم عاد لها مع رائحة الأموال التي لا حصر لها التي انتشرت في الأفق.

وربما شيء آخر لا نعلمه، فمثل هذه القلوب الخربة غير العامرة بطاعة الله تتقلب كما يتقلب الكائن الحي فوق الجمر.

فقلب بدران كان خاليًا من كل المشاعر الإنسانية عبر سنوات عمله في الدّجل والسحر الأسود.. قلب عاصٍ لم يعرف الإيمان أو الحب أو المشاعر الصادقة.

وزاهر الذي لم يعرف أباه إلا كاسم يتبع اسمه في البطاقة الشخصية، أعماه بريق الذهب والوعد بالمزيد.

جمعهما الطمع والجشع لتحقق الخطوة الأولى في تلك الخطة الجهنمية، التي منحها الزلزال ودفن أصلان في المقبرة حيًا لتلك المخلوقات الوحشية لتطور خطتها الأولى، التي ستعيد لهم حريتهم وليبدأوا في الانتقام والتكاثر.

في جنح الليل تقدم الاثنان في الطريق المظلم عبر ممر ضيق يقودهم لسفح الجبل القريب، كانت المرأة تنتظرهم هناك، عند الكوخ القديم الذي أعاد بدران تركيب بابه كيفما اتفق في اليوم السابق، لم تحتج المرأة هذه المرة للاحتيال على زوجها لتخرج، فهو لم يكن في البيت منذ اليوم السابق، لقد ذهب إلى المركز القريب كما ادعى، وكأنها لن تعرف أنه يبيت ليلته في أحضان سعدية.

كانت واقفة بسحنتها الكئيبة وعينيها الطبيعيتين تمسحان الطريق في توتر والقلق يظهر جليًا على وجهها الكئيب، خاصة بعد أن أتت في الموعد المحدد، ولم تجد الشيخ بدران بداخل كوخه.

مرت دقائق ثقيلة وأخيرًا ظهر بدران وبصحبته زاهر، يرشدهما في الطريق مصباح متوهج لا يكف عن الفحيح (كلوب)، تقدما منها ثم دعياها لتنضم لهما، كانت قلقة من وجودها في هذا المكان الموحش، بصحبة غريبين، فبرغم كل شيء هي أنثى، ولكن بدران طمأنها وأخبرها أنه لكي يتم مفعول العمل يجب أن تضعه بيدها بداخل القبر.

صدمها الأمر في البداية ولكنها أطاعت في النهاية، والحقد يأكلها وصورة سعدية تحتل المساحة العظمى من أفكارها. ولو أمرها بدران أن تلقي بنفسها أسفل عجلات القطار لن تتردد، لترى الدموع وقد كست وجه سعدية، والحزن وقد اغتال قلبها.

إنها تكرهها كالوباء.

قطع الأمتار الثلاثة القليلة التي تفصلهم عن القبر، وهي تستعيذ بالله في كل خطوة، حتى وصلا للقبر المنشود. وعلى الفور بدأ زاهر في فتح باب المقبرة، بعد أن أطاح بقفلها بضربة واحدة هشمته على الفور، من عتلة حديدية يحملها من أجل هذا الأمر بالذات.

ما حدث بعدها لا يمكن وصفه.

عاصفة هائلة من التراب والغبار اندفعت خارج المقبرة لتهاجم زاهر، صحبتها صرخة مروعة انطلقت من حلق بدران.

أضواء زرقاء متوهجة تجرح عتمة الليل، وتلمع كبرق أزرق وسط السحب الترابية.

أصوات مختلطة مريعة.

صراخ السيدة المروع الذي أقلق منام الموتى في قبورهم الساكنة التي لم تألف الضجيج.

شهقات وغرغرة وكأن صاحبها يعاني من سكرات الموت.

صوت تهشم عظام.

صرخة أخيرة من حلق زاهر.. مع التماع برق أزرق في سماء القبر.

ثم ساد الصمت الموتر للحظات.

وهدأت العاصفة الترابية.

وانتصب زاهر واقفًا مع توهج أزرق لا مثيل له شعّ من عينيه في قوة، فبدا في الظلام كشيطان مريد قادم من عالم آخر.

وعلى الأرض الترابية الجافة سقط بجواره بدران جثة هامدة، مهشمة العنق، فاقدة لكل مؤشرات الحياة، غارقة في مزيج من دماء متخثرة وغبار كثيف، وبجوار الجثة تمددت المرأة تئن وتتوجع بعد أن تهشمت ساقاها بطريقة عنيفة، ويبدو من طريقة تهشمها أنها لن تستخدمها في السير مرة أخرى.

وبكل برود الدنيا مزق زاهر جزءًا من ملابس بدران الغارقة في الدماء، ثم قيد بها المرأة في عنف وإحكام من يديها وقدميها وفمها، وزج بها وهي لا

تصدق إلى ظلام القبر، قبل أن يغلق بابه الحديدي في قوة، ليضع القفل المهشم في فتحته ويحكم إغلاق المقبرة كخطوة احترازية قام بها الأسياد.

وما أن انتهى زاهر من مهمته، حتى دار بجسده الضخم حول نفسه، ثم أطلق ضحكة هائلة وحشية، وهو يندفع بخطوات واسعة نحو الطريق العام.

وفي رأسه أمر واحد، سيقلب كل شيء رأسًا على عقب.

***

استيقظت رضوى من غيبوبتها فزعة، ليدق قلبها في قوة، ولتجحظ عيناها في هلع، قبل أن يجتاحها خوف عارم.. لا مثيل له.
لم تكن في غرفتها.

بل لم تكن في منزلها.

ولا في أي مكان آخر تعرفه.

كانت مقيدة إلى حائط صخري جاف، وكأنها بداخل كهف أو معبد قديم.

الظلام يغمر كل شيء ولا شيء واضح إلا رائحة عطرية غريبة لا توحي بطبيعة المكان الغامض.

حاولت أن تصرخ طلبًا للنجدة، ولكن فمها كان مكممًا برباط قوي يغلق فمها بكرة مطاطية، رأت مثلها كثيرًا في أفلام الرعب التي تفضلها. وإن لم يكن هذا عزاءً جيدًا.

هزت رأسها عدة مرات في محاولة لاستجداء بعض الفهم والصفاء، وحاولت أن تقنع عقلها بأن يفيق من هذا الكابوس المخيف، ولكنها لم تجد استجابة. فهزت رأسها مرة أخرى في محاولة لفك القيد الذي يُعجزها عن الكلام، ولكنه كان محكمًا لدرجة كبيرة.

أخذ الذعر يتسلل إلى نفسها دون هوادة.. فاندفعت تقوم بحركات تشنجية ضيقة، لم تزدها إلا ألمًا مع شعور عارم بالعجز اجتاح كيانها كله.

حاولت مرة أخرى، ثم توقفت بعنف عندما سمعت الصوت الهادر مرتفع الطبقات يخترق عقلها:

- لا تحاولي فلن تزيدك المحاولة إلا ألمًا.

حاولت أن تتحدث لتسأل صاحب الصوت عما يحدث، ولكن الكرة المطاطية منعتها، فهمهمت همهمات غير مسموعة، ليجيبها الصوت الهادر:

- لا لستِ سجينة هنا.. أنت ضيفة فوق العادة.

همهمت من جديد فأجاب الصوت الذي بدا واضحًا أنه يقرأ أفكارها بسهولة، ودون جهد وبلهجة مصرية خالصة:

- نعم أنتِ مقيدة، وقد فعلنا هذا الأمر لمصلحتك. فالكائن الذي استحوذ على جسدك شديد الخطورة، ولن نجازف بتعريضك للمزيد من الخطر.

اتسعت عيناها في رعب وهمهمت أكثر وأكثر.

فقال الصوت الهادر:

– القصة طويلة ولا يمكن اختصارها في بضع كلمات، المهم أن تدركي أننا أصدقاء، ولا نريد إلا خير البشرية.

همهمت في جنون، وهي تطلق في عقلها لعنات لا تنتهي، فقال الصوت الهادر بغضب:

– لتكن أخلاقك كما هو حال قلبك، ليس كل شيء يقال، ستعرفين كل شيء في حينه، وحتى هذا الوقت ستكونين في ضيافتنا.

همهمت ساخطة، ثم دوى السؤال في عقلها، ليجيب الصوت الهادر:

– نحن أبناء السماء، هكذا كان يطلق علينا الفرعون الراحل، أتينا لنمنع الشر من العودة، بعد أن ظهر الصندوق المطلسم الأول.

همهمت لفترة طويلة، وهي تطلق سيلاً من الأسئلة، فقال الصوت الهادر:

– ستعرفين القصة قريبًا، وستفهمين كل شيء، بعد أن تقودينا إلى الصندوق الثاني.

همهمت في ثورة، فقال الصوت الهادر:

– بل تعرفين، وستقودينا إليه، سأعود لكِ بعد أن أنهي مهمة عاجلة.

صرخت في عنف وهي تردد بداخل عقلها دون كلل:

– لا تتركني.. لا تتركني.

لم يأتها رد هذه المرة، فنظرت نحو الظلام بفزع لتجد أن كتله داكنة منه تنفصل، وتتحرك نحو الاتجاه الآخر لتغيب في قلب الظلام الأقل قتامة.

أخذت تهمهم، وتبكي، وفي عقلها دار طوفان من الأسئلة المريعة:

ما طبيعة الشيء الذي استحوذ على جسدها؟! متى استحوذ على جسدها؟ وما معنى استحواذه على جسدها من الأساس؟ ثم لماذا لا تشعر به أو بسيطرته الآن؟!

وعندما عجز عقلها عن إيجاد تفسير مريح، ولم يصل لإجابة محددة، غمر الظلام كيانها كما يغمر كل شيء حولها.

فتركت العنان لدموعها.

وقلبها ينبض في خوف شديد.

وحشية

تمطت سميحة زوجة زاهر في فراشها كهرة قلقة، في محاولة يائسة منها لتجذب ستائر النوم إلى عينيها المرهقتين اللتين أبتا الاستجابة بإيعاز من عقلها، الذي لم يتوقف لحظة واحدة عن التفكير في حقيقة ما دار بين زوجها وأبيه.

أبوه الذي ظهر فجأة بعد سنوات لا حصر لها من الجفاء، وفي منتصف الليل ليختليا سويًا لنصف ساعة، قبل أن ينصرفا معًا كالأصدقاء، بصحبتهم لفافة مجهولة لا تعرف ما تحتويه، مما جعلها تتساءل في دهشة:

– ما الذي أذاب الجليد المحيط بالقلوب؟ ما هو الشيء القادر على أن يمحو سنوات من الجحود والإنكار؟ ما سر اللفافة التي كان يحملها بدران في حرص؟

إنها تعرف جيدًا أن زاهر لا يكن لأبيه أي مودة، ولا يحمل في قلبه له أي مشاعر من أي نوع، والأب نفسه لم يبالِ طوال سنوات طويلة بالتقرب من ابنه، بل ولم يحضر عُرسه الذي حضره جميع أهل البلدة، والأعيان وضابط المركز ومعاونوه.

هناك سر ما.

سر خطير.

ويجب عليها أن تعرفه دون إبطاء، ولن يغفل لها جفن حتى تحيط بالأمر علمًا، وإلا لن تكون سميحة بنت عبد المعز.

طال الانتظار، ولم يعد زوجها الذي تنتظره على أحر من الجمر، ليجلي لها حقيقة الليلة، وما تبعها من أحداث غامضة أقضت مضجعها.

وأخيرًا قررت أن تنهي بعض الأعمال المنزلية حتى يعود زوجها، فأخذت تعيد تنظيف المنزل بذهن شارد، وفكر سارح، وكل بضع دقائق كانت تتمتم:

– أي سر تخفيه عني يا زاهر؟!

أشعلت سميحة موقد الكيروسين بذهن شارد، فعبق الجو ببعض الدخان الأسود، قبل أن ترتفع حرارة الموقد ليتحول الكيروسين بداخله إلى بخار مشتعل، ليمنح زهرة النار قبلة الحياة لتستعر، وليضيف للمنزل صوتًا محببًا محى به بعضًا من صمت الليل ووحشته.

وعلى الموقد العامر بالضجيج، وضعت سميحة البراد المكسو سطحه بالسناج والسواد نتيجة كثرة الاستعمال، وصنعت لنفسها كوبًا من الشاي الثقيل الذي أضافت له طن سكر كامل حتى أصبح يشبه العسل الأسود، قبل أن تطفئ زهرته ليعود صمت لم يقطعه إلا رشفاتها من كوب الشاي

الساخن، والذي أخذت ترشف منه بلا استمتاع، حتى سمعت صوت الباب الخارجي وهو يُفتح بعنف مصحوبًا بصرير مزعج، وصوت تهشم الرتاج.

وفوجئت في اللحظة التالية بزوجها يدخل من الباب بطريقة عنيفة لم تعهدها منه من قبل.

انتفضت في مكانها من أثر المفاجأة، قبل أن تهب واقفة على قدميها في ذعر حقيقي، عندما لمحت ثياب زوجها المتسخة الغارقة في الدماء، ومشيته الغريبة المتصلبة، وقدميه الحافيتين المخضبتين بالطين، ليطير من عينيها كل أثر للنوم.

لا تعرف لماذا بدا لها مخيفًا.. مختلفًا، حتى إنه يبدو أطول قامة، و....

لا تعرف بالضبط ما الذي أجج بداخلها شعور الخوف؟ لينقبض قلبها بمثل هذه الطريقة، وليتوتر جسدها وكأنها في طريقها للاحتضار، وهي تتابع زوجها زاهر يتقدم صوبها في إصرار.

ظلت عيناها معلقتين بوجهه الغارق في الظلام وجسدها الممشوق لا يتوقف عن الارتجاف، وعندما دخل لحيز الضوء، أطلقت صرخة هلع مكتومة، وهي تتطلع إلى زوجها العائد في رعب. لقد خرج زوجها مع أبيه ولكنه عاد وكأنه شخص آخر، ثم لماذا تتألق عيناه بهذا الضوء الأزرق العجيب؟!

صرخت صرخة أخرى مكتومة، وترك كوب الشاي يسقط من يدها فوق البساط ليتهشم على الأرض البارد، ويلوث كل شيء، وقد بدأ جسدها يرتجف من الخوف والرعب.

- إنه ليس زوجها. ليس روحه.

صحيح أنه يحمل نفس الوجه، ولديه نفس الملابس، إلا أن جلد وجهه تهدل وكأنه وجه كهل في أرذل العمر.

شعره الفاحم الخشن فقد سواده، ليتحول إلى اللون الأبيض الثلجي.

- لا إنه ليس زوجها.. بالتأكيد ليس زوجها.. إنه بسم الله الرحمن الرحيم..

كاد قلبها أن يتوقف، وهي تتطلع إلى مسخ زوجها المنتصب أمامها، والذي حسبته جنيًا موكلاً بإيذائها، وقد جاء لها في صورة مشوهة من زوجها.

تجمدت في مكانها من المفاجأة، وأخذت دموعها تهطل مدرارًا لتغرق وجهها دون صوت، وفي عقلها حضر التفسير المخيف.

لقد عاد الشيخ بدران خادم الجن لينتقم من ابنه بعد كل هذه السنوات.. إنه لم ينسَ ولم يغفر.

عاد وسحر ولده زاهر، ثم أخذه معه، وجعل جنيًا يتلبسه، وها هو عائد إليها لينتقم منها هي الأخرى.

كانت تعرف أن قلب بدران أسود، ولكنها لم تعتقد أنه بهذا السواد المكين.

اقترب منها زاهر بعينيه المتألقتين، وبتلك الطريقة المتصلبة التي يتحرك بها، والتي تجعله يشبه الزومبي أو الموتى الأحياء.

ومع كل خطوة يخطوها كان ارتجافها يتعالى وتوترها يزداد، وأخذ العرق البارد يغرق وجهها، ويختلط بالدموع، وقد أخرستها الصدمة.

كان موقفًا صادمًا يجمد الدماء في العروق، وهي وحيدة تمامًا، والشخص الوحيد في الكون، والمفروض عليه أن يحميها هو مصدر الخطر الآن، وولداها نعيم وأنيس نائمان كالملائكة في الغرفة الأخرى.

وهي لن تسمح لنفسها بزجهم في هذا الجحيم، ولو كان الثمن حياتها.

خفق قلبها في قوة كجرار زراعي خربت ماكينته، وشعرت بأن روحها ستغادر جسدها في أي لحظة.

تمنت لو تفقد الوعي ثم بعد ذلك فليفعل بها ذلك الجني ما يريد. ولكن فقدان الوعي كان بعيدًا عن سواحل عقلها.

اقترب منها زوجها أكثر، فانكمشت هي في مكانها كفأر حاصره قط جائع.

لفحت أنفاسه وجهها، فبالت على نفسها من الرعب، وأخذت دون وعي تحرك شفتيها بآيات وأدعية دينية، ولكنها لم تكن ذات جدوى أو تأثير على هذا المسخ المشوه الذي يقترب منها.

أهذا هو الوجه الرجولي الذي عشقته منذ الطفولة، وحاربت أهلها كي تتزوجه؟

أهو نفس الوجه المرعب الذي تخشاه الآن كالموت؟!

ماذا يريد منها؟!

حملها فجأة فأطلقت صرخة رهيبة كادت أن تمزق حنجرتها. ليقطع بها المسافة التي تفصلها عن غرفة النوم في سرعة مذهلة، وكأنه يطوي الأرض طيًا، ليلقيها فوق فراشها بلا حرص. وبكل عنف بدأ يمزق ملابسها بقسوة آلمتها، وجعلتها تتوسل إليه أن يتركها دون فائدة.

ارتفعت دقات قلبها في سرعة رهيبة، وعقلها يحاول أن يفسر ما سيحدث لها في اللحظات المريعة القادمة.

إنها لا تخجل من أن تظهر عارية أمام زوجها

ولكن هذا الشيء الذي يحمل وجه زوجها وسمته ليس زوجها

إن ما سيحدث لها شيء بغيض

هذا الشيء سيعتدي عليها دون شك وبلا رحمة. هذا الشيء سيدنسها ويتلبسها كزوجها. وهي لن تسمح له.

ستقاوم.

على جثتها لو نمس شعرة واحدة من رأسها.

إنها ليست صيدًا سهلاً، ولن تكون، ولن يمسها إلا زوجها وفي حالته الطبيعية.

صرخت ومع صرختها عادت إرادتها لجسدها المشلول من المفاجأة، ولكن زوجها لم يمنحها فرصة لتتملص، فقام بصفعها صفعة قوية رجت رأسها في عقلها

صفعة أفقدتها وعيها.. وأكثر.

ومع سقوطها شرع أصلان الذي يستحوذ على جسد زاهر، في تنفيذ ما أملاه عليه السادة.

وبدأت الخطوة الأولى نحو الحصول على الثمرة المحرمة.

ومن الغرفة القريبة ظهر هناك زوجان من العيون لطفلين يتلصصان، وقد امتقع وجهاهما من الرعب، وشاب شعر أحدهما وأغرق كل منهما جلبابه بسائل دافئ كريه الرائحة.

نعيم، وأنيس.

***

انعكس الضوء الخافت القادم عبر النافذة الزجاجية المتسخة، ليسقط فوق وجه لبنى الغارقة في النوم، لتصنع الظلال فوق وجهها الدقيق صورة خلابة لتبرز جمالاً دافئًا غير خفي عن العين المدققة.

نائمة هي كملاك صغير وجميل، وشعرها الأسود الناعم مسترسل فوق الوسادة، وكأنما تمّ فرده عن عمد ليكتمل جمال اللوحة، وتزيد من فتنتها.

وحلف جفنيها كانت هناك حركة سريعة لا إرادية لإنسان العين، تدل على دخولها إلى ذلك العالم الغامض السحري المليء بالأمنيات والمخلوقات الساحرة.

إلى عالم الأحلام.

الهدوء والصمت يخيمان على كل شيء، ولا يشق هذه اللوحة الصامتة إلا صوت تنفسها المنتظم، الذي لم يحافظ على انتظامه إلا لفترة قصيرة.

ومع الوقت بدأت الاضطرابات تظهر على وجهها الطفولي الجميل، وأخذت حركة إنسان العين تتسارع، وأصبح تنفسها غير منتظم نهائيًا، وبدا الحلم وكأنه تحول إلى كابوس مروع، وظهر ذلك على جسدها الذي توتر،وأصبح مشدودًا كالوتر، وأصابعها التي غرست كالمخالب في أحشاء الفراش.

ظهرت المعاناة جلية على وجهها وكأنها حُفرت فوقه، ليختلط جمال الوجه بمعاناة الألم في مزيج مذهل يأسر القلوب.

ازداد اضطرابها، فزادت سرعة تنفسها أكثر وأكثر، وغمر جسدها الغارق في دنيا الأحلام العرق الغزير، وكأنها ترقد تحت شمس صحراء لاهبة، وتحول صمتها الغافي إلى حشرجة خافتة، ثم إلى أنين مستمر.

وبعد دقائق قليلة بدأ جسدها في الانتفاض الشديد، وكأنها تمر بحالة صرعية عنيفة، وتحول هدوئها الكبير الذي أكسبه النوم لها، إلى صراع، وانتقل تأثيره من عالم الأحلام، إلى عالم الواقع، وبدا جليًا من حركتها، وكأنها تحاول الهروب من شيء ما يطاردها في ذلك العالم الأثيري.

شيء مخيف.

كانت إضاءة الغرفة شاحبة، فلبنى تفضل النوم في الظلام، وهي تعتمد كليًا في تحركها أثناء الليل لأي سبب كالعطش أو امتلاء المثانة، على انعكاس الضوء الضعيف الآتي من أحد الأعمدة الخارجية ذات الإضاءة الصفراء، مما جعل غرفتها أكثر هدوءًا، وصنع منظومة هائلة من الظلال العشوائية المتناثرة بين كتل الظلام الدامس في أنحاء الغرفة.

ومن ركن الغرفة البعيد سيء الإضاءة، تألق ضوء مبهر للحظة مع صوت أزيز خافت، ليظهر جسم معتم غير محدد الملامح من قلب العدم، من يراه يعتقد أنه جزء من الحائط ينفصل عنه وهوى.

تموج ذلك الجسم المعتم للحظات، وكأنه مخلوق من ذبذبات، ليتحول إلى كتلة مظلمة غير محددة الملامح، سرعان ما تشكلت في هيئة جسد شاب معتم، بدا وكأنه جزء من الظلام اكتسب سوادًا أكثر،وقتامة أكثر، وحياة خاصة به.

فقط ما لا يجعله مختلفًا هو تلك الهيئة البشرية التي تشكل عليها، وإن لم تُزل هذه الهيئة أيًا من الغموض المحيط بصاحبها.

اقترب الشاب الغامض بهيئته المعتمة من جسد لبنى المضطرب الممدد فوق الفراش، ليضع كفه اليمنى فوق صدرها في رفق، ثم توقف للحظات متأملاً.

هز رأسه مرتين، وكأنه يعيد التفكير في شي ما، ثم ضغط بقوة غير مؤلمة فوق صدرها من جديد.

ولتكتمل الأحداث الغريبة، توهجت أصابعه كالمصابيح بضوء أزرق باهت تدرج في الشدة، حتى أصبح كشمس زرقاء صغيرة.

ومع تصاعد التوهج بدأ جسد لبنى يهدأ ويستقر، وكأن مفعول الضوء الأزرق قد أنهى الآلام التي كانت تكابدها، وطرد من رأسها الكوابيس، فعاد تنفسها لينتظم من جديد.

ظلت يد الشاب المعتم تتوهج لعدة دقائق إلى أن سرى التوهج من اليد المضيئة إلى جسد لبنى بالكامل، لتحيط به كإحاطة السوار بالمعصم، ولتصبح لبنى أشبه بإحدى الحوريات الخيالية كما تظهرها دومًا أفلام ديزني

حورية رائعة الجمال تتوهج بضوء أزرق لامع، في قلب ظلام طاغٍ مدلهم.

كان الأمر عجيبًا وغريبًا، ولكن التساؤلات الأغرب هنا:

هو كيف يستطيع ذلك الشاب المعتم، أن يبث مثل هذا الضوء المتوهج عبر جسده المعتم؟ وكيف يحافظ جسده على حالته المعتمة، بعد أن أضاءت قبضته الغرفة، وأحالت ليلها لنهار ساطع، حتى إن ضياءها ليعمي عين الرائي؟

أسئلة بلا إجابة تنضم بكل أريحية إلى جملة الأحداث المريبة، التي تحدث في غرفة لبنى.

وحتى لا نتجنى أو نُهمل أيًا من الأحداث، التي قد تُعقد الأمور فيما بعد. أعود وأخبركم بأن هذا الأمر لم يكن هو الشيء العجيب الوحيد الذي حدث في تلك الليلة الطويلة، التي أصرت ألا تنتهي بسهولة.

فما حدث في اللحظة التالية كان أعجب، وأغرب، وأكثر مدعاة للقلق.

فقد تراجع الشاب المعتم عدة خطوات عبر الغرفة بسلاسة، ظهر فيها وكأنه يخترق قطع الأثاث كطيف أو شبح، إلى أن استقر به المقام في منتصف الغرفة تمامًا، ثم توقف قليلاً مفكرًا وكأنه في حيرة من أمره، وأخيرًا كسى الهدوء عقله، فباعد بين قدميه في حركة رياضية شهيرة، ومد يده اليمنى إلى

الأمام في قوة، والتي ظلت تتوهج بالضوء الأزرق دون انقطاع، وكأنها نجم شاب لا يأفل، وإن حافظ جسده على عتمته.

من ينظر لجسد الشاب لا يخطئ هيئته، ولا تفاصيله القريبة من البشر، وبرغم أن حدود الكتلة المعتمة غير محددة إلا إنها واضحة، وتحدد الهيئة شبه البشرية كاملة.

وقف الشاب كتمثال معدني يتطلع إلى جسد لبنى المتوهج في تركيز، ثم أشار نحوه بيده ذات الأصابع المضيئة، لتتخلى عنه الجاذبية ويطفو في سماء الغرفة فوق الفراش مباشرة.

وفي حركة سريعة، وضع يديه بطريقة متقاطعة على صدره ليختفي التوهج منها، ويصبح هو نفسه قطعة من الظلام، وإن كان ظلامه أشد قتامة وعتامة.

أغمض عينيه، وهو يتمتم ببعض الكلمات الغامضة قبل أن يخرج من حزامه كبسولة زرقاء قبض عليها بقوة.

وفوق الفراش البسيط غير المرتب ارتفع جسد لبنى المتألق أكثر، ليطفو في فضاء الغرفة متجهًا نحو قلب الغرفة، ثم يدور حول الجسد المعتم في دائرة كاملة مركزها الجسد، دون أن ينعكس الضياء على ذلك الجسد المعتم، والذي بدا وكأنه يمتص كل أشعة الضوء التي تسقط فوقه.

ظل جسد لبنى يدور حول الجسد المعتم لدقائق، وكأنه إلكترون نشط يدور حول نواة الذرة، قبل أن يضغط الشاب المعتم الكبسولة، لتتحول لغبار لامع نثره في الهواء، ليجذب جسد لبنى ذلك الغبار المشع وكأنه مغناطيس قوي.

وعبر الضوء المتوهج المحيط بجسد لبنى، بدأت جسيمات نانومترية فائقة الصغر تتسلل عبر مسامها لتمتزج بدمائها، وكأنها سرب من نمل دقيق الحجم في رحلته اليومية للبحث عن الغذاء.

تجمعت الجسيمات في مجرى الدم دون أن تهاجمها كرات الدم البيضاء، أو تعتبرها جسيمات دخيلة، ثم بدأت تتحرك نحو العظام لتترسب بداخلها في ترتيب فائق.

وما أن استقرت كل الجسيمات في أماكنها المحددة، حتى حدث بينها اتصال فائق، وتوهج جسد لبنى كله مرة واحدة ثم خبا الضياء تمامًا، ليعاود الجسد طفوه في سماء الغرفة، ويتجه نحو الفراش مباشرة ليهبط فوقه بنعومة.

ليحدث توهج أخير في الغرفة صحبه أزيز مرتفع، ليختفي بعدها الجسد المعتم من محيط الغرفة، فيعود ضياء الشارع الخافت لينعكس على وجه لبنى الملائكي.

لتشيع ابتسامة هادئة على وجهها، وتعود للغرق في ذلك العالم الأثيري. عالم الأحلام.

•••

أتى الصباح سريعًا ليعلن انتصار جنود الضوء على جحافل جيوش الظلام، ولتنشر الشمس الضياء والدفء بداخل غرفة لبنى، التي تململت على فراشها كهرة صغيرة مصابة بالكسل، وهي تسترجع تفاصيل ذلك الكابوس المخيف الذي تحول في النهاية إلى حلم رائع.

كانت تسبح في فضاء لانهائي يمتد إلى آفاق البصر، وفي الأسفل كانت هناك ما تشبه جزيرة تظهر كنقطة قاتمة في قلب شيء ما يشبه المحيط، باتساعه اللانهائي وأمواجه المتصارعة.

لا تشعر بجسدها المادي، ولا يكبلها شعورها بالجاذبية، لقد تحررت من كل قيودها المادية، وأصبحت كيانًا أثيريًا يجوب ذلك الفضاء الممتد بلا موانع أو عقبات،كطير فرح يداعب صفحة السماء.

حالة ممتعة من انعدام الوزن تجتاحها، مع شعور متعاظم بأنها جزء من هذا العالم الفسيح الغامض الممتد إلى مالانهاية.

اندمجت تمامًا مع شعورها العارم بالتحرر، وأخذت تتنسم رائحة السعادة في مسام الكون الذي فتح لها قلبه.

كانت سعيدة كقلب طفل صغير، لا ترغب في شيء إلا المزيد من الاندماج والحلم.

قطعت مسافات شاسعة في رحلتها، دون أن تشعر بتعب أو إرهاق، قبل أن ترى الجزيرة مجددًا، والتي بدت من هذه المسافة كنقطة داكنة في قلب عالم كامل من اللون الأزرق.

تجاهلت الجزيرة، لم تكن ترغب في أي شيء يعكر صفو انطلاقتها، ولكن حتى في الأحلام تأتي الرياح بما لا تشتهي الأنفس.

لقد شعرت لبنى بأن هناك ما يجذبها نحو الجزيرة، ولكنها لم تستجب له، اكتفت فقط بتلك اللحظات المنعشة التي تتخلل كيانها، وامتزجت مع زرقة السماء كسحابة هاربة من قبضة الجاذبية.

إحساس متعاظم بالحرية والانتشاء لا مثيل له.

حتى إنها بدأت تتساءل: هل تحولت إلى طائر دُري يسبح في سماء الجنة؟

اندفعت عبر السماء كشهاب حالم انطلق من أطراف الكون ليمتزج بأعماقه، ثم توقفت فجأة وشعرت بالألم، وكأن هناك قبضة باردة تجذبها مجددًا للهبوط نحو الجزيرة.

لا تدري حقًا لماذا لا تستجيب لتلك القبضة وتهبط إلى الجزيرة؟!

على الأقل ستجد أرضًا صلبة لتهبط فوقها، وتجمع أفكارها وتعرف حدود قدراتها وإمكانيات هذا العالم الرائع.

تلاشى الألم، ومعه تلاشت الأفكار، وتوهجت الرؤى.

إنها الآن قبس من الضوء.. لحن سماوي يعزف على قيثارة كونية.. دفقة من عبير زهور الجنة.. توهج لحلم اندثر لأنه يسمو فوق خيال البشرية.

احتوتها السماء ثم احتوت السماء بداخلها.

ثم عادت قبضة الألم لتعتصرها، وتسحبها نحو الجزيرة المظلمة. وعلى حين غرة، وفي لحظة خاطفة، احتواها الظلام كليًا، وشعرت بجسدها يُسحق بقبضة باردة قاسية، وآلاف من الأشواك تخترق خلاياها فصرخت في هلع

صرخت من الخوف.

من البرد القارص.

من الألم المضني.

من الظلام الكثيف.

ثم انهارت مقاومتها، وقررت أن تستسلم لتلك القبضة المهلكة.

بل لقد استسلمت للقبضة الباردة بالفعل، وتركت جسدها يهوي صوب الجزيرة التي أخذت تتعاظم أمام عينيها، لتدرك وسط يأسها بأنها تقضي لحظاتها الأخيرة، وأن الموت هو المصير الذي ستواجهه بعد لحظات.

وعندما ذكرت الموت، اجتاحها خوف مروع، وارتجفت في عنف، وصرخت صرخة أخيرة يائسة، تردد صداها في الفضاء اللانهائي.

وبعدها شعرت ببعض التحرر، وأضاء الظلام بقوة وكأنه لم يكن، ثم تلاشى البرد القارص وحل محله دفء لذيذ.

واخترق عتمة روحها ضوء أزرق مريح، بدأ كنقطة مضيئة ثم بدأ يحتويها، وتحول مع الوقت إلى شمس زرقاء مضيئة متوهجة.

شمس هائلة احتوت جسدها، وجعلتها تُفلت من قبضة الظلام القاسية.

ثم انقضت الشمس على الظلام، وبددته، وانقضت أشعتها الدافئة على الجزيرة المظلمة وأفنتها.

استسلمت لبنى لقبضة الضياء الأزرق الباهر، وتحولت بين يديه إلى عصفور ذُري من جديد، عصفور نشر جناحيه، وظل يسبح في دائرة منتظمة حول تلك الشمس الزرقاء الدافئة.

تلاشت الشمس، ولم تتلاشَ تلك الأحاسيس المذهلة، وعادت لتندمج بالسماء والكون، وبداخلها أضاءت شمس أخرى.

تعجبت لبنى من قدرتها على استرجاع الحلم بهذا الوضوح وبكل هذه التفاصيل العجيبة، فنفضت الكسل عن جسدها، ونزلت من فوق فراشها ثم تملكها إحساس غريب بأن تنظر لوجهها عبر المرآة.

فتحت النوافذ على مصراعيها لتسمح للشمس بإضاءة الغرفة بطريقة جيدة، ثم توجهت نحو المرآة، وهي تشعر بخفة غريبة.

نظرت لبنى نحو المرآة، ثم شهقت.

طالعها وجهها في المرآة كبدر التمام.. بشرة صافية خالية تمامًا من العيوب.

عينان نقيتان متألقتان يسبحان في بياض ناصع.

إنها أروع بكثير مما كانت تظن.

نزعت ملابسها كاملة، وأخذت تتطلع لجسدهاالمشدود، الذي تحول إلى جسد عارضة أزياء، وكأنه تمثال من مرمر بلا عيب أو ثنية واحدة وقد فقد كل جرام إضافي من الدهون.

ارتدت لبنى ملابسها من جديد والذهول لم يفارق عقلها، ونشوة هائلة تغمرها كعطر فواح. ابتسمت بقوة.. إنها تعشق ملامحها الجديدة وجسدها الجديد.. إنها تحب الحياة الآن أكثر وأكثر.

دارت حول نفسها كراقصة باليه، وقامت بعدة حركات راقصة مختلفة، وكأنها تختبر جسدها الجديد بعد التحول. كل شيء يبدو رائعًا، بل أكثر من رائع.

اندفعت بحيوية صوب النافذة، لتتطلع نحو الشمس المتوهجة، وشعرت بقوة هائلة، وثقة بلا حدود تجتاح كيانها.

انتبهت أخيرًا لكونها عارية، فعادت لغرفتها مجددًا وأغلقت النافذة، لتدور حول نفسها كفراشة تشبعت برحيق الحياة، لتستدعي بداخلها حلمًا جميلاً، عن شمس زرقاء ودفء كوني محبب.

ولكن سعادتها انكسرت فجأة، عندما شعرت بذلك الألم ينحر حلقها، فقبضت على عنقها في قوة، واتسعت عيناها في رعب، وبألم عاتٍ غير محتمل، وصرخت صرخة رهيبة باسم شقيقها هشام.

انتهاك

استيقظت سميحة زوجة زاهر من غيبوبتها هلعة صارخة، وهي تنظر حولها في خوف لا مثيل له، لتجد نفسها عارية تمامًا، ملقاة فوق فراشها بإهمال، دون أن يُعنى من اعتدى عليها بسترها.

نظرت حولها بخوف شديد، وهي تتطلع إلى آثار الاعتداء الوحشي التي تكلل جسدها، فقد أصيب نصفها السفلي بكدمات وسحجات لا يمكن وصف بشاعتها، كما أن الدماء الجافة التي تغطي قدميها والفراش، جعلت صرخة ذعر مروعة تفلت من بين شفتيها اليابستين.

حركت جسدها في حذر، لتشملها رعدة ألم مفاجئة، جعلت أصابعها تصبح كالمخالب وهي تخترق حشية الفراش، لم تكن الآلام التي تشعر بها محتملة، بل كانت صاعقة، إن من اعتدى عليها لم يرأف بها لحظة واحدة، وكأنه كان يحاول فصل جسدها عن بعضه وبتر أعضائها.

تمالكت نفسها بصعوبة، وهي تتلفت حولها في ذعر تبحث عن زوجها الممسوس وغشاوة بسيطة تظلل عينيها. وعندما لم تجده، هبت واقفة فوق الفراش وهي تكتم صرخة ألم أخرى كادت تخرج من شفتيها، قبل أن تندفع مذعورة نحو الدولاب القديم، لتُخرج منه بعض ملابسها النظيفة، قامت باستخدام جزء منها في تنظيف نصفها السفلي وآثار الدماء، ومع كل لمسة

من القماش الناعم، كانت تصرخ من كهربة الألم، وعيناها تمسحان الغرفة في رعب وقلق.

لم تستطع ارتداء ملابسها الداخلية من جراء الألم والتورم، فنحتها جانبًا في غضب، وعندما همت بإسدال الجلباب فوق جسدها المرتجف، وقعت عيناها على بطنها المكشوف، لتتوقف مرتجفة عن إكمال ارتداء الجلباب، وهي تنظر إلى بطنها العاري في توتر، فقد كان هناك شيء عجيب لا مثيل له أطار صوابها وأصابها بهلع مضاعف.

لقد اختفت سرتها تمامًا، وتحول جلد بطنها إلى نسيج مسطح ذي ألوان داكنة، وبرزت بطنها أكثر وكأن هناك من أودع بداخلها شيئًا صلبًا، ومع ذلك لم تكن تشعر بوجوده، وكأن بطنها ممتلئة بالغازات.

اتجهت من فورها نحو المرآة، والتي تعتبر جزءًا لا يتجزأ من تكوين الدولاب، وهي تفرك عينيها بقوة لتزيل الغشاوة الخفيفة التي تظللها دون جدوى، ثم تطلعت بقلق رهيب نحو جسدها المشوش المنعكس على سطح المرآة القديمة، وأطلقت شهقة مكتومة وآهة لوعة لا مثيل لها.

لقد تحول جسدها البض شاهق البياض إلى شيء مخيف ومشوه، يبعث على الاشمئزاز والتقزز.

فهناك وفي نفس المكان الذي كانت به سرتها، برز بشكل غير محسوس جزء مربع داكن كأنه ختم من نوع ما، ومنه استطالت خيوط زرقاء باهتة امتدت حول تجويف بطنها كشبكة صيد غير منتظمة، فبدت بطنها للناظرين كبطن ميت تمرح بداخله ديدان طولية أو ثعابين صغيرة.

فركت عينيها أكثر من مرة والغشاوة تزداد لا تقل، فزاد توترها.

الرعب يجتاح كيانها، وعقلها البدائي الذي لم يحظَ بأي قسط من التعليم لا يجد إلا تفسير المس.

فهاهو الجني الذي استحوذ على زوجها؛ يستحوذ على جسدها ويشوهه.

مدت يدها في بطء، وخوف، ورجفة هائلة تجتاح كيانها، ولمست ذلك الختم المخيف. فسرت في جسدها قشعريرة عنيفة، فملمس ذلك الختم المخيف يختلف عن ملمس الجلد كليًا.

ملمس بارد، مقزز، قاسٍ، كملمس جلد الفيل، وإن كان أكثر مرونة.

شجعتها تجربتها على المضي في الأمر، ففردت كفها ووضعت يدها فوق ذلك التكور الظاهر.. وتحولت رجفتها إلى انتفاضة.

إنها تشعر بشيء ما حي يتحرك بداخلها، شيء ما يتحرك في نعومة وخفة، ويضرب جدار بطنها في قوة ناعمة.

إنها تعرف معنى هذه الحركة جيدًا، لقد أنجبت من قبل طفلين واستمتعت لأقصى درجة بشقاوتهما هذه، إنها خبيرة في حركة الجنين القابع بداخل بطنها، ولهذا اكتنفها خوف طاغٍ، وبدأت أعمدة التعقل في رأسها تتهاوى.

إنها تستخدم اللولب النحاسي منذ عدة سنوات، وهو يعمل بكفاءة، كما أن دورتها الشهرية منتظمة ولم تخلف موعدها لشهر واحد، ثم لو فسد ذلك اللولب وحدث الحمل، لا يمكن أن يحدث هذا في يوم وليلة، لا يمكن أن تتكور بطنها بهذه السرعة.

إنها الآن واقعة تحت تأثير ذلك الجني الشرير.

جني واقعها، وجعلها حبلى في ليلة واحدة، وكأنها في شهرها الرابع.

لقد سمعت من قبل عن المس، ولكن فتاة واحدة لم تنجب من جني من قبل، ولو أن هناك سابقة فهي لم تسمع بها إلا في حواديت جدتها الخرافية، ثم أي مخلوق هذا الذي ستنجبه من جني، كيف سيكون شكله أو سماته.

سحقها الخوف، والصدمة.

وعلى الفور تذكرت أنيس ونعيم، فصرخت باسميهما في لوعة، وفي اللحظة التالية ظهر زاهر من جديد ليملأ فراغ الغرفة، بوجهه المتهدل وشعره الأبيض الثلجي، ومن خلفه ظهر أنيس ونعيم بعينين متألقتين زجاجيتين، وعلى وجهيهما ارتسمت ابتسامة شريرة لم تتحمل الأم رؤيتها، فغادرت يقظتها مجددًا، إلى عالم الغيبوبة لترتطم بأرض الغرفة في عنف.

ليقترب منها زاهر في بطء واثق، وبيد واحدة يجذب جسدها الذي بدأ يفقد بياضه المعتاد مع تمدد تلك الخيوط الزرقاء الباهتة لتشمل معظم أجزائه. حملها بقوة هائلة وكأنها لا وزن لها، دون أن يُعنى بسترها، ليضعها فوق الفراش في حرص. قبل أن يعود ليتوارى في جزء مظلم من الغرفة يتبعه أنيس ونعيم كأنهما مسحوران.

ليقف هناك وعيناه متصلبتان فوق ذلك الجزء المتكور من بطن سميحة العاري، الذي أخذ يموج بعنف، قبل أن يتضاعف حجمه في لحظة واحدة.

***

وعلى بعد عدة كيلو مترات وبداخل المقبرة الفرعونية المطمورة في باطن الأرض، ماجت تلك القوى الوحشية بداخل الصندوق الذهبي المطلسم الذي يحتوي على الشرخ، وهي تتواصل تواصلاً عقليًا مع أصلان الذي يستحوذ على جسد زاهر وكيانه.

وتبادلت بينها وبين بعضها حوارات لانهائية، بلغة لا مثيل لها على وجه الأرض، لغة حروفها مشبعة بالحقد والكراهية والرغبة في الانتقام.

آلاف السنين من الانتظار بداخل سجن ذهبي رهيب لا فكاك منه.. سجن من الذهب الخالص. سجن صنعه لهم جنود فرعون، بالاستعانة ببعض الخونة من قاطني مجرتهم، سجن أزلي كئيب مطلسم، وهاهي الفرصة قد سنحت لهم أخيرًا للانتقام.

فما أن تُحضّر تلك الكائنات الطفيلية لهم مفاتيح القوة، حتى تحل تلك الطلاسم وتنكسر التعويذة..

وفي خلال هذه الفترة.. ليهدوا للبشرية.. هدية خاصة جدًا.

هدية تنمو، وتتطور في رحم تلك البشرية، التي يحرسها خادمهم البشري المتحول، وطفلاه.

الموضوع كله أيام، وربما ساعات، ويعود عهدهم من جديد.

عهد السادة.

استمر اتصال السادة المتفوق مع أصلان المستحوذ على جسد زاهر لعدة دقائق، والذي يتم عبر عقل تلك المرأة المهشمة القدمين كئيبة السحنة التي

أغلق عليها زاهر المقبرة، وأخذت الكائنات الوحشية طوال هذه الدقائق الثمينة، تلقنه الخطة الجديدة.

وفي ذلك الركن المظلم من الحجرة تألقت عينا زاهر ببريق أزرق متوهج، ليقترب من سميحة الملقاة عارية فوق الفراش، وهو يتطلع إلى جسدها النحيل وتلك الخيوط الزرقاء تزداد قتامة، والتكور يزداد وضوحًا، وجلدها الرائق يتغضن مع الوقت، دون أن يشعر نحوها بأي شفقة.

وعبر عينيه المتألقتين رأى السادة ما يحدث من تطورات، وانتشوا بشدة، وقد أيقنوا أن اللحظة الحاسمة قد اقتربت كثيرًا.. كثيرًا جدًا.

الجزء الثالث

الطفيل

مذبحة

أفاق شريف من صدمته المروعة، ليشعر أن كل عظمة في جسده تؤلمه وتصليه من الوجع ما يفوق تحمله. فصرخ صرخة مكتومه حملها كل ما يموج في جسده من ألم.

وللأسف لم تكتمل صرخته هذه، ووُئدت في مهدها بعد أن حالت بينها وبين الخروج؛ تلك الكرة المطاطية التي تغلق فمه في إحكام.

وعلى الفور تذكر ذلك الشيء المعتم الذي هاجمه في قلب الحفرة العميقة، التي قام بحفرها بجوار قبر أبيه، وتلك الشبكة الجهنمية التي صعقته وسلبته وعيه، ليجتاحه خوف عظيم.

حاول الحركة ليجد نفسه عاجزًا على أن يخطو ولو خطوة واحدة، والمخيف أنه كان مكبلاً في وضعية الواقف غير المريحة، وقيوده تؤلمه بشدة.

الظلام من حوله دامس لا حياة فيه.

حاول فتح عينيه ليرى حقيقة وضعه، ولكنه فوجئ بعينيه مفتوحتين بالفعل مع انعدام تام للرؤية. فانتقل عقله لمرحلة أخرى من التفسيرات.

فإما أنه أصيب بالعمى من جراء صعقه، أو أنه مختطف في مكان مظلم، بل شديد الإظلام.

التفسير الأول مخيف ولكن الثاني مرعب.

حاول أن يصرخ.. أن يتحدث، أن يقوم بأي رد فعل يقنعه بكونه مازال قيد الحياة، ليصطدم بالحقيقة المرّة للمرة الثانية.

إن فمه مكبل، وهناك كرة مطاطية تغلقه، ووقر في عقله على الفور فرضية اختطافه، وتمثل أمام عينيه مشاهد من تلك الرواية المخيفة المترجمة، التي قرأها في وقت سابق عن ذلك السفاح الذي كان يخطف الشقراوات، ويقيدهن بنفس الطريقة قبل أن يقتلهن، ثم يغتصب جثثهن.

كانت رواية عنيفة ومخيفة أرقت لياليه لأشهر كاملة، والمصيبة أنه سيمر الآن بكافة الطقوس المروعة.

ربما لن يتم الاعتداء عليه، ولكنه سيموت موته بشعة، ماتتها شقراء ذات يوم.

من اختطفه؟! ولماذا؟!

أسئلة يحتاج أن يكون حرًا ليجيب عليها، وهذا ما لا يملكه الآن!

شعر بخوف مبالغ فيه، وأخذ قلبه يدق بعنف شديد، وكاد أن يصاب بنوبة قلبية لولا أن تماسك.

كل شيء من حوله مخيف ومظلم، ولا صوت يدل على وجود أحد آخر في هذا المكان المجهول.

تحسس بظهره طبيعة الجدار الذي يستند إليه، فشعر برطوبته وخشونته. تحسسه أكثر بأطراف أصابعه محاولاً التوصل لأي معلومة تخبره عن طبيعة المكان دون جدوى.

مجرد جدار صخري آخر، ممتلئ بنتوءات صغيرة غير مؤلمة، مثبتة بداخله القيود المعدنية التي تقيده وتمنع حركته، بطريقة مشابهة لطرق التعذيب في أقبية القرون الوسطى.

الغريب في الأمر أن القيد كان صلبًا ومرنًا في نفس الوقت، ورفض الانصياع لرغباته في التحرر، كان يتمدد وينكمش مع حركته العنيفة وكأن له حياة خاصة، أو كأنه مصنوع من معدن غير أرضي لديه ذكاء متفوق، يحكم حركته ولكنه لا يتسبب له في أي أذى.

غرق في لجة من الأفكار المريضة، والقصص المخيفة تتتالى بداخل عقله دون هوادة..

إنها لعنة القراءة والخيال، لقد مات أثناء انتظاره ألف مرة.

إن أشد أعداء النفس وطأة هي النفس.

قطع تدفق أفكاره صوت ريح عاصفة، مختلط بصوت طرقات مكتومة تتسلل عبر أذنيه أو عقله، لم يعرف تحديدًا فهو لم يكن منتبهًا، أو مركزًا.

الصوت فاجأه حقيقة، فلم يعرف مصدره.

تلفت حوله في هلع محاولاً أن يبتلع ريقه فلم يستطع.

اللعنة على تلك الكرة المطاطية.

وُقع الصوت يتعالى.. الصوت يقترب.. الصوت يزداد قوة.

يقترب أكثر.

شيء ما يتسلل إليه من قلب الظلام. لا، إنه يتسلل من داخله.. إلى الخارج.

الدماء تتدفق عبر أذنيه، وعبر فتحتي أنفه بغزارة.

شهق مذهولاً، وهو يتساءل في جزع.. ماذا يحدث له؟

احترقت سهام الألم قلبه، وأخذت أنفاسه تضيق.. الدموع تهطل من عينيه في قوة.. الألم يخترق كل خلية من خلاياه.. يريد أن يصرخ.. أن يفقد الوعي.. أن يموت، ولكن لا أمل قريب في تحقق أي من هذه الأمنيات السعيدة.

الألم يتصاعد ويتصاعد، الشعور المخيف بالانتهاك يكاد يزهق روحه.

هناك شي ما يتحرك بداخله بحركة محمومة، وكأن هناك من يحفر صدره بمثقاب، شيء مادي محسوس ومؤلم.

داهمته رؤى مخيفة.

فها هو يرى نفسه مصلوبًا على قمة جبل شاهق، ومسامير معدنية تخترق كفيه وقدميه، وطيورًا سوداء تنقض على صدره لتنهش في لحمه.

إنه يهوي في قلب دوامة ثائرة تتفجر من قلبها النيران والحمم.

إنه يسبح في قلب محيط مياهه تقترب من التجمد، وآلاف من الأسماك اللامعة تمزق جسده في وحشية.. إنها أسماك البيرانا المتوحشة دون شك.

إنه يقترب من الموت بخطوات حثيثة، وذلك الشيء الرابض أسفل جلده يتحرك كالمحموم، وحرارته ترتفع إلى درجة غير محتملة، فيصليه من الآلام مالا يطاق.

هاجمت شواطئ عقله موجات كاسحة من الألم، وتحول عقله إلى محراب للهلاوس والهواجس المخيفة، وأيقن أخيرًا أنه الموت، وكعادته قرر الاستسلام لذلك الحلم المريح.

الموت.

عندما دوى الرنين.

ترددات صوتية هائلة مرتفعة، تخترق عقله، وأذنيه، وكيانه، لترجه رجًا.

إعصار عاتٍ مرتفع الطبقات من الموجات المؤلمة، وكأن هناك من يقرع جرسًا معدنيًا هائلاً بداخل عقله.

الرنين كان يؤذي أذنيه، ويرفع درجة حراة جسده،ولكنه يُشعره بالخلاص

ومع الوقت أخذ الألم يقل، والخوف يتلاشى، والظلام يتبدد في بطء، والرؤية تأخذ في العودة، والشيء القابع بداخله يركن للهدوء.

وأخيرًا استطاع أن يتمالك أعصابه، فأخذ يتنفس بصعوبة من أنفه، إلى أن سكن توتره وهو ينصت من جديد مترقبًا الكارثة التالية.

الوقت يمضي. والصمت يُغلف كل شيء، ولا يقطعه إلا صوت تنفسه المحموم.

تدفقت الدموع من عينيه كشلال هادر، وهو يلعن حظه وضعفه، ثم تجمدت أطرافه من الخوف، عندما دوى الصوت الخشن في عقله قائلاً:

- حاول أن تسيطر على مشاعرك، تذكر أي ذكرى سعيدة وتشبث بها، إن الخوف يضعف من إرادتك، ويجعلك فريسة سهلة للطفيل.

تجمد شريف في مكانه وجسده يرتجف في عنف، وقد ألصق ظهره بشدة إلى الجدار الصخري متلمسًا بعض الأمان، وهو ينصت للصوت الخشن الدافئ، الذي كان يتردد في أعماقه.

صوت يعرفه جيدًا.

صوت مات صاحبه منذ سنوات عديدة.

صوت أبيه.

***

إنه يختنق..

بكل تأكيد يختنق، وإلا لماذا يحاول استنشاق الهواء بهذا النهم؟

التنفس عسير، ولكنه غير مدرك تمامًا للخطوة التالية، التي ستُنهي معاناته

الألم في حلقه شنيع، وكأن هناك من يخترق مجرى التنفس بغصن شجرة غير مهذب.

انتفض جسده في عنف مع انحسار الأكسجين الواصل إلى المخ، وبحركة بائسة: لف هشام كفيه بقوة حول عنقه، في محاولة منه لمنع ذلك الشيء المجهول، والمصر على اقتحام حلقه، من إتمام ما يسعى إليه.

كان نائمًا يحلم بشقيقته لبنى تحاصرها الوحوش وتحاول الفتك بها. وهذه كانت إشارة على أنها تحيا كابوسًا مروعًا. كان يحاول أن يساعدها باستخدام تلك الرابطة الاستثنائية التي تربطهما معًا.

كانت لديه القدرة والوقت ليبدل أحلامها، بأن يبعث لها ذكرى سعيدة جمعتهما معًا ذات مرة، وقد فعلاها سويًا عدة مرات من قبل، حتى أصبح الأمر بينهما يتم تلقائيًا ودون جهد يذكر، إلا أنه في هذه المرة كان يشعر بأن الأمر مختلف.

كان يشعر بمقاومة غير عادية بداخل عقله، وكأن لاوعيه يحاول إثنائه عن إتمام الأمر بطريقة غير معتادة، وهي السابقة الأولى من نوعها.

وعندما حاول التغلب على ذلك الحاجز الذي نشأ بينه وبين شقيقته لبنى، شعر بتلك الحركة المتوترة على وجهه، ثم بدأ يشعر بالاختناق.

أبانته حركة الأهداب الناعمة على وجهه، بأن هناك شيئًا حيًا يحاول أن يدخل إلى جسده عبر فمه، وكان هذا كفيلاً لأن يطير النوم من عينيه، وبحركة لا إرادية قبض على عنقه، وأخذ يضغط بأصابعه أكثر على حلقه حتى كاد يهشم حنجرته، متصديًا لذلك الهجوم العاتي الذي يقوم به الكائن المتطفل ذو الملمس المقزز.

ورغم محاولاته العديدة لإيقاف الهجوم الضاري إلا أن الطفيل استطاع أن ينفذ إلى داخل جسده عبر فمه، وبدأ على الفور في إحكام سيطرته عليه.

لم يكن كائنًا مشابهًا لتلك الكائنات، التي هاجمت شريف ورضوى، بل كان نوعًا أعلى، وأرقى، وتم تصميمه بعناية لمهمة أخرى منذ زمن بعيد، مهمة خاصة بكبير الكهنة في زمن الفرعون الأول، مهمة لم تتم، ولكنه ظل صالحًا لمهمات أخرى لا تقل عنها خطورة.

الآن فقط سيصير هشام دمية تحركها القوى كيف تشاء، دمية لا تحتاج لخوض صراع عقلي مرير قبل أن يتم السيطرة عليها.

فبمجرد اختراق الكائن الطفيلي لجسده، وبآلية دقيقة وسريعة، تمددت زوائده الشفافة بداخل جسد هشام، وبشيء يشبه السحر التحمت مساماته الدقيقة بأطراف الخلايا العصبية في نعومة بطريقة مجهولة وآمنة، لم تعق أو تضر سيولة تدفق الأوامر العصبية إلى عقله، أو تبدل في كيمياء جسده.

لحظات وأخذت تلك الزوائد الخيطية تنبض في قوة، قام خلالها الكائن الطفيلي ببث مجموعة أوامر عقلية متتابعة تلقاها عقل هشام وترجمها على الفور، مما جعل الآلام التي يشعر بها في جسده طوال الدقائق الماضية تتلاشى وكأنها لم تكن، وخلال دقائق قليلة كان قد برمج عقله بمهمته الجديدة، ثم عاد للكمون.

ومن فوره هبّ هشام من فوق الفراش لينفض كل لحظة كسل شعر بها يومًا، ليتحرك بنشاط مضاعف عجيب، بملامح يكسوها الجمود.

ودون أن يُبدل منامته، خرج إلى صالة المنزل ليقطعها قبل أن يفتح باب الشقة، ليغادرها مختصرًا درجات الدرج الخارجي في عدة قفزات مذهلة، وفي ثوانٍ معدودة، كان في قلب الشارع شبه الخالي، وأخذ يقطع الشارع في خطوات واسعة، وكأنه أصبح روبوتًا أو إنسانًا آليًا.

كان الظلام قد انكسرت حدته في تلك الساعة المبكرة من الصباح، الهدوء يغمر الشارع، أعمدة الإنارة تضيء على استحياء بعد أن أفقدها ضوء الشمس سطوتها، وعبر الشارع المتثائب يتقدم هشام في خطى سريعة أقرب إلى العدو، وعيناه شاخصتان نحو المجهول.

لم يكن الشارع خاليًا بالطبع، فلا يوجد شارع في القاهرة يخلو تمامًا في أي لحظة من الليل أو النهار حتى في ساعات حظر التجول التي أصبحت معتادة هذه الأيام، لذا كان هناك بعض الموظفين المرهقين من قلة النوم في الشارع يتأهبون للذهاب إلى أعمالهم، وقد اصطفوا على جانب الطريق بانتظار الحافلة التي ستقلهم لمقار عملهم.

توجه هشام صوبهم وبطريقة تجافي أي ذوق أو احترام اخترق تجمعهم بجسده الفتيّ دون أي مبالاة بردود أفعالهم، ليصطدم بهذا، يدفع ذاك، وليمشي عبر الطريق الرئيسي المكتظ بالسيارات المندفعة دون أن يلتفت لاتجاهها أو سرعتها، وكأن سلامته لا تعنيه.

لدرجة أنه تسبب في حادث سير محدود عندما حاول سائق شبه نائم أن يتفاداه بعد أن ظهر فجأة في طريقه ليعترض مساره، ليصطدم بسيارة واقفة على جانب الطريق. قبل أن يعرج هشام إلى شارع جانبي يحتوي على

مدرسة فنية للبنات، فيخترق صفوفهن كالمجنون دون أن يبالي بصرخاتهن أو سبابهن، إنه يسير على الطريق الصحيح، ولا شيء يهم أكثر.

تعالت صرخات الفتيات، وحاول بعض الفتيان العابرين الذود عنهن، وكان هذا آخر ما فكروا فيه في يومهم هذا بل في حياتهم، لأن ماحدث في اللحظات التالية كان سريعًا وبشعًا في نفس الوقت.

ففي لحظات معدودة وبيديه العاريتين، قام هشام بتمزيق شابين متحمسين إربًا، بل ووصل به الأمر أن فصل رأس أحدهما عن جسده قبل أن يلقيه ببساطة لمسافة عشرة أمتار، قبل أن يخرج أحشاء الثاني أمام ناظريه، وهو يردد:

- الوقت.. الوقت.

ما حدث أثار جلبة وهرجًا ومرجًا وفوضى لا أول لها ولا آخر، ولكن هشام لم يأبه بها، وانطلق في طريقه دون أن يبالي حتى بإزالة الدماء العالقة بقبضتيه ووجهه وملابسه.

عبر الطريق المزدحم بمظهره المخيف الغارق في الدماء، ليتسبب في حادث سير آخر أكثر عنفًا من سابقه.

ليسحق ناقلة عملاقة تحمل الكثير من الأثاث، شاحنة صغيرة تحمل أطفالاً في عمر الزهور في طريقهم نحو المدرسة.

كان مشهدًا مروعًا وخاصة مع الأطفال الذين لم يقضوا نحبهم على الفور، وانطلقت صرخاتهم وبكاؤهم وهم يرون أجساد أصدقائهم المنسحقة، بل إن إحدى الفتيات كانت تنظر لطرفها المهشم في ذهول وهي في أعتى درجات الصدمة.

كل هذا لم يُلفت نظر هشام، كان عقله في عالم آخر تمامًا ما بين الوعي واللاوعي، يشعر بما يقوم به جسده، دون قدرة على تبديله، يشاهد الضحايا الذين يتسبب في سقوطهم طوال الوقت، دون أن يتحرك لوقف نزيف الدم.

فقط كان يتقدم في طريقه بتصميم، وكلما قابله عائق أزاحه من سجلات الحياة.

ومع الوقت، أخذت الأمور تتطور نحو الأسوأ، خاصة عندما ذلف إلى الميدان المتسع مخترقًا الحشود والسيارات بنفس طريقته المستفزة، والتي زادت كثيرًا في الدقائق الأخيرة مع اقتراب دوام الموظفين وموعد المدارس.

أثار منظره الدموي المريب، والجلبة التي أحدثها بعبوره الأحمق للميدان نظر دورية شرطة قريبة، فتقدم اثنان من رجالها نحوه

حاول أحدهما أن يوقفه عبر النداء عليه، ولكنه استمر في طريقه وكأنه لايسمع ولا يرى ولا يعقل، فقط ظل يردد بإصرار:

-الوقت، الوقت.

ودون أن يلتفت لأي منهما، واصل تقدمه عبر الميدان، متجهًا صوب شارع فرعي، وبداخله تعاظم شعور صارم، بأنه لاشيء سيوقفه أو يعطله عن هدفه أبدًا.

الغضب كسى وجه رجل الأمن الذي لم يعتد التجاهل، وخاصة من صبي تافه كهشام، يبدو من هيئته المزرية كأطفال الشوارع.

جرى رجل الأمن نحوه بجسده المترهل، ثم قبض على سترته المنزلية الغارقة في الدماء من الخلف بقبضة من حديد، وهو يطلق نحوه سيلاً من الشتائم والألفاظ النابية، وأعين باقي أفراد الدورية تتابعه في شغف.

صيد هزيل سقط في يد عويس، وعويس لا يرحم من يقلل من شأنه صغيرًا كان أو كبيرًا.

ما حدث في اللحظة التالية لن يستطيع رجل الأمن أن يسرده، فالموتى لا يتحدثون.

فقد تألقت عينا هشام بضوء أزرق ساطع وكأنهما كشافا سيارة قوية، وفي سرعة مذهلة لم يرها من قبل شهود العيان إلا في الأفلام الخيالية، قبض هشام على عنق الشرطي في قوة وقسوة وهشم حنجرته في برود، قبل أن يقذف به إلى منتصف الطريق لتسحق جسده سيارة نقل ثقيلة كانت تمر في نفس اللحظة.

المفاجأة جمدت رجال الشرطة في أماكنهم للحظات، عقولهم لم تستوعب السرعة التي تمّ بها الأمر، ولم تستوعب أن تأتي نهاية عويس بمثل هذه الطريقة البشعة.

وعندما استرد رجال الدورية عقولهم، ارتسمت على وجوههم ملامح غضب هائل، وكل منهم يسحب سلاحه ويعطل عمل زر الأمان.

إن مقتل شرطي لا يمر بسهولة أبدًا.فما بال مقتله أمام زملائه وفي وردية عمله.

اندفع رجال الدورية كالوحوش خلف هشام، وكل منهم ينوي أن يمزقه إربًا، كان قد ابتعد مسافة لا تتجاوز خمسين مترًا، فانطلقوا يجرون خلفه والغضب يمنحهم قوة إضافية.

وأثار اندفاعهم الغاضب المارة فتوقف الميدان، خاصة مع أزيائهم الرسمية والأسلحة المشهرة في أيديهم.

تعطلت حركة المرور مع تكدس المارة الفضوليين عبر الطريق الرئيسي.

كل هذا يحدث، وهشام يمشي في طريقه كالمغيب. وخلال نصف دقيقة حاصره رجال الشرطة في شارع جانبي أغلقت إحدى منافذه سيارة شرطة تعالى صوت هدير صفارتها في ضجيج مخيف.

هدده أحد رجال الشرطة في غلظة، ثم صوب سلاحه المتحفز نحوه، وأطلق النار. عندما شاهد عينيه تتألقان بذلك الضوء المخيف.

تفادى هشام الرصاصة المنطلقة نحوه بسرعته المذهلة، بأن أحنى جسده بزاوية مستحيلة، ثم استدار نحو المهاجمين وعيناه تتألقان بالضوء الأزرق القاتل. ثم هاجم الجميع في عنف ووحشية.

ما حدث بعدها كان مذبحة.

الصراع

رضوى تحترق.

هذا ما تشعر به، وما يخبرها به عقلها المنهك، وما تراه عبر عينيها الغارقتين في الدموع، وتؤكده تلك الآلام المروعة التي تشعر بها في كل جزء من أجزاء جسدها المتفحم المشتعل.

إنها بداخل موقد عملاق جدرانه مغطاة بالسناج، ورماد المحترقين حولها ينبأها بمصيرها الأسود.

الغريب أنه لا يوجد دخان متصاعد من هذه النيران المستعرة، إنها أشياء لا تلاحظها إلا النساء، فقط ألسنة اللهب في كل مكان، مع تلال الرماد وأكوام العظام المشتعلة.

النيران تصنع جحيمًا بصريًا حقيقيًا، كما أن هناك خدمة جهنمية إضافية، كلابات معدنية تمزق من جسدها قطعًا صغيرة لتنثرها في كل مكان.

الألم شنيـــــــيع ومروع ومزدوج.

لا أحد ينكر بالطبع آلام النار، التي اختصها الله سبحانه وتعالى لعقاب الكافرين، ولكن الألم هذه المرة يفوق الاحتراق بكل تأكيد.

الألم يعصر جسدها، ويمزق روحها، ويذيب جلدها وأطرافها.

كيف لم تفقد الوعي، أو تموت حتى الآن؟

ثم ما هذا الشيء الذي يتحرك وكأنه يغلي بداخل معدتها، هل وصلت سوائل جسدها لمرحلة الغليان؟!

أطلقت عدة صرخات متتالية، ليتلاشى المشهد تمامًا من أمام عينيها، لتجد نفسها تهوي من فوق جبل عملاق نحو هاوية مظلمة لا قرار لها، وأسواط مشتعلة تجلد جسدها دون هوادة.

عادت لتصرخ من جديد في عنف.

ماذا يحدث لها؟

هل ماتت وذهبت إلى الجحيم؟

هل ستظل تتعذب هكذا إلى الأبد؟

– لاااااااا..

أطلقتها في عنف، وهي تحشد كامل إرادتها، إنها على يقين بأن النار ليست هي المصير المعد لها.. إنها لم تعمل ما تستحق من أجله هذا المصير. إنها تحلم بالجنة وتسعى لها.

ظلت كلمة الجنة تتردد في عقلها، وتبث في روحها مشاعر إيجابية مذهلة. وكأنها قد نالتها بالفعل، قبل أن يتلاشى كل شيء من حولها، ويفاجئها المشهد التالي.

إنها ممددة فوق طاولة معدنية حديثة، تشبه تلك الموجودة في غرف العمليات، يسطع حولها ضوء قوي مريح. كما أن هناك مجسات وخراطيم تتصل بجسدها في نعومة، وهناك جهاز مستطيل الشكل يمسح منطقة البطن ذهابًا وإيابًا بأشعة متوهجة.

ما الذي يحدث لها؟! أي جحيم هذا الذي تخوض غماره.

إنها لا تذكر أي شيء إلا الألم.

تنفست بعمق لتتمالك نفسها، وهزت رأسها ببطء لتنفض جحيم اللحظات الماضية، وقبل أن تغرق في أفكارها مجددًا، بدأ ضوء الغرفة يخفت تدريجيًا، حتى ساد الظلام التام.

صرخت في عصبية وغضب:

- أعيدوا الأضواء.. أعيدوا الأضواء.

اخترق رأسها صوت أنثوي ناعم، وكان لصداه فعل السحر:

- "لا تخافي، نحن بجوارك".

ومع الصوت، تلاشت كل أعراض اللحظات السابقة، وغزا الهدوء عقلها والنشاط جسدها، وعادت ذاكرتها لتتفاعل مع ما يحدث.

تساءلت بصوت هادئ رزين:

- ماذا يحدث لي؟!

دوى الصوت بداخل عقلها، كيد حانية تلمس روحها:

- عقلك يحارب غزو الطفيل، وإرادتك المتفوقة تحقق نجاحات مرضية.

ظهر القلق في صوتها، وهي تقول:

- وهل نجحت في القضاء عليه، أم سيستمر هذا العذاب؟!

عاد الصوت الأنثوي ليداعب عقلها، ويزيل توترها:

- لا تقلقي إننا نحاول بكل طاقتنا القضاء عليه، قبل أن يتسبب لكِ في أي أضرار، ولكن الأهم ألا تستسلمي للمشاعر السلبية، وقاتليه بإرادتك، إن المادة التي يفرزها تسبب الهلاوس الوقتية، و..

قاطعتها رضوى في حدة:

- لما لا تقومون بوسائلكم المتطورة بانتزاعه من جسدي، لماذا تتركوني في هذا العذاب؟

أجاب الصوت في شفقة:

- الطفيل ليس مخلوقًا حيًا تمامًا ليسهل السيطرة عليه، وإن كنا لن ننكر الجزء البيولوجي الداخل في تكوينه.

- إنه كائن آلي شديد التطور يمتلك ذكاءً صناعيًا تفاعليًا خاصًا، ولديه آلية دفاعية عنيفة قد تؤدي لمقتلك لو حاولنا إخراجه بالطرق المعتادة، نحن حاليًا نقوم بامتصاص الطاقة الهائلة التي بداخله عن طريق أجهزة خاصة تستخدم التفاعلات الحيوية، ولا نريد منكِ إلا أن تقاوميه بإرادتك، وأن ترسخي بداخلك أن ما تشاهدينه بداخل عقلك مجرد أوهام، الهدف منها كسر إرادتك البشرية وإخضاع روحك.

لم تستوعب رضوى الحوار بالكامل، ولكنها استوعبت أن هناك من سيساعدها، فقط يحتاج الأمر لبعض الوقت والكثير من الإرادة، فعادت لتنظر حولها بقلق، قبل أن تسأل في حيرة:

– ولماذا الظلام؟!

أتاها الصوت الأنثوي، بإجابة فاقت السؤال غموضًا:

– لأنه جزء من تكويننا.

رددت في حيرة كبيرة:

– وماذا تعنين بهذا الكلام؟

عاد الصوت الأنثوي أكثر صرامة وقوة لينهي النقاش:

– غير مصرح لي بإطلاعك على شيء الآن، ولكن اعلمي أننا هنا لحمايتك، أنت والأرضي الآخر.

شهقت في قوة عندما عرفت بكونها ليست وحيدة في هذا الجحيم، وتساءلت في قلق:

– أهناك آخر؟

شعرت بنبرة ضيق تجتاح الصوت، فأنصتت دون أن تبس ببنت شفة، فاستطرد الصوت:

– نعم هناك آخر، ولكنه للأسف ضعيف الإرادة، ويكاد الطفيل أن يسيطر عليه.

تبخر العند من روحها عند سماعها العبارة الأخيرة، وتساءلت في جزع:

– إذن ماذا سأفعل الآن؟!

دوى الصوت حاسمًا:

– عليك الانتظار.

بكت في قهر ثم قالت:

– والألم.

عاد الصوت أكثر حسمًا:

– الصبر.

***

اندفعت لبنى كالمجنونة تقطع الطريق الممتد صوب الميدان، يقودها ذلك الإحساس المتفوق الذي يربطها بأخيها هشام، والذي صار حاذًا منذ استيقظت هذا الصباح

هناك شيء شرير يحدث له، وهو شيء متوقع لأنه مندفع ومتهور، ودائم الوقوع في المشاكل.

هشام كتلة من التمرد، لن يغلب في أن يتشاجر مع هذا أو ذاك، أو يكون طرفًا في مشكلة لا تخصه.

إنه يقتلها بأفعاله هذه.

الحقيقة أن كل هذه الأفعال معتادة ولا تتوقع أن تتوقف منه قريبًا، ولكنها لا تعرف لماذا تشعر بخوف طاغٍ عليه هذه المرة؟!

اندفعت في سرعة كان يعوقها حذاؤها ذو الكعب العالي، فاضطرت لتهشيم الكعبين قبل أن تواصل طريقها، ودون أن تلاحظ عيون الشباب المبهورة، التي كانت تتطلع نحو هذا الملاك القلق، الذي هبط على الأرض ليخطف القلوب والأبصار.

التحول الذي طرأ عليها جعلها فاتنة، فينوس تخطر نحو الميدان، يراها الشباب المبهورون أجمل أنثى على وجه الأرض، ورغم ذلك لا يجرؤون على اعتراض طريقها.

الجمال قد يكون مخيفًا في كثير من الأحيان، وهذه إحدى فوائده.

قطعت منتصف الطريق، والعرق البارد يغمر وجهها، والقلق بداخلها يتحول إلى هلع، وقلبها يدق بداخل صدرها في عنف، وهي تفكر في توتر:

تُرى ماذا يواجه أخوها الآن؟!

في نفس اللحظة كان الشارع الجانبي المطل على الميدان يشهد معركة مروعة، بل مذبحة عنيفة.

لقد تحول هشام إلى وحش شرس، انقض على جنود الشرطة في عنف ووحشية لا مثيل لهما.

و لم يكن الأمر سريعًا.

ففي قلب ذلك الشارع الجانبي الذي أغلقته سيارة الشرطة من جانب، ورجال الشرطة الغاضبون من جانب آخر، وقف هشام ينظر نحوهم بنظرة مستفزة وعيونه تشتعل بضياء أزرق شرير.

تقدم صوبه شرطيان غاضبان كل منهما يحمل هراوة صلبة وينويان الفتك به، والانتقام لزملائهما.

استقبل هشام الهراوة الأولى في قبضته قبل أن يجذبها من يد الشرطي، ويهوي بها على رأسه في ضربة عنيفة حطمت جمجمته في صوت مسموع وجعلت مخه يتناثر في مشهد بشع. لينحني بعدها في سرعة مذهلة ليتفادى ضربة الهراوة الأخرى، قبل أن يقبض على حنجرة الشرطي الثاني، وينتزعها في قسوة ليسقط الشرطي أرضًا، لينتفض غير مصدق أن الحياة تفارقه.

قفز شرطيان آخران من داخل سيارة الشرطة ليحتما بها، وكل منهما يُشهر مسدسه مع نية كاملة لإطلاقه.

طلقة صائبة، وأخرى تجاوزت هشام لتطيح بأحد المتجمهرين.

رد الفعل التالي كان مذهلاً حتى لهشام نفسه.

لقد قفز هشام قفزة هائلة والدماء تتساقط من جرح كتفه ليهبط أمام سيارة الشرطة ويمزق الشرطيين إربًا. وبلا مبالاة كاملة بجراحه النازفة، أو بالمتجمهرين، انطلق يركض في اتجاه محدد وهو يردد كلمة واحدة:

- الوقت.. الوقت.

اختفى هشام في نهاية الشارع قبل أن تظهر لبنى، وهي تركض في نفس الاتجاه الذي سلكه، لتفاجئها المذبحة والدماء والأشلاء التي غمرت الشارع، والتي بدت أمام ناظريها كمسلخ مخيف كل ضحاياه من البشر.

توقفت أمام المجزرة للحظات لتفرغ ما في جوفها، ورعدة هائلة تجتاح جسدها، والدموع تغرق وجهها في غزارة، قبل أن تندفع خلفه في سرعة رهيبة، لايمكن لبشري أن يمتلكها.

لا تعرف لبنى كيف تحملت الموقف دون أن تفقد الوعي، وفي رأسها دارت فكرة مخيفة.

كيف ستفقد أخاها بعد إقدامه على هذه المجزرة؟! كيف؟!

***

بالقرب من إحدى المدن الجديدة، وفي صحراء مصر الغربية، في بقعة غير مطروقة، ثارت الرمال بشدة وعنف، وكأن هناك مروحة عملاقة خفية تحرك الرمال.

قبل أن يخترق الصمت أزيز متصاعد مع صوت تفريغ هوائي عنيف، لينشق العدم عن ممر معدني قصير، صُنع من مادة سوداء معتمة لا تعكس ضياء

الشمس المتوهج، ليهبط في نعومة لتلامس حافته الرمال قبل أن يستقر فوقها في هدوء.

سادت لحظات من الصمت، قبل أن يجرح الصمت صوت هدير مكتوم، ليتدحرج عبره ما يشبه طبق طائر صغير، توقف للحظات قبل أن ينطلق طائرًا على ارتفاع منخفض مثيرًا عاصفة أخرى من الرمال، ليشع منه ضوء مبهر للحظات، قبل أن يختفي ويتلاشى في قلب العدم، ليعود الممر من جديد للاختفاء، ولتعود الرمال إلى السكون ويظهر المكان للمراقب على أنه مكان خالٍ، وليسود الصحراء هدوء حذر.

انتهى معوض جابر من حجر المعسل الثالث في أقل من عشر دقائق، قبل أن يشير إلى فوزي صبي المقهى ليعد له حجرًا جديدًا وكوبًا من الشاي الأسود الثقيل، كل هذا والضيق والتبرم يظهران جليان على وجهه المنهك.

ملامحه المكفهرة كانت خير دليل على أن هناك خطبًا جللاً يشغله، وصمته يشي بأن هذا الشيء الغامض يقلقه ويضايقه في نفس الوقت، لذا فإنه كان حريصًا على إخراج عصبيته وتوتره في حجر المعسل التالي، الذي سرعان ما كان يحترق تبغه ليطلب المزيد، وهذا ما جعل فوزي صبي المقهى يرمقه في دهشة، دون أن يلاحظه معوض أو يلتفت له.

فما يفعله معوض انتحارًا، وليس تدخينًا.

غرق معوض في تفكير عميق، وهو يحاول أن يجد حلاً لمعضلته دون جدوى، فالأحوال هذه الأيام لا تسر أبدًا، وهذا ينطبق على الجميع في هذه الناحية. ربما هو يختلف عنهم بأن النقود التي لديه شارفت على النفاد وفي أسوأ توقيت على الإطلاق.

الأمور في كل مكان بالبلدة لا توحي بانفراجة قريبة، الرجال يجلسون بالساعات على الطريق العام، دون أن يأتي من يصحبهم معه للعمل في أرضه، إنه زمن الكساد الكبير.

ما لا يعرفه أحد عنه أنه قد لا يجد في الغد ثمن حجر المعسل الخاص بالاصطباحة، وأنه سيضطر مجددًا للعودة للسحب على النوتة.

لابد وأن يتحرك، ولو عاد لمهنته القديمة.. السرقة.

إن بثينة زوجته لن ترحمه، لقد كان شرطها عند الاقتران به أن تظل يده سخية وألا يتوقف عطاؤه.. فهي ستضحي بمهنتها كراقصة في الموالد من أجل عينيه، ستترك هذا النعيم المتدفق من أجل أن يسعد بها وحده.

وكان كلامها واضحًا وحاسمًا.

اليوم الذي ستشعر معه بالعوز ستتركه بلا أدنى تفكير أو رجعة، وهو يدرك جيدًا أنها لن تتوانى ولو لحظة واحدة عن هجره عندما يظهر فقره.

كان هذا الشرط هو ما يؤرقه ويقض عليه مضجعه، ويجعله يحرق في نفسه وفي أحجار المعسل، إنه يدرك جيدًا أنها لم تأمن له ولا لوعوده، وأن تلك اللئيمة حرصت وبشدة على عدم إنجاب أطفال منه، وظهر حرصها هذا في إصرارها على استخدام الوسيلة من اليوم الأول لزواجهما.

كم كان أحمق لزواجه منها، الآن وقد خسر كل شيء لا يمكن أن يخسرها، إن هوسه بها جعله يبيع الأرض التي ورثها عن أبيه، ويبذر النقود التي جمعها خلال عشر سنوات من السرقة وتجارته المحدودة في الحشيش، وكل هذا في ستة أشهر.

ما يحرق أعصابه الآن، أنها أخبرته وشددت عليه ألا يتأخر الليلة، ومعنى هذا أنها هي من تريده، وأنها ستجعلها ليلة من ألف ليلة، وسينهل من نبع حبها حتى ينهار.

وهذا شيء مبهج.

الشيء الآخر الذي أثار شجونه وأحزانه، بل ونقمته، كونها تريد تلك الحُلي الذهبية التي أعجبتها في السوق، والتي أكدت عليها عدة مرات عند ياقوت الصائغ يوم الأربعاء الماضي.

إنه في ورطة حقيقية، فهو لن يستطع أن يتحمل لسانها السليط أو المزيد من تبجحها المهين، كما أنه ويا للمصيبة يشتاق إليها بكل جوارحه، خاصة وأن تلك الماكرة امتنعت عنه طوال أسبوع كامل، بحجج وأعذار مختلفة.

لم يهده عقله لحل سريع، فانهمك يسحب الدخان من حجر المعسل الجديد بنفس الطريقة العصبية، مما جعله يحترق بسرعة مضاعفة ليلحق

بسابقيه، نفض عن جلبابه بعض الرماد المتطاير. ثم أخذ يتفرس في الوجوه الكئيبة التي تناثرت على موائد المقهى وقد كسا كل الوجوه الهم.

كان يريد أن يرى وجهًا واحدًا تخضبه الحمرة، ويشي تدفق الدم في خديه عن يسر وسعة، ليقوم بعمليته الليلة، لقد استقر تفكيره على السرقة لا محالة، إنها الشيء الأسرع والأكثر إنجازًا.

كل الوجوه التي حوله ظهرت لعينيه فقيرة كئيبة لتئد أمنياته وتطعنها في مقتل.

الفقر قد حفر علامته المميزة على ملامح جميع رواد المقهى، لا أمل إذن إلا أن يذهب للجانب الآخر من البلدة، حيث يسكن الغفر والأعيان، وبرغم خطورة الفكرة، إلا أنه عندما أدارها في عقله لاقت هوى في نفسه، وآمن بكونها أفضل أفكاره في هذا النهار.

ولأن الأفكار الجيدة لا تأتي فرادى، فقد لمعت في رأسه فكرة مكملة، المأموريات.

نعم.. المأموريات هي طوق النجاة الذي ألقي إليه في غفلة من حظه السيء، العديد من الخفراء والمخبرين يذهبون في مأموريات للمركز

القريب، وفي هذا الوقت لا يبقى إلا النساء في المنازل. وهذا هو وقته المناسب ليحصل على غنيمته

يا لها من فكرة رائعة

تفرس في الوجوه محددًا، بحثًا عن وجه محدد يعرفه جيدًا. يقصد صاحب هذا الوجه هذا المقهى تحديدًا لأنه يفضله عن مقهى الأعيان لأنه بعيد عن العيون، كما أن الحشيش المقدم جودته جيدة، برغم قرب مقهى الأعيان من منزله، وعندما لم يعثر على مقصده، طافت على وجهه شبح ابتسامة جذلة، سرعان ما توارى مع دخان الشيشة المتلاشي

سحب نفسًا عميقًا من الحجر الذي احترق، ثم سعل وبصق، وطلب حجرًا جديدًا، وهو يلعن صبي المقهى الذي يغش في التبغ.

عاد لجلسته الأولى، وهو يراجع الأمر بداخل عقله، إنه على يقين بأن المخبر زاهر لم يظهر في المقهى منذ ليلتين

لابد وأنه في مأمورية ما في المركز القريب أو في مديرية الأمن في القاهرة، وزوجته سليطة اللسان لابد وأنها وحيدة في المنزل الآن. إن الحظ يخدمه هذه المرة تمامًا، فزاهر ليس من الأعيان ولكنه ينفق مثلهم. وزوجته تخطر في الطرقات لتتباهى بحليها الثمينة التي تغطي ذراعيها وصدرها.

إنها الصيد الثمين اليوم.

حقيقة أن الأمر به بعض الخطورة، ولكن لو وصلت للفعل، فلن يعود خاوي الوفاض الليلة.

ظل معوض جالسًا على المقهى، حتى شارفت الشمس على المغيب، أحرق خلالها كمًا فلكيًا من أحجار المعسل، وشرب جالونًا كاملاً من الشاي الثقيل.

كان يشعر بتوتر هائل.

توتر الطبيب الذي توقف عن أداء العمليات الجراحية، ثم عاد إليها بعد طول انقطاع.

مشاعره تشبه أول مرة قام فيها بالسرقة، إنه يذكرها جيدًا ويفخر بها بينه وبين نفسه، لقد كانت في دوار العمدة، الحقيقة أن الغفراء كادوا أن يفتكوا به يومها، ولكنه أتمّ الأمر على خير في النهاية وغنم منها الكثير.

توارت الشمس تمامًا خلف السحب، فدفع معوض حساب المقهى ولم يمنح فوزي البقشيش هذه المرة، ثم قام من فوره واعتلى دراجته البخارية، وانطلق بها نحو هدفه وقلبه يخفق في قوة من الإثارة.

***

توارى معوض خلف شجرة جميز عملاقة تطل على بيت زاهر، وأخذ يراقب المكان لساعة كاملة دون ملل أو كلل.

الباب الخارجي موارب على غير العادة، ولا يوجد ما يوحي بوجود أحياء بالداخل، إن الليلة ليلة حظه بالفعل.

يستطيع الآن ودون مجهود أن يتسلل ليحصل على ماخف حمله وغلا ثمنه، ويهرب في دقائق معدودة دون أن يشعر به أي شخص.

(فقط على جسده أن يتوقف عن الارتجاف).

تطلع حوله عدة مرات، تأكد من أن المكان آمن وخالٍ، وبخطوات مهرولة يعوقها جلبابه الذي حمل طرفه بين أسنانه، اندفع مسرعًا إلى داخل المنزل ثم أغلق الباب الخارجي خلفه في هدوء، فهو لن يحتاجه عند المغادرة لأنه سيستخدم النافذة كما تنص الخطة التي رسمها في المقهى، سيستخدم النافذة الخلفية ليدور حول المكان عبر حقل الذرة، ومنه إلى دراجته البخارية فالطريق العام، ثم إلى المركز حتى يستطيع التصرف في مسروقاته عن طريق أبي هاشم السمسار المعروف.

لقد رتب كل شيء، وأعد العدة لكل شيء.

(فقط على جسده أن يتوقف عن الارتجاف).

الصق معوض ظهره في الحائط، ثم أخذ يتعرس في المكان، إمعانا في التأمين

الملاحظة الأولى التي أقلقته، هي أن رتاج الباب الخارجي مهشم، وكأن هناك من سبقه إلى المنزل.

الملاحظة الثانية هي الصمت الثقيل الذي يخيم على المنزل، وكأنه منزل مهجور، صحيح أن هذه النقطة جيدة لعمله، ولكن غريزته تخبره بأن هناك شيئًا ما ليس على ما يرام، ولكنه لا يدري طبيعة هذا الشيء.

الملاحظة الثالثة أن غرف المنزل الداخلية جميعها مظلمة، فهل سبقه لص آخر، واستولى على غنيمته؟ أم أن سيدة الدار قد غادرت المنزل لسبب لا يدركه؟

انتابه القلق، فنفض كل مشاعره وهو يتطلع إلى الظلام، ليتذكر وجه زوجته نتيبة الغاضب، فجز على أسنانه، وردد بينه بين نفسه:

- السجن أهون عليّ ألف مرة من عودتي إلى نتيبة بخفي حنين

عبر الممر المظلم القصير الذي يفضي إلى الصالة في حذر، وهو يكتم أنفاسه

أغلق نافذة نسيها أهل الدار مفتوحة، ليسود ظلام أشد وطأة وأكثر أمنًا.

وفي هدوء انسل عبر الظلام إلى داخل المنزل بخطوات متوترة حذرة، حتى إنه من شدة حذره كاد أن يتعثر، فتوقف لعدة ثوانٍ يلهث ويجفف عرقه، قبل أن يخرج من جيب جلبابه مصباحًا يدويًا صغيرًا، أعده من قبل لمثل هذه اللحظات.

وقد حرص على إحاطة مقدمة المصباح بغطاء أسطواني كرتوني كي لا يتناثر الضوء في عشوائية، ويكشف عن وجوده لصاحب المنزل، أو لعابر سبيل فضولي فيُفتضح أمره.

تقدم أكثر إلى داخل المنزل، وهو يختبر خطوته بين لحظة وأخرى؛ كي لا يصطدم بالأثاث المتناثر عبر الصالة، متجنبًا أن يُصدر أي جلبة.

وقبل أن يصل لهدفه بعدة أمتار، دوى في الخلفية صوت أذان المغرب، فردده في سره بتلقائية، وهو يتقدم متلمسًا السكينة من الأذان، وشفتاه تلهجان بالدعاء، ليتمّ الله مهمته على خير.

وأخيرًا وصل لغرفة نوم سميحة، وأرهف أذنيه لنصف دقيقة، لم يُزعج أذناه فيها أي صوت، وكان الغرفة خالية، فتنفس في بطء ليستعيد هدوءه.

كان التوتر يعصف به.. إن ثبات الأعصاب يتطلب دوام الممارسة، وهو قد توقف عن السرقة منذ زمن.

إنها الحكمة بأثر رجعي.

تنفس بعمق ثم تحرك صوب باب الغرفة المفتوح، وعندما همّ باقتحام الغرفة على ضوء المصباح، صدم أذنيه صوت الأنين الخافت، وفي لحظة واحدة شملت جسده رعدة هائلة، فتجمد من الخوف للحظات، حتى إنه أخرج من جيب المعطف فرد خرطوش قبض عليه بقوة.

المنزل لم يكن خاليًا كما اعتقد.

وجّه معوض ضوء المصباح اليدوي إلى الاتجاه الذي يصدر منه الأنين، وارتجافة جسده تتضاعف، حتى إنه أحس بشعر جسده يصبح كأشواك القنفذ من التوتر.

وعندما وقعت عيناه عبر الضوء الخافت للمصباح على جسد سميحة المنتفخ والمشوه ووجهها الأشبه بوجه سمكة ميتة، أصابته صدمة وقتية ألجمت لسانه، فصرخ صرخة مكتومة وترك المصباح اليدوي ليسقط من يده متهشمًا، قبل أن يتراجع في ذعر ليتعثر وليسقط على وجهه في قلب

الظلام، وليقفز فرد الخرطوش من يده ليرتطم بالأرض مصدرًا ضجة محدود قبل أن يبتلعه الظلام.

شعر بألم شديد في مفصل ركبته اليمنى، تجاهله وتحامل على نفسه فلم يكن هذا وقت ترف لفحص أعضائه التي تؤلمه، ثم هبّ واقفًا وعقله لم يستوعب بعد الهول الذي رآه منذ لحظات.

تقدم باتجاه ما في محاولة منه لتحديد مكان المدخل الذي سيقوده إلى باب الخروج، عندما سمع الحفيف الغاضب.

استدار حول نفسه ليتفادى الهجوم الغادر المتوقع، وهو يكاد أن يصاب بأزمة قلبية، عندما شاهد أنيس ونعيم ينتصبان أمامه من قلب الظلام، وعينا كل منهما تتألقان بقوة بضوء أزرق متوهج مخيف.

وقد ظهر على وجهيهما الشر.

كل الشر.

***

توتر جسد شريف في عصبية شديدة، وقد أصابه للوهلة الأولى ما يشبه نوبة صرع عنيفة، أخذ على أثرها جسده المقيد في الانتفاض بعنف، تكاد من شدته أن تنخلع أطرافه المثبتة إلى الجدار الصخري.

الظلام من حوله يغمر كل شيء، حتى روحه نفسها أصبحت أكثر إظلامًا وكآبة، الآلام التي يشعر بها في جسده تكاد أن تصيبه بالجنون.

الحياة نفسها أصبحت عبءًا على كاهله، كان يبحث عن الخلاص، أي خلاص ولو كان الثمن هو الخضوع لذلك الشيء المخيف الذي يمرح في أحشائه، فقط ليتوقف الألم، وبعدها ليكن ما يكون، حتى ولو فني العالم.

كان يصارع الرؤى المخيفة التي يبثها الطفيل إلى عقله، عندما سمع شريف صوت أبيه يتسلل إلى كيانه بعد طول غياب.

صرخ بقوة، وكأنه عثر أخيرًا على طوق النجاة الذي سينتشله من الضياع، وهو على حافة الغرق، لذا فإنه هتف بقوة وتضرع:

- أبي.. النجدة يا أبي.. أنقذني يا أبي.

تردد صوت أبيه الخشن بداخل عقله، فبثّ في روحه بعض الأمل:

- أنا هنا من أجلك يا ولدي.. أنا هنا من أجلك، ولكن عليك أن تقاوم.

لهث شريف في قوة قبل أن يقول في اضطراب:

- لقد تعبت من المقاومة يا أبي.. تعبت جدًا، إن الألم لا يُحتمل.

عاد الصوت ليدوي بقوة أكبر، محاولاً دعمه والشد من أزره:

- تجلد يا ولدي، تجلد.. أنا هنا بجوارك ولنْ أتخلى عنك.

طافت برأس شريف مئات اللحظات من الإحباطات التي جمعته مع أبيه الراحل، قبل أن ينتفض جسده صائحًا في غضب:

- وما يضمن لي أنك ستظل بجواري، لقد تخليت عني من قبل.. وها أنا أتألم وأعاني، وأنت لا تكف عن منحي المزيد من الوعود الزائفة، التي لا طائل من ورائها.

صمت الصوت قليلاً، قبل أن يعود للحديث بلهجة أكثر دفئًا وتأثرًا:

- لقد تعلمت من أخطائي السابقة، وهذه المرة أنا عدت من أجلك أنت، ولن أتخلى عنك مهما كان السبب، وسنعبر معًا هذه المحنة.. فقط قاوم، لا تستسلم كعادتك لضعفك.. فالأمر هذه المرة يساوي حياتك.

صرخ شريف والغضب يأكله بعنف:

– تجلد.. قاوم.. لا تستسلم.. إذا كان عليّ أن أقوم بكل شيء، فما فائدتك لي؟!

صمت شريف قليلاً، ثم استطرد في غضب أشد:

– اغرب عن وجهي ودعني لمصيري.. ما فائدة الحياة مع هذا الكم كله من المعاناة.. أنا لا أريد أن أواصل لعبتك السخيفة هذه.. هذه المرة لن تختار مصيري، كما اخترت لي البؤس والفقر من قبل و...

وقبل أن ينهي جملته، وفي مكان قريب، دوى صوت معدني بارد بلغة غامضة لا مثيل لها على سطح الأرض، وقال بلهجة تقريرية خالية من المشاعر:

– كود الاحتواء.. لقد فشلت التجربة للمرة الثالثة على التوالي.. لا تقدم محتمل.

وتبع الجملة صوت الرنين المتصاعد، الذي أخذ يضرب أعماق شريف المقيد في الظلام، والذي كاد أن يتوقف قلبه من شدة الألم، ليتوقف نشاط الطفيل بطريقة أشبه للسحر، ويعود للكمون مع توقف كل أعراض الألم المصاحبة.

وعلى بعد عدة أمتار وفي غرفة مجاورة لمكان الاحتجاز، تختلف تمامًا عن تلك الغرفة الفقيرة التي يُحتجز بداخلها شريف، وقف ذلك الشاب ذو الجسم المعتم أمام شاشة عملاقة مقسمة لعدة أجزاء، وتبدو عليها مؤشرات شريف الحيوية المتدهورة، ومؤشرات الطفيل والشبكة العصبية التي تربط بينهما، مع قراءات عديدة ومختلفة عن حالة الاثنين وتقرير لحظي عن كل المتغيرات والمستجدات.

كل هذا وسط غابة من الأجهزة المعقدة والمتصلة ببعضها عن طريق ألياف ضوئية تتوهج طوال الوقت بأضواء متغيرة باهتة، مما أضفى على المكان سمت المعمل أو مختبر الأبحاث.

وفي قلب المكان شبه المظلم، وقف ذلك الشاب المعتم متسمرًا أمام الشاشة المجسمة، كتمثال من معدن أسود داكن لا حياة فيه، يفكر في عمق ويقلب كافة الأمور على جميع الأصعدة، كان يشعر للمرة الأولى بمقدار هائل من الدهشة والاستغراب، وعيناه مثبتتان على وجه شريف الغارق في الظلام والعرق.

عقليته المتطورة تعجز عن فهم هذا الكم المذهل من الاستسلام والوهن، إنه لم يقابل من قبل عبر رحلته الكونية الطويلة، كائنًا حيًا مماثلاً يمتلك كل هذا القدر من السلبية والضعف، حتى إنه يفضل الفناء على مساعدة نفسه.

فمن خبرته الطويلة يدرك أن كل الكائنات في مرحلة الخطر، وخاصة الخطر العنيف الذي يهدد بقاءها ووجودها، يُعاد تشكيل شخصياتها وردود أفعالها وسط لهيب المعاناة، إلا هو يبدو وكأنه كائن متفرد، لا مثيل لخضوعه.

مهشم من الداخل، ولا يفكر إلا في لحظة الخلاص، والتي تتوازى مع كل مشاعر الضعف والانحطاط الروحي الأخرى.

الطفيل أوشك على السيطرة عليه تمامًا، الجزء البيولوجي منه يتغذى على المشاعر السلبية التي لا يتوقف شريف عن بثها طول الوقت وكأنه جهاز بث كوني أصابه التلف، مما يمنح للجزء الآلي من الكائن الطفيلي الفرصة للسيطرة على العائل بالكامل، عن طريق مادة خاصة يفرزها لتسيطر على النهايات العصبية وتعيد برمجة الذاكرة.

إن الإرادة فقط هي من تستطيع كسر سيطرة الكائن الطفيلي ولجمه، لأنه بمرور الوقت تلتحم زوائده بالخلايا العصبية نفسها، ليصبحا بعد وقت معين جزءًا واحدًا لا سبيل لفصم رابطتهما.

إنه يحتاج منه الصمود ليوم أرضي واحد، حتى تنتهي الأجهزة المعدلة من امتصاص طاقة الطفيل قبل الإجهاز عليه، وهذا الأرضي لا يساعده ولا يساعد نفسه.

كل المؤشرات تدل على أنه يفقده، وأن شريف لن يكمل للنهاية، إنه كتلة متجسدة من الخنوع والضعف.

حتى صوت أبيه الذي تمّ استخدامه لرفع حالته المعنوية بعد أن تم استخراجه من قلب ذكرياته، وبرمجته في جهاز التواصل العقلي؛ لم يأت بنتيجة. لا فائدة مع هذا الأرضي الخنوع.

راجع الشاب المعتم كل القراءات والتقارير والمستجدات، وأدخل عليها بعض التعديلات والأفكار، ثم جمعها في حقيبة معلومات رقمية، وبعد تفكير عميق، وبلغته الغريبة وجه للكمبيوتر المتطور، والذي يختلف كثيرًا عن كمبيوترات الأرض، أمرًا حاسمًا:

- أرسل المعلومات إلى الكوكب الأم، فلا يمكن أن أتحمل إثم إزهاق روح وحدي.

وعلى الفور هدر الكمبيوتر المتطور وهو يهيء جهاز البث الملحق ببرنامجه الكوني، قبل أن يُحمّل الرسالة إلى منصة رقمية خاصة بعد أن قام بإعادة تشفيرها، وخلال ثوانٍ معدودة كانت قد تحولت إلى نبضات لاسلكية، انطلقت لتعبر الكون.

وما أن انتهى الإرسال، حتى وجّه الشاب المعتم أمرًا حاسمًا للكمبيوتر التفاعلي، لتتبدل الشاشة على الفور، وليظهر على سطحها جسد رضوى الممدد فوق المنضدة المعدنية التي تتوسط الغرفة المظلمة المجاورة لغرفة شريف، وتأمل الشاب المعتم الجهاز الإسطواني المعلق في الهواء والذي يرسل إلى جسد رضوى، نبضات متقطعة من أشعة رمادية خاصة، يتفاعل جسدها بالانتفاض كلما أطلقت نحوه.

دار ببصره في بطء ليتابع المؤشرات والقياسات الرقمية المتراصة على الشاشة العملاقة التي لم تتوقف لحظة عن تحديث بياناتها، أعاد الأمر مرتين، وعندما انتهى توهجت عيناه بضوء أزرق صافٍ وعبر وجهه شبح ابتسامة هادئة، قبل أن تتلاشى ومعها الضوء الأزرق، ليستقر ببصره على المؤقت الزمني الذي يخبره بأن الأمر لن يتعدى ساعة أرضية قبل أن ينتهي أمر الطفيل الموجود بداخل جسد رضوى.

أما بداخل غرفة الاحتجاز الكاتمة للصوت، فقد كانت رضوى تصرخ بعنف، وجسدها يتعرض لآلام مبرحة وحادة من جراء دفقات الأشعة وردود فعل الطفيل العنيفة عليها.

كان الألم يمزق أعصابها ويكاد يهزمها، وبرغم ذلك كان عقلها الباطن يقاوم، وعقلها الواعي يطلب المساعدة:

- إنني أموت.. أرجوكم أخرجوه من داخلي.. أخرجوه، عقلي سينفجر.. أخرجوه.

بالطبع لم يلتفت أحد لصراخها، وهسيس الأجهزة المتطورة يتواصل، مبشرًا بالفراجة قريبة.

***

انطلقت الرسالة اللاسلكية المشفرة، تخترق أعماق الكون إلى الوجهة التي حددها الشاب المعتم، إلى ما وراء النجوم.

في محاولة منه لاستشارة الأكثر قوة وحكمة لتحديد مصير ذلك الأرضي شريف، الذي لا يمكن السماح للطفيل بإتمام سيطرته عليه بأي حال من الأحوال، لخطورة الأمر.

فالطفيل لو أتمّ الاندماج بجسد العائل، لن تكون لديه قوة كافية لردعه، ووقتها سيستخدم الطفيل قدرات هذا الجسد البشري المذهلة للتصدي لجهوده وإتمام مهمته.

وهذا لن يترك له إلا الخيار الأخير والحاسم، وهو القضاء على الطفيل عن طريق القضاء على العائل نفسه؛ على شريف. كوسيلة أخيرة لإجهاض مهمة

الطفيل، ووقف شروره، وهي سابقة لم يقم بها من قبل عبر رحلته الطويلة عبر الكون والأبعاد.

إنه عالم وليس مقاتلاً، ووجوده على الأرض لم يكن مرتبًا بأي حال من الأحوال، فقط وجوده بالقرب من مجموعتنا الشمسية، هو ما رشحه ليتولى مهمة التصدي لهذه الشرور القادمة من أعماق التاريخ.

لقد تمّ استدعاؤه حسب قانون الفضاء، كنوع من استدعاء الاحتياط، ليقوم بدور اعتراضي حتى يكسب الوقت اللازم ليصل الدعم الحقيقي.

وبداخل عقله، أقرّ بأن هذا هو الاستدعاء الأخير له، فشرور هذا الكوكب الملعون لا تنتهي، وهو هالك لا محالة.

الرسالة الآن تقطع الفضاء، عبر مسارات كونية خاصة تختصر الوقت والمسافة، وبسرعة تفوق سرعة الضوء عدة مرات.

هذه الرسالة هي التي ستحدد طبيعة الخطوات التالية التي عليه القيام بها، خاصة وأن الخطر قد بدأ يتفاقم، ولم يعد يتوقف دوره على السيطرة على مجموعة الأرضيين الذين لهم صلة بمفاتيح القوة، فهناك خطر آخر يتكون على بعد مئات الكيلو مترات من موقعه، يهدد بوقوع المزيد من الضحايا.

الأمر جدُّ خطير، ويحتاج لتحرك أكثر حسمًا وقوة، وإمكانيات لا يمتلكها هو أو تمتلكها سفينته البحثية.

قطعت الرسالة المسافة الفاصلة إلى مجموعة شمسية قريبة في سرعة رهيبة، وهي تحافظ في نفس الوقت على قوتها ومحتواها، ليستقبلها جهاز مشابه للجهاز الذي أطلقها، بداخل مبنى هائل يقبع في قلب الكوكب الرابع في تلك المجموعة الشمسية ذات الاثني عشر كوكبًا، ليعمل برنامج حسابي خاص على فك رموزها المشفرة، قبل أن يُرسل محتوياتها على الفور، عبر جهاز آخر مؤمّن إلى مجموعة من الكائنات الشبيهة بذلك الشاب المعتم.

الحقيقة أنها لم تكن شبيهة بالشاب المعتم، بل كانت متطابقة معه تمامًا في كل التفاصيل الخارجية والجسدية، وكأنهم جميعًا توائم، أو خرجوا من أنبوبة اختبار واحدة في عملية استنساخ رهيبة، أنتجت أشباه هذا الشاب المعتم.

استلموا الرسالة، كل منهم على جهازه، ثم اجتمعوا بعد وقت ليس بالطويل بداخل قاعة فسيحة، تضم جهاز كمبيوتر عملاق في حجم مدينة كاملة، يُطلق عليه الكمبيوتر الأم، وهو المسؤول عن متابعة كل صغيرة وكبيرة في مجموعتهم الكونية، وحيدة الجنس.

أما عن الرسالة، فقد كُلّف بعضهم بدراسة فحواها، والبعض الآخر التفوا حول صندوق من مادة غير أرضية يحتوي على مجموعة من هذه الكائنات الطفيلية الشفافة الأقرب في شكلها للديدان، وقد ظهر على الجميع علامات تفكير عميق.

قبل أن يشتركوا جميعًا في نقاش عقلي حاد، لدراسة المستجدات والخطوة القادمة، لمجابهة ذلك الخطر القادم من ذلك الكوكب الملعون، الكوكب الذي غادره الأجداد منذ زمن سحيق.

***

وقبل عدة ساعات، وبداخل أحد مراصد ناسا العملاقة، اعترضت أجهزة الرصد المتطورة مسار رسالة لاسلكية قوية جدًا انطلقت إلى أعماق الكون، وحددت بدقة المكان المرسلة منه في قلب صحراء مصر الغربية، وعلى الفور عُقد اجتماع سري على أعلى المستويات.

وكان من الواضح أن مصر لم تعد مرتعًا للكائنات الفضائية الغامضة فقط، ولكنها ستصير ملعبًا لتحركات أجهزة المخابرات العالمية، والساعات القليلة القادمة هي التي ستحسم الكثير من الأمور.

الجزء الرابع

الاجتياح

بؤرة نشطة

اسمها سعيدة، ولكن هذا لا يعني أي شيء. فسوء الحظ كان رفيقها الدائم، الذي لم يتخلَ عنها طوال حياتها إلا مرات قليلة، لذلك فإنها تعتبر اسمها نفسه سخرية مريرة من القدر، الذي لم يمنحها من مسببات السعادة إلا الاسم.

منذ طفولتها والجميع ينفرون منها، إن وجهها القبيح مخيف، ويجلب الحظ السيء كما يعتقدون.

أمها ماتت بعد الولادة، فكرهها أبوها، وكره سحنتها برغم أنها لم ترث منه أي شيء إلا هذه الملامح القبيحة.

لم تستمر في كُتّاب القرية، لأن الشيخ لم يكن يُحب رؤيتها، وكان يخبرها طوال الوقت أن صوتها يُسيء لما تقرأه من نصوص مقدسة، وكان يُشقيها أن أي امرأة مقبلة على الولادة لم تكن تتحمل رؤيتها ولو مصادفة، ولا تقابلها أي منهن دون أن ترفع أصابعها الخمسة في وجهها، أو تستعيذ من خلقتها.

تزوج أبوها بعد عدة سنوات من أرملة جميلة الملامح سيئة الطباع، وعاملتها زوجته كخادمة، وجعلتها تتمنى الموت في كل طلعة شمس، فعاشت عشر سنوات في شقاء، حتى حدث الحريق.

حريق.. التهم المنزل، وأباها، وزوجته، والصغار.

حريق تمّ كقضاء وقدر، ولكنه ترك العديد من الأسئلة معلقة في الأفق.

لماذا كان الحريق سريعًا بهذه الصورة، لدرجة أنه أتى على المنزل بكامل محتوياته في لحظات؟

لماذا فاحت من آثاره، رائحة بترولية، تشبه إلى حد كبير تلك الروائح الناجمة عن اشتعال الكيروسين؟

ولماذا نجت سعيدة وحدها؟

هول الفاجعة جعل الموضوع يمر مرور الكرام، خاصة وأن سعيدة لم تترك النواح لأيام عدة، جعلت الجميع يتحولون عن الحادث لمواساتها هي.

ورثت سعيدة عن والدها تاجر الغلال الشهير، ثروة طائلة من الأموال والأراضي، وماكينة الري الوحيدة بالزمام، واعتقدت سعيدة أخيرًا أن القدر

ابتسم لها، خاصة عندما أقبل عليها عبد العال بعد مرور أربعين يومًا ليخطب ودها، وكانت هذه ابتسامة أخرى لم تتوقع أن تزين أيامها بهذه السرعة.

كانت تدرك أن المال هو هدف عبدالعال من الاقتران بها، ولكنها لم تبالِ، فليأخذ من مالها ما يشبعه، وليمنحها من رجولته ما يعيد لروحها أسطورة أنوثتها المندثرة.

وبعد عدة أشهر، فطنت لحماقتها، فلم تكن ابتسامة الحظ لها ابتسامة صافية، بل كانت ابتسامة صفراء، ولكن سعادتها أعمتها عن رؤية الصواب في حينه.

كانت سعيدة سعيدة حتى ظهرت سعدية، لتعترض مجرى حياتها، ولتبدأ في هدم صرح راحتها.

سعدية تمتلك نفس حروف اسمها، ولكنها تمتلك ما تفتقر له سعيدة، الجمال والأنوثة، وحب زوجها.

لم تكن سعيدة تمتلك القدرة على إشعال حريق آخر، ولذلك قررت أن تلجأ لبدران.

السحر وحده من سيعيد زوجها إلى أحضانها، بل وسيجعله يزهد في سعدية.

السحر وحده من سيعيد حظها الحسن.

صحيح أنه مكلف وبدران محتال ومبتز، ولكنها تمتلك ثروة حقيقية، نمتها بعد موت أبيها، وحتى لو ضاعت ثروتها كلها فداء لهذا الأمر لن تهتم، المهم أنت تستعيد حياتها واستقرارها.

وكان ما كان.

هل خمنتم من هي سعيدة؟

نعم هي المرأة كئيبة السحنة، والتي كان يُعد لها القدر تلك النهاية المروعة.

المرأة التي تسكن القبر الذي يعلو المقبرة التي دُفن فيها أعظم شرور الأرض قاطبة، والتي بقيت لآلاف السنين تنتظر حضورها.

لم تكن سعيدة مبتهجة في قبرها المظلم، عظام ساقيها المهشمتين كانت تصليها من الألم مايفوق خوفها وروعها من وجودها بداخل قبر مظلم ،وهي على قيد الحياة، كانت تبكي لساعات وساعات.

كانت تعرف أنها ارتكبت من الشرور ما تستحق عليها هذا المصير المخيف، ولكنها لم تستسلم.

إنها تشعر بتلك القوى التي تتواصل معها، تعرف أنها ليست وحيدة برغم الوحشة التي تغتال كيانها، فقط لو يتوقف الألم.

تريد أن تصرخ ولكن قيد فمها يمنعها، من حقها أن تصرخ فالألم شنيع، ثم إن الجوع ينهشها.

حاولت أن تستعيد هدوءها، ولكنها كانت واقعة تحت ضغوط مروعة، وعندما شعرت بالحركة فوق وجهها، تحولت الدماء في عروقها لسائل كثيف القوام، واجتاحها قشعريرة باردة تحولت لانتفاضة هائلة، عندما شمت رائحة الفراء المنفرة، وشعرت بالأهداب الناعمة تداعب فمها.

إنه فأر.

أكثر مخلوق تخشاه النساء في الوجود.

فأر بدين وجائع مثلها جذبته رائحة الدماء.

فأر عثر على وجبته التالية.

صرخت صرخة مكتومة، ثم فقدت الوعي، وبنشوة عارمة، وقف الفأر على وجهها على قائمتيه الخلفيتين ثم أطلق أنينًا مروعًا، قبل أن ينقض عليها.

***

الشمس تشرق بعنفوان وقوة، فوق مقابر حي شبرا الغربي المزدحمة، والتي لم تعد لديها قابلية لاستقبال المزيد من الموتى بعد أن امتلأت جبّاناتها بجثث الموتى، حتى أن الكثير من الأهالي قد اضطروا للبحث عن مكان جديد لدفن موتاهم، وولوا وجوههم شطر القطامية، و٦ أكتوبر لاتمام مهمتهم الكئيبة.

هذه المعلومة يعلمها مجلس محلي حي غرب شبرا الخيمة جيدًا، وكتبت عنها بعض الصحف لمجرد تسليط الضوء لا أكثر وأقل، ولا حلول حقيقية.

هشام نفسه لم يكن يملك أي معلومات عن الأمر، ولم يكن يعنيه الأمر كله، كل ما كان في رأسه في هذا الوقت المبكر من الصباح أن يتمّ مهمته، دون أن يأبه بالشمس أو الضحايا.

وبرغم حرصه على الوقت إلا أنه توقف في مكان منعزل، ليُنهي مهمة عاجلة، فالدماء كانت تهطل بغزارة من مكان إصابته الحديث، وهذا يصيب جسده بالضعف والوهن، والطفيل حريص على الا يحدث أي من ذلك، فلا وقت للتخاذل في هذه المرحلة.. حقيقة؛ لم يكن هشام يشعر بأي آلام نتيجة إصابته بالرصاصة، فالطفيل المتطور كان قد عزله تمامًا عن مثل هذه المشاعر المتطرفة، بل وقد بدأ في التعامل مع جراحه بطريقة مذهلة.

وخلال ثوانٍ معدودة لفظ جسد هشام الرصاصة القاتلة لتندفع خارجه في قوة، قبل أن يبدأ الطفيل في دفع جسد هشام لترميم الخلايا الممزقة، وإيقاف النزيف وإغلاق الجرح، عن طريق رسائل عقلية خاصة، استطاعت استنفار قوى الجسد البشري الكامنة وقدرته على الشفاء بطريقة أسرع، لينتهي مصدر هذا الإزعاج خلال دقائق معدودة.

قبل أن يستمر هشام في رحلته قاطعًا العديد من الطرقات المتشابكة، والتي ستقوده لهدفه..

المقابر.

وخلال رحلته القصيرة، لم يتوقف هشام عن ممارسته الدموية الوحشية، وكان اتصاله بالطفيل قد حفّز بداخله كل النوازع الوحشية.

يقظته هذا الصباح كانت كارثية على كل من أوقعه حظه العاثر في طريقه، فقد تحولت كل منطقة مر عبرها إلى بؤرة نشطة لملك الموت، ليقوم بعمله في محيطها بحماس وإسراف.

وبرغم كل شيء لم يكن ما يمر به هشام حالة من الاستحواذ الكامل، بل كان مجرد استحواذ جزئي، منح هشام إمكانية رصد الأحداث التي يمر بها

والتي يصنعها دون أن يمتلك الإرادة، أي إرادة لمنعها. وكانت هذه نقطة مضيئة في بحر السواد الذي يخوضه منذ استيقظ هذا الصباح.

فبرغم سيطرة الطفيل الكاملة على جسده، إلا أن الواضح والجلي، أنه لم يستطع السيطرة على عقله تمامًا لسبب مجهول.

لقد ظل جزء كامن من وعي هشام يقظًا متحفزًا مدركًا لكل ما مر به وما يمر به الآن، هذا الجزء كان يرصد ويحلل كل المعطيات التي تتغير في كل ثانية مع كل خطوة يقطعها هشام في رحلته الدموية، دون أن تكون لديه القدرة على التدخل، أو التعديل في مجريات الأمور.

كان هشام واعيًا تمامًا لما حدث وما يحدث، راصدًا لكل التغيرات التي أصابت جسده، وحولته لإنسان مختلف، يمتلك قدرات فوق الطبيعية، هذا الوعي جعله ملمًا أيضًا بكل حياة أزهقها، وبكل قطرة دم أراقها، ولكل خطوة قطعها دون أن يمتلك إرادة حقيقية للتحكم فيما هو طرف فاعل فيه.

كان هشام يتمزق من هول ما اقترفته يداه من مذابح وأهوال، عاجزًا عن القيام بأي رد فعل ولو كان البكاء.

لم يكن لإدراكه حتى هذه اللحظة أي قيمة، خاصة مع عجزه التام عن منع كل الكوارث التي يتسبب فيها على طول الطريق.

إنه مجرد مشاهد آخر برغم كونه بؤرة الأحداث، وكأنه يحيا في كل لحظة حياتين مختلفتين، حياة بداخل حياة، إنه مطلع على كل المستجدات التي يجبره الطفيل على القيام بها، وكأن شخصًا آخر يقوم بها، وهو بداخل سجنه العقلي معزول عن كل ردود الأفعال الإرادية.

الشيء الجيد الآخر، أن التواصل بينه وبين الطفيل لم يتوقف عند هذه النقطة فقط، بل تطور مع الوقت ليمتد لمساحة أعمق وأخطر.

في البداية كان هشام عاجزًا عن مواكبة التغيرات التي تصيب جسده طوال الوقت.

صدمته مما يحدث جعلته عاجزًا أكثر عن استيعاب المتغيرات، ولكنه بعد تركيز عميق، أخذ يرصد كل تطور جديد ويحاول الاستفادة منه، وكان أقوى هذه التغيرات هو تلك الرابطة العقلية التي نشأت بينه والطفيل.

رابطة عجيبة جعلت عقله يمتزج بعقل الطفيل نصف الآلي، بوسيلة غامضة.

هذه الرابطة جعلته يرصد موجات البث العقلية، التي يبثها الكائن طوال الوقت لسادته، مما جعله يخترق عقول السادة أيضًا، ليعرف أسرارًا مخيفة جعلته يموت في عزلته ألف مرة.

قطع هشام الطريق الذي يفصله عن المقابر في وقت وجيز، برغم تلك الصراعات العقلية التي كانت تدور في رأسه، فقد كان لديه هدف لابد أن يتمه في وقته المحدد، فالوقت أصبح ذا أهمية في هذه اللحظات الفاصلة، وكان هذا هو ما يدور في عقول السادة دون توقف.

والآن فقط هو يعلم بوجود القوى الوحشية التي تتهيأ للعودة، ويعلم بمفاتيح القوة التي سيستخدمها المستعبدون بواسطة هذه الكائنات لتحرير السادة، ويعلم أن عثوره على مفتاح القوة الثالث سيفتح بابًا للشر لن يغلق بسهولة، ويعلم أيضًا أن الجنس البشري في محنة هائلة واختبار مخيف من تلك الاختبارات التي اعتادت البشرية الرسوب فيها.

كان لديه كل المعلومات والمعطيات، ولم تكن لديه الإرادة الكافية لإيقاف الأحداث عند هذه النقطة الحاسمة.

عليه الآن أن ينبش قبر أبيه، أبوه الذي كان هو الآخر سرًا مستغلقًا وأخذ ينكشف أمام ناظريه الآن، إن خزانة ذكريات هذه الكائنات مفتوحة أمام عقله على مصراعيها ينهل منها ما يشاء، وهاهو يعرف تاريخ نسبه ونسب أبيه الغامض، بل تاريخ نسله المتفرد الضاربة جذوره في أعماق البشرية

نسل يعيش بيننا منذ آلاف السنين، ولا يدرك ما كان يملكه أجداده من قدرات خاصة جدًا، جعلتهم عبر التاريخ ألغازًا لم تفك طلاسمها البشرية، فقررت نسيانها.

هذا النسل الخاص والذي عزله الكهنة عبر حقب تاريخية متتالية بعد انهيار حضارتهم المتفوقة، خوفًا من قوتهم الأسطورية التي كادت أن تفتن العامة، وتؤلههم على الفرعون.

فبعد غرق جزيرتهم، والتي أطلق عليها في كتب التاريخ اسم أطلنطس، نجا بعضهم بكل ما يحمله من فنون وعلوم شريرة.

البعض منهم سافروا إلى مدن جديدة وأصبحوا ملوكًا وآلهة في أماكن متفرقة من العالم، وصنعوا تلك الأساطير التي نستمتع بالقراءة عنها دون أن نصدق منها حرفًا، والبعض الآخر أخذهم الغرور وحاولوا إحياء حضارتهم على حساب حضارة أخرى يحكمها الفرعون.

هذا النسل الذي ذكره هيرودوت في محاورته الشهيرة مع كراتيليوس، هو من ساعد تلك القوى الوحشية على التوغل في مملكة الفرعون قبل عشرات من القرون، نسل ملعون لم تذكره البرديات ولا نقوش المعابد.

إنهم نسل من الخونة، والذين أجبر أبناؤهم على خدمة الفرعون، وعلى حراسة مفاتيح القوة تكفيرًا عن أخطاء ذويهم.

وعبر الزمن فترت قوة هذا النسل، وهذا لسبب وجيه جدًا وهو اختلاطهم بالبشر العاديين وتناسلهم منهم تحت إشراف الكهنة، وهذا لم يمنع أنه في كل عدة أجيال كان يخرج منهم طفرة شاذة تمتلك قوة عقلية معينة، احتواها المجتمع بعقليته المحدودة، فصار هناك الكهنة والأولياء والمجاذيب.

ولأن التفرد كان لعنة عليهم؛ فقد جعل معظمهم منبوذين في مجتمعاتهم المغلقة، فكان منهم من ينتحر، ومنهم من يُخفي قدراته المتفردة حتى يواريه القبر، وكان معظمهم من أصحاب العمر القصير، لذلك كانوا يموتون في أعمار متقدمة نسبيًا مقارنة بأعمار البشر العاديين، ومن يمتلك منهم الذكرى كان يعتبرها مجرد أضغاث أحلام أو هلاوس لا نفع لها.

ثلاثة من الآباء، وآخر أفراد هذا الجنس الزائل الذي امتلك في فترة ما من التاريخ حضارة أفناها الطمع والطموح فأهلكوا أنفسهم، مات الآباء الثلاثة وتركوا خلفهم أبناء يجهلون كل شيء عن ماضيهم، وإن كان كل منهم قد نال جزءًا من هذا التفرد.

عاش الآباء وهم يشعرون بغربة شديدة، وحنين لماضٍ غامض لم يمتلك منهم أيًا من مفاتيحه أو ذكرياته، فقضوا أعمارهم القصيرة في محاولة منهم ليصبحوا بشرًا.

كان ما يربطهم بماضيهم هو الحنين لمكان ما، وهذا الحنين جعل كلاً منهم يبني قبره بالقرب من مكان مفتاح القوة، الذي أقسم أجدادهم على حفظه، دون أن يمتلكوا أي فكرة عن حقيقة أصلهم، وأصبح العهد مجرد فكرة في وجدانهم الجمعي، وظلت الصناديق هاجسًا مخيفًا مرتبطًا بالموت.

وهاهم أحفادهم قد زُجوا في غمار حرب كونية ملعونة، دون ذنب جنوه غير لعنة الجينات، فاللعنة وَصمت الجنس بالكامل عبر الأجيال.

كمية هائلة من الأسرار تسربت إلى عقل هشام، وأدهشته وأدارت رأسه، فعرف مهمته الحالية، وعرف أن عليه إتمامها ليتواصل تاريخ الخيانة.

على هشام أن يتمّ مهمته الملعونة، ليخرج مفتاح القوة الثالث، ليكمل خطة السادة، ويعمل على تحريرهم.

ولذلك حاول أن يقاوم سيطرة الطفيل المتطور بكل ما أوتي من قوة، بلا أدنى فائدة، ومن وسط عجزه كان يفكر في شيء واحد.

شقيقته لبنى.

كان يعرف أنها طوق النجاة الأخير، إنها دومًا ما كانت تمتلك المبادرة لإنقاذه، ففي الوقت المناسب كانت تظهر لتُخرجه من محنته، عن طريق تلك الصلة العقلية التي تربطهما معًا، بحكم كونهما توأمين، والمعلومة الجديدة أنهما من نسل خارق عاش ذات يوم في جزيرة متطورة، بلغت من العلم حد إفناء حضارتها بالكامل.

كان يشعر بقربها منه، وكان هذا يصيبه باضطراب مضاعف، لأن اقترابها يعني أنه هناك أمل في تحريره من محنته، وفي نفس الوقت يجعلها في خطر عظيم.

فقد يقرأ الطفيل عقله، كما قرأ هو عقل الطفيل، وبرغم أحاسيسه المضطربة إلا أن شعوره بقربها منه، ظل يمنحه أملاً متجددًا، فكونه ليس وحيدًا في صراعه مع هذه اللعنة، يجعله لا يستسلم أو يتوقف عن المقاومة.

حاول بكل قواه أن يتواصل معها عقليًا دون جدوى، وكأن الرابطة المتفردة التي جمعتهما قد انفصمت فجأة، ولسبب غامض.

زايله قلق عابرٍ سرعان ما تلاشى ليتركز كل تفكيره على مهمته، لقد صار وحيدًا في قبضة السادة وعليه الآن يتمّ مهمته.

وهاهو الآن في النقطة المحددة في قلب مقابر غرب شبرا، وعليه أن يبدأ في الحفر.

لم تكن معه أداة حفر ليستخدمها في مهمته، وفي نفس الوقت كان عليه أن ينفذ إرادة السادة.

تقدم صوب المكان المحدد، وعندما وصل إليه، دق قلبه بعنف، وسيطرت عليه للحظات مشاعر سلبية هائلة.. فالنقطة المنشودة كان يعترضها جدار قبر أبيه الخلفي، والمطلوب منه أن يهدمه ويزيحه من مكانه ليبدأ الحفر.

والسؤال المحير هنا:

كيف لصبي مراهق مثله، أن يقوم بأمر يحتاج لمعدات حفر حديثه وثقيلة؟

هذه النقطة بالذات كانت محسومة لدى الطفيل، الذي يعرف جيدًا قدرات جسد هشام المتفوقة.. أكثر من هشام نفسه.

فهو قادر عن طريق الرابطة التي تربطهما معًا على استنفار كل القوى الكامنة بداخل جسد هشام، بل وشحذ قواه الخاصة التي منحتها له الجينات عبر الأجيال، ليَتمّ الأمر بسهولة.

لم يضع الطفيل لحظة واحدة، وبدأ على الفور في تنفيذ خطته، فتألقت كل وصلاته العصبية بداخل جسد هشام للحظة، قبل أن تبدأ في بث مصفوفة نبضات عقلية متابعة لمراكز معينة بداخل مخ هشام.

وكان أكثر هذه النبضات تركيزًا، موجهة إلى الغدة الصنوبرية أو الجسم الصنوبري، الموجود أسفل الدماغ خلف الغدة النخامية، والذي حيرت وظيفته العلماء لقرون، وربطه بعضهم بالقدرات المتفوقة الكامنة داخل العقل البشري، والظواهر النفسية الخارقة.

وكان من الواضح جدًا أن هذه الكائنات لا تتحرك عشوائيًا، وأن معلوماتها عن الجسم البشري تفوق كثيرًا معلوماتنا عنه.

أما ما حدث لجسد هشام في اللحظات القليلة التالية، فقد كان مذهلاً

فقد استقام جسده وتوتر كوتر في قوس، قبل يتصلب عموده الفقري ليباعد بين قدميه، ويفرد ذراعيه إلى آخر مدى لها، في مشهد أقرب للرجل الفيتروفي كما مثله ليوناردو دافنشي في لوحاته، وبدا وكأنه على وشك الخوض في إحدى تمارين اليوجا المتقدمة.

جحظت عيناه للحظة من الألم المفاجئ، ثم اشتعلتا بضوء أزرق متوهج طغى على ضوء الشمس ذاتها، لتجتاح جسده رعشة هائلة، قبل أن يبدأ التحول الرهيب.

فانتفخت عضلاته بطريقة مدهشة غير بشرية على الإطلاق، شيء أقرب لما كان يحدث في أفلام الكرتون والأنمي وفيلم الرجل الأخضر، ليتحول جسده الخالي من العضلات إلى جسد مصارع، ولتتحول قبضتاه إلى مطرقة بشرية هائلة، أخذت تدك جدار القبر الخلفي دكًا، قبل أن تستطيل أظافره لتصبح كالنصال الحادة، لينقض بها على الأرض الهشة، وينهمك في الحفر.

وبالقرب منه وعلى بعد عدة أمتار قليلة وخلف شاهد قبر رخامي، وقفت شقيقته لبنى في مكمنها، تتابع ما يحدث بعيون متسعة من الذهول والخوف، وقد كاد قلبها أن يتوقف من الهلع، وهي تشاهد مراحل التحول المخيف الحادث لشقيقها، وعقلها المشتت الذي كاد أن يصاب بالشلل عاجز عن تحديد كنه الخطوة التالية.

إن أكثر اللحظات مأساوية في الحياة، هي تلك اللحظات التي تعجز فيها عن مساعدة من تهتم لأمره.

وأكثر ما كانت تخشاه، أن يحدث بينها وبين شقيقها اشتباك، فيؤذي أحدهما الآخر، خاصة وأنها قد شهدت بعينيها مولد تلك القوة المروعة التي اكتسبها شقيقها مع تحوله، وكذلك الدماء التي أهدرها خلال الساعة الماضية، والتي لم تجف بعد.

عولت كثيرًا على الرابطة التي كانت تجمعها بهشام، وتمنت لو أن هذا التحول المخيف، الذي تعجز عن تفسير أسبابه، قد قوى من أواصر هذه الرابطة، فحاولت أن تتواصل معه بعقلها عدة مرات، ولكنها عجزت تمامًا، وكان هناك ما يفصل بينها وبين شقيقها، بجدار صلب.

وفي النهاية غلبتها مشاعرها البشرية وخوفها على شقيقها، فحسمت أمرها، وقررت أن تحاول إنقاذه مهما كان الثمن. خاصة وأن الحفرة التي يحفرها أخذت في الاتساع والعمق، حتى إنها بدأت تحتوي جسده المتألق بالكامل، لدرجة أن رؤيته أصبحت عسيرة من المكان الذي تتوارى فيه

سحبت لبنى نفسًا عميقًا، ثم تخلت عن مكانها خلف القبر ذي الشاهد الرخامي، لتقطع الأمتار* القليلة التي تفصلها عن الحفرة في خطوات حذرة متوترة، وعقلها يبحث عن وسيلة حقيقية لإنقاذ شقيقها، دون أن تهتدي إليها.

كانت أذناها تلتقطان أصوات الحفر المحمومة، وبدا لها أن هذه الأصوات ستستمر إلى الأبد.

التوتر يشمل جسدها بالكامل، حتى إن دقات قلبها قد تضاعفت في الدقيقة الأخيرة، وتسربت إلى روحها مشاعر سلبية مروعة، كادت أن تسيطر عليها وتجعلها تلوذ بالفرار.

ولكنها لم تكن لتتراجع بعد هذا الشوط الذي قطعته، وكل هذا الهول الذي عاصرته منذ استيقظت من نومها.

فقط كانت تتمسك بأمل واهن عن الرابطة المتفردة التي جمعتهما سويًا منذ الصغر، متجاهلة كنه الخطر الذي يتربص بهما.

تقدمت عدة خطوات أخرى قاطعة الممر القصير، الفاصل بين المقبرتين اللتين تطلان على القبر المنشود والحفرة.

وعندما لم يعد يفصلها عن الحفرة إلا مسافة لا تتعدى المتر، حدث ما كانت تخشاه ويروعها، ففي خطوة مذهلة وغير متوقعة، قفز شقيقها هشام من داخل الحفرة كنسر عملاق قطع المسافة التي تفصلها عنه، وهبط ليعترض طريقها في تصميم، وعيناه تتألقان بذلك الضوء الأزرق القاتل، وعلى وجهه ظهرت ملامح شر مستطير.

***

الوحش

قطع الطبق الطائر المحدود الحجم الصحراء الغربية في سرعة رهيبة لم تملكها آليات الأرض بعد، وساعد صغر حجمه في ألا تلتقطه الرادارات الحديثة، الخاصة بقوات الدفاع الجوي، والتي تؤمن حدود تلك المنطقة من صحراء مصر الغربية، فحجمه المحدود لم يكن ليتجاوز حجم الكومود الصغير الموجود بجوار فراش كل منا.

كان على الطبق الطائر أن يقطع عدة مئات من الكيلو مترات في اتجاه مخالف تمامًا لما بدأت به رحلته، خاصة بعد أن تبدلت مهمته في اللحظة الأخيرة، لتتحول من جنوب الصعيد إلى خارج الكوكب تمامًا.

كان على الطبق الطائر الآن أن يهيء نقطة الاتصال البديلة، بعد أن فشلت نقطة الاتصال الموجودة على سطح الأرض في أداء مهمتها المنوط بها، لذلك فإن الطبق الطائر غير مساره، وانطلق بزاوية حادة باتجاه الغلاف الجوي، ليقطع مسافة هائلة في سرعة رهيبة، متجاوزًا في طريقه أحد أقمار التجسس العسكرية، والذي اختلت وظائف أجهزته نتيجة تداخل الموجات الكهرومغناطيسية المحيطة بالطبق أثناء قطعه لمداره.

ليصنع لغزًا تقنيًا جديدًا سيحار علماء الأقمار الصناعية في تفسيره مستقبلاً.

عبر الطبق الطائر الغلاف الجوي كشبح بدين متجهًا صوب قمر الأرض الوحيد، وتحديدًا نحو الجزء المظلم منه، والذي لا ترصده المراصد والتلسكوبات الأرضية التي تقطع الفضاء طوال الوقت بحثًا عن حضارة مجهولة، في محاولة لإثبات نظريات العلماء بأن هذا الكون الفسيح غير مقتصر على البشر.

وبمجرد اقترابه من النقطة المحددة بدقة، تلاشى الدرع الإشعاعي الذي يحيط به ويعمل على إخفائه عن العيون والرادارات، قبل أن يهبط بقلب إحدى الفوهات القمرية المنتقاة بعناية، والتي صنعها اصطدام أحد النيازك العملاقة قبل عدة قرون، وهي فوهة أرسطرخس، الأكثر إظلامًا على سطح القمر، والتي اكتشفها، روبرت وليامز وود عن طريق الأشعة فوق البنفسجية.

لتبدأ على الفور مجساته المخلبية في التشبث بالأرض الصخرية لتكون قاعدة ارتكاز أساسية، ولتخرج من داخله عدة آليات دقيقة، أخذت تتشكل وتتجمع حتى صنعت ما يشبه منصة محدودة الحجم، تشكلت في النهاية على هيئة لوح مسطح مفرغ من الداخل. وبعد عدة لحظات انطلقت بداخله عدة شرارات متألقة قبل أن يتألق اللوح في قوة، ليعلن جاهزية نقطة الاتصال.

وبداخل الطبق الطائر نفسه، تحفزت الأجهزة لاستقبال الإشارة عبر جهاز استقبال كوني متطور، لو رآه علماء الاتصالات في الأرض للهثوا من الانبهار.

قبل أن يرسل الطبق الطائر تقريرًا مختصرًا إلى سفينة الفضاء الوحيدة، التي يقبع بداخلها الشاب المعتم، والموجودة على صحراء مصر الغربية، ليؤكد انتقال الصراع إلى مرحلة جديدة وخطيرة.

***

الصمت والظلام يغلفان كل شيء في منزل زاهر، صمت قاتل خانق، لا يقطعه إلا أصوات أنين متباعدة ومتداخلة، وظلام دامس، وكأن هناك من حرص على قتل كل ذرة من الضوء حاولت أن تتسلل إلى المنزل.

لم يكن مصدر الأنين واحدًا هذه المرة، بل كان هناك مصدران مختلفان، وإن كانا يشتركان في نفس الألم.

ففوق فراشها، كانت سميحة زوجة زاهر تتمدد عارية مرة أخرى، ولكن هيئتها هذه المرة كانت مختلفة تمامًا، فلم يبقَ من مظهرها البشري، إلا ذلك الهيكل العظمي البارز الذي يحدد معالم شكلها الخارجي، بعد أن

تحول جلدها البض الأبيض إلى لون أزرق داكن تقطعه خيوط سوداء قاتمة، وكأنها عروق تضج بدماء سوداء قاتمة.

خلف ذلك الجلد اليابس الجاف ظهر هيكلها العظمي الهزيل، فبدت كمومياء لم يحسنوا تحنيطها.

بتوسط جسدها تكور عملاق يجعل من ينظر له، يعتقد أن بداخل بطنها ثلاثة توائم على الأقل، مع وجود جفاف غريب في تلك المنطقة التي تعلو التكور ويتوسطها الختم العجيب، وصل إلى درجة أن الجلد نفسه قد بدأ يتشقق، وكأنه تم حرق هذه المنطقة بلهب مستعر.

كل من يرى سميحة في هذه الحالة يحسبها جثة هامدة، لولا الأنين الخافت الذي يخرج من بين شفتيها اليابستين كل عدة دقائق.

لقد فقد جسدها كل مظاهره البشرية وكل سوائله الحيوية، إن ما يجعلها حية حتى هذه اللحظة هي معجزة ما، أو لعنة ما، لأن الآلام التي تشعر بها كانت كافية لإزهاق أرواح قبيلة كاملة من النساء.

إنه الألم الخام الذي خرجت منه كل آلام البشرية.

وبالقرب منها وفي منتصف الغرفة تمامًا حيث كانت هناك مروحة معلقة إلى السقف منذ وقت قريب، وفي قلب الظلام الدامس، كان هناك جسد آخر

يضج بالأنين والحياة، ولكنه لم يكن على الفراش أو على الأرضية الباردة، بل كان معلقًا من قدميه إلى السقف كشاة على وشك الذبح، مقيدة قدماه بسلك معدني كان يُستخدم لتثبيت المحراث، وكان هذا الجسد هو جسد معوض، اللص الذي قاده حظه التعس وخوفه من زوجته سليطة اللسان بثينة، ليسقط في هذا الفخ المميت.

عندما عاد معوض إلى وعيه، شعر بالدماء الحارة تضرب رأسه، ولو كان الضوء مشتعلاً لرأينا عينيه المحتقنتين بالدماء، وروحه التي تكاد أن تزهق من هذه الوضعية الجهنمية. لم يستطع معوض لأول وهلة تحديد مكانه أو ما يحدث له، ولكن بعد عدة ثوانٍ تذكر الهول الذي مر به قبل أن يعود من غيبوبته، فشهق في عنف.

ففي اللحظة التي همّ فيها بالهرب من هذا المنزل الملعون، اشتعلت أمام عينيه أربعة مصابيح زرقاء متوهجة، لتعمي بصره للحظة، قبل أن يفتحهما ليقع بصره على وجهي أنيس ونعيم المفزعين.

بسمل وحوقل واستعاذ بالله من الجن، وهو يحاول أن يفرّ بظهره.

كانت تجربة مريعة لم يتخيل يومًا أن يمر بها، ولم يمنحه أنيس ونعيم الوقت للاستمتاع بها، فعلى الفور هاجماه في عنف ووحشية، فكانت قبضتهما الصغيرة كالصخر، وأظافرهما غير المقلمة كالمخالب.

وبكل عنف طوقاه وهو مذهول مما يحدث، لم يعد هناك بول في مثانته ليفرغه من الخوف، ولم تبقَ في جسده شعرة واحدة لم يصبغها الرعب باللون الأبيض.

تمزقت أذنه اليسرى فلم يشعر بالألم، فالدم في عروقه أصبح باردًا، وعندما عاد ليسقط فوق الأرض مهشمًا محطم الأسنان، أدرك فداحة الفخ الذي دخله بقدميه، خاصة وأن هذين القزمين لم يتوقفا لحظة عن ضربه وإرهابه.

وبعد دقائق من الاعتداء المستمر، لم يعد يشعر بجسده، فقد دخل إلى مرحلة الصدمة، وكان آخر ما شعر به هو القبضات الأربعة الصغيرة الشديدة القسوة، التي أخذت تسحبه بغلظة فوق الارضية الباردة، عبر الأثاث الذي لم يكن رئيفًا بجسده.

الصدمة الكبرى كانت في تلك اللحظة التي قبضت فيها على قدميه القبضتين القويتين، وشاهد عينيّ زاهر المشتعلتين بالضوء الأزرق الساطع، ووجهه المتهدل المشوه، ليخفق قلبه بقوة رهيبة فاقدًا لوعيه.

حالته الآن كانت مروّعة، فعقله كان مشتتًا من الألم الناجم عن تلك الوضعية غير الطبيعية التي عُلّق بها رأسًا على عقب، والتي تجعل كل الدماء تتركز في رأسه لتصليه ألمًا بلا حدود، وكأن من علقه على هذه الوضعية، يريد أن تتصفى روحه ببطء ليشعر بكل لحظة ألم قبل أن يموت.

السؤال الذي لم يعثر له على إجابة: ماذا يحدث حوله؟

وماذا أصاب زاهر وطفليه وزوجته وكيف تحولوا إلى هذه المخلوقات البشعة، أي لعنة أصابتهم؟

هل كانوا ينقبون عن الآثار وأصابتهم لعنة الفراعنة، أم أن ذلك الدجال بدران قد سلط عليهم شياطينه ليمسوهم؟

وعند هذه النقطة ارتجف جسده رغمًا عنه، فشعر بآلام رهيبة في مكان قيد قدميه وانغرس ذلك السلك المعدني في لحم قدميه أكثر.

الألم سرى في جسده كالكهرباء، فأخذ يئن في وهن، ولم يجعله يفيق من هذه الحالة إلا تلك الصرخة المروعة التي انطلقت من فم سميحة، قبل أن يهمد جسدها إلى الأبد وتفارقه الحياة، بعد أن اتسعت الشقوق في جلد بطنها المتكور الجاف، والذي تمزق في قوة جعلته يتفجر ليخرج من تجويفه مخالب حادة.

ماحدث في اللحظة التالية كان شنيعًا ومروعًا وغير منطقي بالمرة، فمن داخل بطن سميحة المتشقق خرج كائن وحشي مخيف لا يشبه أيًا من الكائنات المتواجدة على سطح الأرض.

حجمه في حجم طفل صغير لم يتجاوز الثالثة من العمر، أما رأسه فكان أصلع تمامًا، يقسمه لأربعة أجزاء طولية وريدان خرطوميان تتماوج بداخلهما دماء سوداء متألقة.

لون جلده شاحب كجلد سمكة ميتة، تلتهم وجهه عينان واسعتان كل منهما في حجم قبضة اليد، وعلى كل منها جفن إضافي، ليظهر الفم الصغير الذي يخرج منه أربعة أنياب حادة كمناقير الطيور، ويظهر جسده محني إلى حد ما، وينتهي عجزه بذيل طويل مشقوق يتلوى كثعبان غاضب.

لم ينتظر هذا الكائن لحظة واحدة، قبل أن ينقض على معوض المعلق من قدميه ليحقنه من خلال زائدة فمية بسم عصبي خاص، كان الهدف منه الإبقاء على الفريسة حية لأطول فترة ممكنة، قبل أن يشق صدره بمخالبه، ويبدأ في التهام أحشائه حيًا، بعد أن أشعلت رائحة الدماء شهيته.

ربع ساعة كاملة ظل معوض خلالها يصرخ ويتلوى بآلام مروعة، وذلك الكائن يعربد بداخل أحشائه، ويلتهم كل ماتصل إليه أسنانه في سرعة وجشع ووحشية، قبل أن تفارق جسده الممزق الحياة، ويتوقف نهائيًا عن الحركة.

ليبدأ الكائن المخيف في تسلق جسدة كقرد مشاكس، ليتابع التهام كل بوصة لحم أحاطت يومًا بعظامه في وحشية ونهم، ولم يترك جسد معوض إلا

بعد أن صار هيكلاً عظميًا خالٍ تمامًا من اللحم، قبل أن يفرز عليه مادة حارقة ذات رائحة شنيعة، جعلت جو الغرفة لا يُحتمل، خاصة وأن هذه المادة الفسفورية جعلت العظام تتحول في ثوانٍ معدودة إلى سائل كثيف القوام، ارتشفه الكائن في شبق.

وما أن انتهى المخلوق من مهمته حتى توقف في منتصف الغرفة، وأطلق عواءً أشبه بعواء الذئب، ثم انطلق يركض باتجاه القرية. وخلفه انطلق أصلان في جسد زاهر، يتبعهما أنيس ونعيم، ليبدأ الجزء التالي من خطة السادة.. الاجتياح.

وفي بُعده المظلم أطلق الشيطان ضحكة ساخرة، لم يسمعها أهل القرية، ولكنها لخصت كل شيء.

***

بداخل تلك السفينة الفضائية غير الأرضية، شديدة التطور، والقابعة فوق رمال الصحراء الغربية، يخفيها الدرع المتطور المخصص لمثل هذا الأمر.

وقف ذلك الشاب المعتم الغامض القادم من ما وراء النجوم، يتطلع بقلق نحو المؤشرات الحيوية المتضاربة لذلك الكائن الأرضي، شريف.

المؤشرات توضح بشكل لا شك فيه، تدهورًا رهيبًا في حالته، بل وقرب سيطرة الطفيل عليه.

ما كان يحرق خلايا عقله الداكنة، أنه قد لا يستطيع إنقاذه في الوقت المناسب.

صحيح أنه تواصل مع مسئولي كوكبه، بل وتلقى الرد بقيامهم بإرسال متخصصين لإنهاء الوضع، إلا أن الوقت لن يسعفه، خاصة وأن نقطة الاتصال الأرضية الموجودة منذ قرون، قد فسدت تمامًا، بعد أن دُفنت بجوارها بعض النفايات المشعة، فخربت دوائرها.

وعليه الآن أن يُتمّ أمورًا كثيرة يبغضها بنفسه، لأن أجهزة الرصد في السفينة قد رصدت تحركات مريبة، بالقرب من القرية التي تقبع فيها الصناديق التي تسجن بداخلها القوى الشريرة.

لقد حصل بالفعل على مفتاحين من مفاتيح القوة، وأصبحا بأمان بداخل السفينة، ولو انتهت حياة ذلك الكائن الأرضي فلن يؤثر موته على سير الأحداث، ولكن قداسة الروح عنده لا يمكن أن يخترقها أو يتجاهلها.

الروح هي سر الكون الأعظم، ولا يجب انتهاكها إلا للضرورة القصوى، وحين تنتفي كل الطرق الأخرى.

كانت هذه المقولة إحدى قوانين كوكبه الراسخة، ولم يكن ليتجاوزها بسهولة.

لذا فإنه يقوم بواجبه الأخير نحو هذا المخلوق الواهن، وفي نفس الوقت لن يتحمل جريرة أن يترك الطفيل يبسط سيطرته عليه، فالوحش الذي سيكونه سيسبب من الدمار والخراب ما سيعجز عن احتوائه أو إصلاحه.

وعند هذه النقطة، بدأ يتخذ بعض الاجراءات الاحترازية، فقام باحتجاز جسد شريف بداخل غرفة خاصة في السفينة، مخصصة لدراسة المخلوقات الوحشية والعنيفة، بعد أن زودها بآلية دفاعية قاتلة، تمنى بداخل نفسه لو لم يلجأ لها.

أنهى الشاب المعتم مهمته، وقبل أن يلتقط أنفاسه، صدر وميض باهت من أحد الأجهزة تبعه أزيز قوي، لينتبه ذلك الشاب المعتم إلى أنه نسي رضوى في خضم اهتمامه بشريف وتدهور حالته.

وبداخل تلك الغرفة الشبيهة بالمعمل، كان جهاز الأشعة الرمادية الباهتة ينبض نبضاته الأخيرة قبل أن يتوقف تمامًا، ليبدأ جهاز آخر في بث نفثات من غاز منوم احتوى عقل رضوى بداخله، قبل أن يتقدم ذلك الشاب المعتم، مرتديًا زيًا لامعًا، وعن طريق مشرط جراحي ليزري، بدأ في شق صدرها في دقة بعد أن حقنها بمادة فسفورية، سرت في دمائها كالنار في

الهشيم، وأوقفت نزيف الدم كأن لم يكن. فاندفع يعمل في جسدها دون أن تفقد قطرة واحدة من دمائها الحارة، ليظهر كمّ التفوق الطبي لدى كوكب هذا الشاب المعتم.

وعن طريق جهاز خاص ينتهي بأذرع ميكانيكية، قام بإخراج ذلك الكائن الطفيلي من جسدها، ليحمله بحرص وحذر، ويضعه بداخل خزانة شديدة الإحكام صُممت خصيصًا لحصر الأخطار المماثلة.

قبل أن يعيد إغلاق مكان الجراحة بشعاع خاص من مبضعه الليزري، ليعود الجلد كما كان، فلا يُخلّف وراءه إلا أثرًا ضئيلاً، لا تلحظه إلا العين المدققة.

ليحقن بعدها رضوى بعقار جديد، لينتفض جسدها في قوة، وتستيقظ هلعة، كإنسان تمّ حقنه مباشرة بمحقن أدرينالين في القلب، ولتمارس طقوس النساء المحببة بإطلاقها عدة صرخات فزع مروعة، شقت سماء الغرفة واحتوتها جدرانها العازلة للصوت.

وتمّ ذلك تحديدًا بعد أن وقعت عيناها المنهكتان على وجه ذلك الشاب المعتم القابع بداخل زيه العازل، ليظهر على وجهها قلق واضح وهي تتساءل في توتر:

- هل أخرجته من داخلي؟

دوى الصوت مريحًا في عقلها مما جعل جسدها يسترخي، قبل أن يجيبها الصوت:

- نعم لقد زال الخطر، أنتِ الآن بخير ويمكنك أن تنصرفي.

صدمتها إجابته برغم أنها لم تكن تحلم بمثلها، ولكن فضولها قتلها، فقالت بصوت يحمل كل ضراعة الكون:

- ولكني أريد أن أفهم، أريد أن أعرف ما يدور حولي ليطمئن قلبي.

عاد الصوت مريحًا دافئًا ليدغدغ أحاسيسها، وليجعلها تتجاوز نقطة أنها تتحاور مع شخص معتم جاء من كوكب آخر لينقذها، فأنصتت:

- إنها قصة طويلة، سأتركك لتستريحي، قبل أن أقصها عليكِ.

اعتدلت في جلستها ونظرت نحوه في صرامة، وهي تقول:

- إنني في خير حال، أشبع فضولي وعقلي، وبعدها يسترح جسدي.

وصمتت قليلاً، لتستطرد بعد أن شاهدت نفسها عارية فوق المنضدة، فتداري صدرها بيدها، وتضم قدميها لتخفي ما ظهر من جسدها، قبل أن تقول:

- ولكن لتمنحني بعض الثياب أولاً.

كان رده مخيبًا لأملها عندما أخبرها أنه لا يمتلك أي ثياب تصلح لها، مما جعلها تشير إلى الرداء الواقي، قبل أن تقول:

- لتمنحني إذن رداءً مشابهًا، ولا تزد حدة الإضاءة قبل أن أنتهي من ارتدائه.

لم يستوعب لأول وهلة حقيقة طلبها، ولكنه عندما خاض بداخل عقلها، عرف الكثير من عادتها وتقاليدها الغريبة عليه وهضمها بسرعة، فمنحها الرداء الذي طلبته، وأخبرها أنه لا يحب الأضواء.

وعندما جمعتهما سويًا غرفة القيادة المتطورة، وبعد أنا تجاوزا مرحلة الاندهاش المتبادلة؛ همّ ذلك الشاب المعتم بقص قصته عليها، وحقيقة ما يحدث حولها من البداية، إلا أن دويّ ذلك الأزير التحذيري قاطع حديثه، وعلى الشاشة ظهرت أربع نقاط متباينة في الحجم تتحرك في سرعة مخيفة، تخترق تجمعات من النقاط الأخرى، التي سرعان ما كانت تتوقف في

أماكنها ثم تفقد حرارتها تدريجيًا، فتتلاشى من فوق الخريطة الحرارية، التي تجسد صورة ثلاثية الأبعاد للقرية التي يتم اجتياحها من قبل أصلان وفريق الشر الذي يصحبه.

وعندما تساءلت رضوى عما يحدث، لم يقتحم صوت الشاب المعتم عقلها هذه المرة، بل رأت صورة ذلك الكائن المخيف الذي بدأ في مهمته الوحشية، وبدأ يهاجم أهل القرية في شراسة.

ما رأته جعلها تصرخ في عنف صرخات متتالية ليقطعها أزيز آخر، ولتظهر على الشاشة عدة رموز بلغة غير معروفة، جعلت الشاب المعتم يقف في مكانه متجمدًا كالتمثال للحظات، فما أخبره به الكمبيوتر الحيوي في سفينته كان صادمًا، لقد فشلت كل محاولات الاحتواء التي قاموا بها لإنقاذ شريف، ولم تبق إلا الخطوة الأخيرة والتي حاول تجنبها كثيرًا.

القضاء على العائل.. القضاء على شريف.

وأسقط في يده.

***

مرت دقائق عصيبة بداخل وكالة الفضاء الأمريكية ناسا، بعد انتهاء الاجتماع السري المغلق، والذي حضره كل من وزير الدفاع، ومدير المخابرات الأمريكية ومندوب خاص من الرئاسة، ومجموعة من علماء ناسا، وبعض العسكريين بالإضافة لمدير الوكالة نفسها.

والذي تمّ بداخل إحدى القاعات السرية المؤمنة بأعماق وكالة ناسا نفسها، لدراسة الوضع الحرج المتمثل في ذلك البث الخارق، الذي اعترضته أجهزة الرصد العملاقة في شمال أفريقيا، وتحديدًا في صحراء مصر الغربية، بالإضافة لتلك الذبذبات الفائقة التي نشأت من العدم فوق سطح القمر، وتحديدًا في قلب فوهة أرسطرخس، أكثر فوهاته إظلامًا.

كان حادثًا جللاً تطلب تدخلاً سريعًا وحاسمًا، خاصة وأن الحكومة المصرية لا يبدو أنها رصدت أو اهتمت بما يحدث على أراضيها.

اللقاء كان فائق السرية، ودارت بداخله معلومات رهيبة، عن حقيقة اتصال ناسا بمخلوقات فضائية، بل وتم إتمام أحد الاتصالات الفائقة عن طريق جهاز غير أرضي، مع قوة كونية صديقة رجحت أن ما يحدث أصله كوكب الأرض، فأجهزتها لم ترصد أي اختراق للمجال الفضائي الذي ترصده.

الغموض كان يحيط بكل شيء ونقص المعلومات أثار ضيق كافة المجتمعين، وفي النهاية، تقرر إرسال فريق استطلاع خاص لسبر حقيقة ما يحدث على الأراضي المصرية، مدعومين بقمر تجسس عسكري تم ضبط إحداثياته لتراقب منطقة البث طوال الوقت.

أما بالنسبة لتلك الذبذبة الفائقة فوق سطح القمر، فتم اعتماد الإذن الرئاسي من أجل العمل على إطلاق روبوت فضائي خاص من المحطة الفضائية الدولية، ليعمل على استطلاع تلك الأمور التي ظهرت فجأة على سطح القمر.

لتبدأ عملية الكود صفر بداخل الحدود المصرية.

وكان من الواضح أن الأمور ستتعقد أكثر.

***

عندما يهاجمك فأر لا يمكن أن تمارس في هذه اللحظة رفاهية فقدان الوعي، لأن هذا يعتبر قمة الحماقة، ولا تلم الفأر عندما تفقد بعض أطرافك وتحتاج بعدها إلى إحدى وعشرين حقنة من حقن التيتانوس المؤلمة.

هذا السيناريو التخيلي كان بعيدًا جدًا عن قصتنا هنا، فلم يحدث لحسن حظ سعيدة أو ربما لسوئه، ولكن القصة مازالت تحتوي على فأر، وسيحتل مساحة هائلة من الأحداث التالية.

فأر لن تنسوه أبدًا، وربما طرق بوابة أحلامكم هذه الليلة، ككابوس مروع.

فعندما استيقظت سعيدة، تلك المرأة كئيبة السحنة من غيبوبتها القصيرة، بداخل ذلك القبر المظلم، كان جسدها المهشم قطعة واحدة، لم يمسسها الفأر بسوء على غير توقعنا جميعًا، وكأن الفأر الذي هاجم وجهها كان يعابثها فقط، أو أن فقدانها للوعي أفقده حماسه.

كان جسدها بخير حال، هذا لو تغاضينا عن قدميها المهشمتين، واللتين لم تعد تشعر بهما من الأساس.

الحقيقة أن الفأر كان معها بداخل القبر ولم يغادر أو يمل، حتى إنها لم تشعر بوجوده.

كان صامتًا تمامًا على غير عادة الفئران، ويقف على قائمتيه الخلفيتين في تحفز، وشواربه تهتز دون توقف، وكأنه ينتظر شيئًا ما أو أمرًا ما، خاصة مع عينيه اللتين فقدتا بريقهما وصارتا في بياض الثلج، وهو أمر كان سيصيبها

بأزمة قلبية، لو لم يكن الظلام يغلف كل شيء بداخل المقبرة، حتى لتشعر معه بأنك فقدت بصرك.

الجديد في الأمر أن القيد الذي كان يُكبل فمها قد تمزق، وكأن هذا الأمر وحده هو الغرض من مهاجمة الفأر لها.

لقد عبث الفأر بفمها لكي يمزق القيد دون شك.

شعرت باشمئزاز عاتٍ، وتسلل إلى فمها طعم كريه، ترجمه عقلها على أنه طعم لحم الفئران، فكادت أن تقيء روحها ذاتها لولا أن تماسكت كي لا يزداد الأمر صعوبة، خاصة وأنها لن تتخلص من مخلفات القيء بسهولة، وهي مقيدة وعاجزة بهذا الشكل.

وكرد فعل عنيف، مع شعورها بتحرر فمها من القيد برغم اشمئزاز روحها، قامت على الفور بذلك النشاط المحبب لمعظم النساء، واندفعت تصرخ في عنف، وتستجدي النجدة من أشخاص غير موجودين، حتى أرهقت أحبالها الصوتية دون مجيب، فسالت دموعها في غزارة لتغرق وجهها.

كانت القوى الوحشية تتابعها عن قرب وبعناية، ولم يعجبها ردود فعلها البشرية، فأحكمت سيطرتها عليها عن طريق تلك الصلة العقلية التي نشأت بينهما، والتي منعت عن سعيدة في السابق آلام ساقيها، وقاموا ببث بعض

المشاعر المختلطة إلى عقلها لتحفيزها، كما عظموا بداخلها شعورها بالجوع الذي بدأ ينمو بداخلها منذ عدة ساعات، حتى أصبحت آلام الجوع غير محتملة وتكاد أن تمزق أحشاءها، وطردت أي مشاعر بشرية أخرى.

تعمق التواصل بين تلك الكائنات الوحشية ووسيطتهم البشرية سعيدة، ليتلاشى من داخلها كل إحساس بالخوف.. ولتبدأ في التوحد مع الأسياد، فاستسلمت لمشاعر الجوع.

كانت الكائنات الوحشية حريصة على تغذيتها وقتل مشاعر الاشمئزاز بداخلها، كي لا يتشوش عقلها، وتقل جودة الاتصال العقلي في هذه اللحظات الحاسمة.

فسعيدة الآن ركيزة أساسية في خطة العودة، لذا وجب المحافظة عليها وتلبية حاجات جسدها الضرورية حتى لو تمّ الأمر رغمًا عنها لاختلاف نوعية الطعام المتوفر.

هذا ما كانت تحرص عليه الكائنات الوحشية، أما موقف سعيدة في هذه الأثناء فقد كان مدهشًا، فهي لم تكن تبالي بأي شيء في الكون غير جوعها.

لم تعد تبالي بالظلام أو بوحدتها.

لم تعد تبالي بمصيرها أو سجنها.

عليها فقط والآن أن تُخرس آلام معدتها المتصاعدة.

ولم تتأخر تلك القوى عن مساعدتها، لتبدأ على الفور مهمة الفأر التالية.

كان فأرًا سمينًا، بل لو شئنا الدقة لقلنا إنها فأرة كبيرة الحجم تحمل بداخل أحشائها بعض الصغار.

كان موعد ولادة هذه الفأرة بعد أسبوع تقريبًا بعد أن تجاوز حملها الشهر بعدة أيام، لم يكن هناك مجال للانتظار، فقامت تلك القوى الوحشية المسيطرة بتعجيل الأمر عن طريق إرسال رسائل عقلية لأنثى الفأر، قامت على الفور بتعجيل آلام المخاض، واختصرتها من عدة أيام لدقائق معدودة.

وعلى الفور تحركت أنثى الفأر في تصميم وهدوء إلى قرب وجه سعيدة، الذي أصبح مغطى بالأتربة وبعض الدماء المتخثرة، التي سالت من أنفها وبدأت في عملية الوضع.

شعرت سعيدة بالحركة المحمومة فوق صدرها ولكنها لم تبال.. في الأيام العادية لو حدثت مقدمات هذا الهجوم لفقدت حياتها من الرعب.

الواضح في هذه اللحظات المروعة، أنه لم تكن هناك أي مشاعر تتدفق عبر كيانها إلا الجوع.

لذا فعندما غادر الجنين الأول أحشاء أنثى الفأر مختلطًا بالدماء والسوائل الحارة والرائحة الكريهة، انقضت أسنانها الحرة لتنهش في لحمه الطري، دون أن تبالي بحركته المحدودة.

كانت هذه الفأرة تحمل في أحشائها سبعة أجنّة صغار لم يكتمل نموهم بعد، كانت هي حريصة على إخراجهم،كما يحثها عقلها، وكان مكان ولادتهم الاستثنائي هو فم سعيدة.

سعيدة التي لم تُضيّع لحظة واحدة في تقديم القرابين لمعدتها الصارخة، وأخذت تنهش في لحوم الأجنّة الوردية في شبق ونهم.

كانت تلتهم الجنين منهم على مرة واحدة، بعد أن تلوكه أسنانها القوية.

كان حجمهم صغيرًا جدًا ليكونوا وجبة مشبعة.

وعندما أجهزت عليهم كان الجوع مازال ينهش في أعماقها، ورغبتها في المزيد قوية، وعلى الفور تقدمت أنثى الفأر لتمنحها جسدها الرخو كقربان أخير لإرضاء الأسياد، لتبدأ سعيدة على الفور في التهامها، وهي مازالت على قيد الحياة.

لم يكن الأمر سهلاً كما حدث مع الأجنّة، وكان فراؤها الوبري يتسبب في بعض الضيق في عملية الالتهام، ولكن سعيدة كانت تقضم من جسدها الرخو في حماس مبالغ فيه، حتى أن أسنانها طحنت العظام والرأس في قوة مذهلة، بل وروت عطشها من دمائها ومن سوائلها المتدفقة.

وفي النهاية تمّ الأمر بنجاح.

حقيقة أنها لم تقتل جوعها مع تلك الوجبة الهزيلة، فأنثى الفأر لم تكن تتجاوز نصف كيلو جرام مع الأجنة، ولكن آلام الجوع كانت قد توقفت، وأخذت معدتها في هضم الطعام بطريقة أقل سرعة من المعتاد.

الأمر المبهج هنا أنها لم تكن في وعيها تمامًا، وهي تقوم بفعلتها المقززة هذه، فالكائنات كانت تسيطر على عقلها كما تعلمون، وهيأت لها عقليًا لها أنها تتناول طعامًا طبيعيًا جدًا.

بل وأخذت خطوات إعدادها للمرحلة القادمة، بعد أن استغلت قدرات عقلها في التواصل مع أصلان الذي يحتل جسد زاهر.

وعلى الفور بدأت في بث التعليمات الجديدة.

لتتطور خطة الاجتياح

***

في هذه الأثناء، كانت مقابر غرب شبرا تشهد حدثًا استثنائيًا متفردًا، ولحسن الحظ أنه لم يكن هناك أحياء ليشهدوا ماحدث وإلا لأصابت عقولهم صدمة مروعة من غرابة ما شاهدوه في اللحظات التالية، أما عن الأموات فقد شغلهم ازدحام مقابرهم، وأمورهم في العالم الآخر، فلم يأبهوا بما يحدث في محيط الجبانة.

الموقف كان عجيبًا جدًا وغريبًا، بل ومخيفًا أيضًا. خاصة أن كل ما يحدث يحدث في وضح النهار، والشمس ساطعة تضيء الكون كله.

المعروف والمقبول أن الأحداث المخيفة تحدث ليلاً، حتى كاد هذا الأمر أن يصير قانونًا، فما معنى أن يتمّ هذا في وضح النهار، وتحت شمسه المشرقة.

لم يعد هناك احترام في هذا العالم لأي قانون، حتى قوانين الظلام.

الآن لو افترضنا أن هناك مُشاهد خارجي، وقع بصره على تلك الأحداث الغريبة، التي تتم جهارًا نهارًا، لغيّر بكل تأكيد نظرته عن وجود الجن وعن هيئتهم وشكلهم، وكيف أنهم قد يتمثلون في صورة صبي يرتدي المنامة، وتتألق عيناه بضوء أزرق مخيف.

ما حدث كالتالي:

بخطوات متثاقلة متوترة، اقتربت لبنى من حدود الحفرة التي يقوم هشام بحفرها في حماس، بالقرب من مؤخرة قبر أبيهم، وتحديدًا مكان الجدار الذي شاهدت شقيقها هشام يهدمه بقبضتيه العاريتين منذ دقائق؛ العرق يغمرها، والخوف ينهشها، والقلق يجعل دقات قلبها مسموعة بوضوح، حتى كادت تفر عائدة أكثر من مرة.

بل لقد همّت بالتراجع بالفعل، عندما فاجأها ظهور هشام أمامها وكأنه خرج من قلب العدم.

فقد قفز هشام من داخل الحفرة التي تراكمت على جانبيها الأتربة، قفزة مذهلة تفوق إمكانات الجسد البشري الطبيعي، عبر بها الحفرة ليقطع طريقها في صرامة وعيناه تتألقان بالضوء الأزرق الساطع.

وكان من الواضح أن هناك تصميمًا قاتلاً يغتال براءة عينيه.

لقد خرج من الحفرة وكله رغبة في الفتك بذلك العدو المتقدم نحوه.

شقيقته.

الطفيل المتطور يسيطر عليه تمامًا الآن، حتى إن رؤيته المزدوجة للأحداث قد تلاشت نهائيًا، وكأن ذلك الطفيل قد استطاع إحكام سيطرته على عقله أخيرًا.

أصابت المفاجأة لبنى بالصدمة، وعلى الفور استعادت ذكرى كل المذابح التي قام بها شقيقها على الفور، وأيقنت أن هذه هي لحظاتها الأخيرة في الدنيا.

لكن رد فعل هشام التالي فاجأها وأصابها بحيرة شديدة، فعلى مقدار الغضب الذي رأته في عينيّ هشام، كان رد فعله باردًا، فلم يهاجمها أو يأتي بأي رد فعل يدل على وعي أو إرادة.

لقد توقف في مكانه للحظات كالمذهول، وكأنه روبوت فقط قدرته على الاتصال بالكمبيوتر المركزي الذي كان يتواصل معه ليمنحه الأوامر.

كانت المرة الأولى التي ترى مثل هذا الضوء الأزرق المخيف، وعلى الرغم من صدمتها إلا أنها أفاقت بسرعة، واندفعت نحو هشام لتضمه إلى صدرها بقوة وهي تبكي في لوعة، وهذه المرة لم يتحرك هشام أيضًا، بل ظل على جموده وحيرته، لتحدث الظاهرة المدهشة التالية.

فقد تألق جسد لبنى بقوة حتى تحول لشمس زرقاء ساطعة، ومع جمالها الاستثنائي، تحولت لحورية مذهلة الجمال، حتى هي أصابها الذهول مما يحدث، ولأنها لم تكن تحيط بما يحدث حولها علمًا، عزت الأمر إلى الرابطة التي تربطهما.

ولأن الظواهر العجيبة لم تكن قد فرغت جعبتها بعد، فما حدث في اللحظة التالية كان أعجب مما حدث في الدقائق السابقة.

فقد ثارت الأتربة بالقرب منهما في عنف، وشق الصمت أزيزًا مسموعًا، جعلها تتعلق أكثر بأخيها قبل أن يتألق العدم، ويظهر ذلك الشاب المعتم من قلبه، وهو يحمل بين يديه سلاحه الأسطواني الذي تألقت مقدمته المسدسة بالضوء الباهت، ليطلق عليهما شبكته الضوئية، التي سرعان ما أحاطت بهما في إحكام، لتنطلق عبرها تلك الشرارات الكهربائية المتوهجة، لتصعقهما سويًا.

وليسقطا أرضًا في عنف، قبل أن يخرج ذلك الشاب المعتم من حزامه، أسطوانة داكنة ألقاها صوب الحفرة غير العميقة التي حفرها هشام، لتتألق الأسطوانة في قوة، قبل أن تخترق الأرض الترابية الهشة مثيرة حولها عاصفة محدودة من الغبار، لتمضي دقائق معدودة، قبل أن تظهر بعدها الأسطوانة كسفينة فضاء دقيقة الحجم، وأسفل منها يطفو صندوق متألق من الذهب الخالص.

في هذه اللحظة الحاسمة وصلت سيارات الشرطة المدعمة بمصفحتين وعربة أمن مركزي ضخمة إلى المقابر، وسرينتها العالية تصنع عاصفة أخرى

من الضجيج، وعندما هبط منها رجال الأمن المدججين بالسلاح، ونفذوا عملية الانتشار حول محيط المقابر ليحاصروها بإحكام.

وقبل أن يستوعب قائدهم ما يدور أمامه من غرائب، ليمنحهم إذن التعامل، تألقت حول الشاب المعتم والشقيقين هالة من الضوء الساطع أعمت عيون الجنود وقائدهم، قبل أن تحدث فرقعة عالية، ليختفي الجميع، ويسود الصمت والذهول المكان.

***

لو انتقلنا الآن إلى سطح القمر، لشاهدنا ذلك الروبوت المتطور، الذي قطع المسافة من المحطة الفضائية إلى القمر في وقت قياسي بطريقة مثيرة للدهشة، تخبرنا أن ترسانة الولايات المتحدة السرية لا تنتهي ما لديها من حيل تكنولوجية.

كان هذا الروبوت أحد أكثر أسلحة ناسا سرية، ولم يُعلن عنه أبدًا، خاصة وأنه مزود بنوع جديد من الوقود التجريبي الذي سيغير خلال السنوات القادمة، فكرة السفر عبر الفضاء، كما أنه كان مزودًا بتكنولوجيا عالية جدًا ذات ذكاء صناعي تفاعلي تتطور مع المواجهات والمهمات المتتالية.

لذا فإنه عندما هبط في الموقع المحدد له بين تلال القمر، كنوع من التمويه، شرع على الفور في التقدم نحو مصدر الذبذبة الخارق، بعد أن فعّل خاصية الحرباء، التي جعلت هيكله يتماهى مع البيئة المحيطة، ليقطع الطريق دون أن ترصده أي أجهزة رصد معروفة على سطح الأرض.

لم تكن سجلاته تحوي أي معلومات سابقة مقارنة بما ترصده أجهزته الآن، خاصة وأن هذه الذبذبات الخارقة، تعجز أجهزة القياس المدمجة في هيكله العملاق عن تحديد مدى قوتها، فقد وصلت معها الأجهزة لأقصى مدى لم توقفت معلنة عجزها عن المتابعة، كما لم تستطع الأجهزة المتطورة أيضًا حساب مقدار ما تستهلكه تلك البؤرة النشطة من الطاقة لتوليد هذه الذبذبات الخارقة.

حجم الطاقة المستخدم مروع، ولا يبدو أن مصدرها أرضي أبدًا، كما أن تلك الذبذبات لم تكن ثابتة، وتتزايد حدتها بمرور الوقت، وكأنها تقوم بشق الفضاء نفسه.

حدد الروبوت المتطور بدقة شديدة موقع الذبذبة، ثم انطلق نحوها حسب الخطة الموضوعة، وهو يرسل كل المعطيات الجديدة إلى محطة الفضاء الدولية، والتي كانت تعيد بثها إلى الأرض بفارق عدة ثوانٍ.

كان الأمر مخيفًا جدًا لمن يتابع الأمر على الأرض من العلماء.

إن فرضية وجود كائنات فضائية عاقلة حولنا محسومة وموثقة ولم تعد مجرد نظريات، فاللقاءات من النوع الثالث حدثت بالفعل ولكن في سرية شديدة، لقد التقى علماء ناسا والرئيس الأمريكي الأسبق منذ عدة سنوات مع مخلوقات فضائية من داخل مجرتنا، هذه المخلوقات المتحضرة أتت بسلام ورحلت به، وظل التواصل معها مستمرًا حتى لحظة كتابة هذه السطور، والتعاون التكنولوجي مستمر ولكن في نطاق أضيق.

هل لفت نظركم لوجو شركة سامسونج لنظامها الجديد أندرويد، والذي يشبه في هيئته المخلوقات الفضائية القديمة ذات قرون الاستشعار؟ هل لفت نظركم أيضًا أنه يبدو كروبوت أو رائد فضاء غير أرضي؟ هل شعرتم بالقفزة التكنولوجية العملاقة التي حدثت في السنوات الأخيرة، خاصة مع تطور تكنولوجيا النانو؟ هل لكلامي هذا مغزى؟

هذا ما سأتركه لعقولكم وتقديركم.

إن حقيقة وجود مخلوقات فضائية عاقلة مسالمة تم حسمها كما أخبرتكم، الخوف الوحيد الآن من وجود كائنات أخرى عدائية، يتحول الاتصال بها إلى كارثة مدمرة تهدد كوكب الأرض.

وهذه الذبذبات التي يرصدها الروبوت المتطور، تدل على وجود اتصال هائل يسعى لصنع بوابة كونية ناقلة بين الأبعاد، والمخيف أن هذه البوابة الكونية تتشكل بالفعل، وهم يجهلون أي معلومات عن حقيقة ما يحدث.

لقد افترض أحد العسكريين أن قيام أصحاب هذه البوابة باختيار نقطة بعيدة ومحايدة للقدوم لا يعني إلا شيئًا واحدًا.

أن القادمون لم يأتوا بسلام.

ولو أن هذه الذبذبات صناعية، وليست ظاهرة طبيعية كما تؤكد المؤشرات الأولية، فإن الأمر يشبه إحدى إستراتيجيات الهجوم العسكرية، وهي حشد القوات في مكان محايد بعيد عن الكوكب الأم، ليكون محطة اجتياح تضمن لهم معاودة الكرّة أكثر من مرة، حتى ينجح الغزو.

كانت فرضية مخيفة ومفزعة، والمخيف فيها أنها منطقية، أما المفزع أنها تحدث بالفعل، ومع نقص المعلومات كان عليهم انتظار الروبوت المتطور الذي يشكل الآن فرقة الاستطلاع الأولى الخاصة للأرض، ليرسل لهم ما يتوفر من معلومات، ليُقيّموا الأمر قبل اتخاذ أي خطوة متسرعة أو متهورة.

ما عليهم الآن إلا الانتظار حتى تتجمع لديهم المعلومات الكافية، ليطلقوا صفارة الطوارئ العظمى، وليصبح الكود صفر واقعًا حتميًا، وأن هناك تهديدًا فضائيًا حقيقيًا موجهًا نحو كوكب الأرض.

وكان الانتظار يعني المزيد من الوقت الضائع.

وعلى الفور اتجهت الأنظار نحو شاشات ناسا العملاقة في انتظار ما ستبثه خلال الدقائق القادمة، وقلق عميق يغزو كافة القلوب.

الجزء الخامس

العزل

الهجين

ارتفع الأزيز الحاد بداخل السفينة الفضائية القابعة فوق رمال صحراء مصر الغربية، والتي يخفيها ذلك الدرع المتطور عن العيون وأجهزة الرادار الأرضية، ليتبعه تألق ضوء هائل مبهر، بداخل إحدى غرف العزل المؤمنة الموجودة بداخل السفينة، قبل أن يتجسد ذلك الشاب المعتم من قلب الضياء الباهر في مشهد مبهر.

ولتظهر بجواره تلك الشبكة الضوئية التي قام عن طريقها بأسر هشام ولبنى، وهي تحيط بهما في إحكام، وليطفو في سماء الغرفة المحصنة ذلك الجسم الأسطواني الذي يحمل مفتاح القوة الثالث، كطبق طائر صغير لا أثر للجاذبية الأرضية عليه.

تلاشى الضياء المبهر لتظهر على وجه الشاب المعتم ملامح إرهاق حقيقي، لم تكن لتلحظة العيون مع تلك المادة المعتمة التي تدخل في تركيبه وتُخفي الكثير من تفاصيل وجهه.

اختلطت ملامح الإرهاق هذه مع ملامح تفكير عميق مشوب بالقلق، فبرغم كل شيء مازال هو مجرد فرد واحد في مواجهة كل هذه التطورات والمتغيرات العنيفة، التي لا تتوقف طوال الوقت، بل تتطور من سيء إلى أسوأ.

وبرغم ما يملك من تكنولوجيا وعلم، إلا أنه لن يستطع أن يقاتل في كل تلك الجبهات المفتوحة في آن واحد.

لابد وأن يأتي له الدعم في أقرب وقت.

كان عليه الآن أن يعيد ترتيب أولوياته، فالأمور أصبحت معقدة جدًا وتحتاج لتحرك سريع وحاسم.

في البداية عليه أن يقوم بعزل هشام ولبنى معًا في مكان واحد، خاصة بعد أن نجحت خطته في الإيقاع بذلك الطفيل المتطور، قبل أن يتحول إلى خطر وتهديد حقيقيين، مع تلك الإمكانيات الاستثنائية التي تجعل قدرته على الاستحواذ وتحفيز قدرات العائل أسطورية، وظهر هذا جليًا في المذابح التي قام بها على طول طريقه صوب المقابر، وبتخلصه المدهش من الرصاصة، ومعالجة الجرح.

ولو لم يقم هو بتلك الخطوة الاستباقية، لربما فشلت كل جهوده في احتواء الأزمة بالكامل.

فتلك الرابطة العقلية التي جمعت بين هشام وشقيقته لبنى كان لها فضل كبير في نجاح خطته، لأن سيطرة الكائن عقلية أكثر من كونها تكنولوجية، فالكائن نصف آلي ونصف حي.

فعن طريق علوم كوكبه التي تسبق علوم كوكب الأرض بعدة آلاف من السنين، وبصفته عالم وخبير في مجال الأحياء والمخلوقات الفضائية الخطرة، وباستخدام آليات متطورة ومبرمجة، تشبه إلى حد ما تكنولوجيا النانو الأرضية؛ استطاع إحكام الفخ تمامًا على ذلك الطفيل المتطور.

لقد درس هذه الطفيليات في كوكبه جيدًا منذ سنوات، ويعرف سبل لجمها جيدًا، وسبل العثور عليها.

الجزء العبقري في الخطة أنه لم يعترض مسار الطفيل المتطور قبل استيلائه على العائل، ولكنه حصره بداخل جسد العائل ليسهل تتبعه لو فشلت الخطة، ثم حوّل لبنى نفسها إلى شرك جهنمي.

فهذه الآليات المتفوقة، والتي ترسبت بداخل عظامها، كان لها القدرة على شل قدرات ذلك الكائن الطفيلي ولجمه، مما مكنه من احتوائه.

بالطبع لن ننكر أن المعلومات التي حصل عليها قبل بدء مهمته، جعلته يتنبأ بخطوة الطفيليات القادمة بل ويسبقهم بخطوة.

وصحيح أنه ضحى بهشام وجعله طعمًا، وكان هذا يتنافى مع طبيعته كعالم، ولكن الفرصة مازالت متاحة لإنقاذه.

المشكلة الدائمة في النجاة من قبضة هذه الطفيليات تكمن في الوقت، العملية معقدة، ومع إمكانات السفينة البحثية المحدودة، يصبح الأمر أكثر تعقيدًا، وكل هذا سيحتاج لوقت لا يملكه في هذه الفترة الحرجة من المهمة، وليس أمامه الآن إلا إرجاؤه.

لقد ساعدته لبنى نفسها دون أن تدري، فقد حدّد عن طريقها موقع مفتاح القوة الثالث، واستطاع في نفس الوقت تحجيم ذلك الكائن المتطور، الأمر لم يكن سهلاً ولم يخلُ من الضحايا، ولكن بعض الدماء قد توقف نهرًا كاملاً منها.

إن هذا المنطق مريض جدًا، ولا يستسيغه تمامًا.

الدماء واحدة، وإهدارها لأي سبب، هو جحود بنعمة الخالق، ولا يمكن أن تُبرر بأي حال من الأحوال.

وكانت هذه النقطة هي أصل تردده وقلقه، فأكثر ما يخيفه في هذه اللحظات القاهرة أن قناعاته بدأت تهتز، وتقبل روحه للعنف أصبح واضحًا، لقد كان قرار مجلس الحكم بإيقاف الرحلات إلى هذا الكوكب موفقًا جدًا، فالكائنات البشرية تحمل من الشر داخلها، ما يكفي لإصدار قرار آخر بإفنائها، إنها وباء مخيف ينشر الشر في كل مكان.

أقلقته جدًا فكرة تمني الفناء لهذه المخلوقات الأرضية الهشة المليئة بالغرور، فما يؤمن به أن الروح مهما قلت مكانتها أو ترتيبها في السجل الكوني هي في النهاية روح، ويجب أن تُعامل بكل احترام وتقديس.

صحيح أنه تأثر جدًا بموجات العنف والشر الموجودة على هذا الكوكب الملعون والتي عاصرها بنفسه في إطار مهمته، وهذا قد يكون شيئًا جيدًا حقًا في المواجهات القادمة مع قوى الشر المتربصة، إلا أن هذا يؤذي روحه بعنف ويرهقها، فمواجهة الشر بالشر قمة الهمجية، والعزاء الوحيد في الأمر، أنه يوجد في كوكبه من هم قادرون على إعادة تأهيله، فقط عليه الآن أن يُنهي مهمته لوقف نزيف الضحايا الحالي والمحتمل.

وعليه الآن أن يعزل هذه الأفكار السلبية من رأسه كي يستطيع إتمام مهمته، وهو شيء مخيف، إن العبث بفطرة المخلوقات، كالعبث في جيناتهم، كلاهما يصنع المسوخ.

لديه الآن عدة مشكلات ملحة لابد من مواجهتها:

الأولى: هي الاجتياح الذي يحدث في تلك القرية البعيدة عن موقعه، والذي رصدته أجهزته بالقرب من موقع تلك القوى الوحشية، وهذا شيء لا يمكن الصبر عليه.

ـيًا: عليه أن يُنهي إجراءات عزل هشام ولبنى، لأنه لا وقت هناك لبدء ـلسل العلاج، والذي يتطلب تواجده وتركيزه الكاملين.

ـالثًا: عليه أن يقوم بأبشع جزء في مهمته الحالية، والذي يتنافى مع طبيعته وفطرته، عليه الآن ودون لحظة تأخير واحدة، التخلص من شريف وذلك الطفيلي الذي أتمّ السيطرة عليه.

فخلال وقت وجيز لن يستطيع ردعه، لأن تمكن الطفيل منه سيجعله يحفز تلك القوى البشرية الخارقة، المستكينة تحت غلاف الحضارة وحمق هذا الجنس البشري.

إن الوقت هو المقياس الوحيد في ردع هذه الشرور، وهو لم يعد يمتلك منه الكثير.

والدعم لم يصل بعد.

***

كان من المقرر لفريق الاجتياح الأمريكي المشترك بين وزارة الدفاع وناسا، أن يدخل إلى الأراضي المصرية تحت غطاء دبلوماسي، ثم يتحرك إلى أرض المعركة متسللاً دون أن تُحاط السلطات المصرية خبرًا بطبيعة المهمة، إلا أن تطور الأمور على سطح القمر، جعل هذا الأمر غير ممكن بأي حال من

الأحوال، نظرًا لما تحتاجه هذه المناورات من وقت لا يمكن السماح بإضاعته، في خطط فرعية.

وعلى الفور تمّ التنسيق الكامل مع السلطات المصرية، وعلى أعلى مستوى، من أجل بدء المهمة.

ولأن الأمور قد بدأت تتطور أكثر من قدرتهم على ملاحقتها، فقد تمّ استخدام طائرة عسكرية سرية، تعمل بذات الوقود الحديث الذي يعمل به الروبوت الفضائي، والتي تفوق سرعتها أسرع الطائرات المعروفة خمس مرات على الأقل، ليصل الفريق المكلف خلال ساعة واحدة إلى إحدى القواعد العسكرية القريبة من موقع الحدث، ليسبق حضوره قيام فرقة استطلاع مصرية خاصة باستطلاع المكان، تمهيدًا لبدء العملية.

كانت هذه مجموعة من الإجراءات الاستثنائية التي حتمتها الأمور، بعد التطور الأخير على سطح القمر.

ولم يكن التطور الذي حدث تطورًا عاديًا، أو يمكن احتواؤه بسهولة، بل كان نقلة نوعية وخطيرة في طبيعة المواجهة.

فبعد أن قطع الروبوت المتطور عدة كيلو مترات بداخل الحدود المضيئة للقمر، وفور عبوره الخط الفاصل بين المنطقتين، ليدخل متسللاً إلى المنطقة المظلمة، قام على الفور بتحويل نظام الرؤية إلى نظام الرؤية الليلية.

بعدها قام بمسح بصري مبدئي للمنطقة وتأكد من خلوها من الأخطار، ليعبر مجموعة أخرى من التلال والهضاب والفجوات التي اعترضت طريقه، قبل أن يصل لمسافة كيلوا متر من موقع الذبذبات المنشود.

ليبدأ الجزء الثاني من تسلسل الرصد، والذي سيمكنه من تتبع هذه الذبذبات بدقة أكبر لا تتعدى نسبة الخطأ فيها الثلاثة في كل مائة مليار.

وخلال كل ثانية تمضي، وعبر سيل المعلومات المنهمر إلى الأرض، كان الروبوت يثبت أن المبلغ الذي دُفع في تصنيعه، والذي تجاوز الأصفار التسعة؛ لم يذهب أدراج الرياح.

قطع الروبوت نصف كيلو متر آخر، قبل أن تبدأ أجهزته المتطورة في رصد الضياء الباهر الصادر من قلب الفجوة المظلمة، ذلك الضياء الذي لأول مرة في التاريخ يجرح عتمة الظلام، في ذلك الجزء المظلم من القمر.

أعاد الروبوت مسح المكان، كما أعاد دراسة المستجدات ببرنامج الذكاء الصناعي المتطور المدمج في خلاياه، وقرر أن يقوم بإرسال كافة البيانات

والتحليلات والفرضيات التي توصل إليها إلى الأرض، قبل أن يغامر بتقدم جديد.

ولذلك اعتلى الروبوت قمة إحدى الوهاد متوسطة الارتفاع، ثم بدأ في بث كل المعلومات المحدّثة إلى محطة الفضاء الكونية، التي قامت أجهزتها على الفور ببثها للأرض.

وبداخل رأس الروبوت لم تتوقف شرائح الذكاء الصناعي البيوحيوية، عن تحليل الأمر ودراسته ومسح المكان من حوله؛ لرصد أي هجوم محتمل. وعندما وجدت هذه الشرائح الذكية أن الخطر في المنطقة القريبة لا يمثل نسبة تُذكر، فإنه استحثّ برنامج الحركة على المضي قُدمًا ليقطع الروبوت مسافة مائة متر أخرى قبل أن تتشوش أجهزته، وتصاب باختلال مفاجئ غير متوقع مع رصده لجسيمات دون ذرية، لم يرصدها من قبل.

وعلى الفور قام بتفعيل برنامج طوارئ خاص حرص مصنعيه على وجوده، فقام بعزل هيكل الروبوت الخارجي، وقام بتحييده عن استقبال المؤثرات الخارجية، مع تفعيل آلية الانسحاب الحرج، ليقوم جهاز دفع صاروخي مدمج في هيكل الروبوت بالانطلاق بزاوية ميل خاصة، ساحبًا معه الروبوت ليخرج بعيدًا عن منطقة التشويش لأقرب منطقة آمنة، ولتعود أجهزته للعمل.

وبمجرد عودة الروبوت للعمل بشكل طبيعي؛ قام بعملية مسح شاملة لمسافة نصف قطرها ثلاثمائة متر، قبل أن يُثبّت هيكله المعدني عن طريق مجسات إلكترونية خاصة، إلى أرض القمر الصخرية قليلة الجاذبية، ويبدأ على الفور في استخدام أجهزة الرصد المتطورة الملحقة، والتي بدأت تُرسل سيلاً من البيانات المخيفة للقاعدة الفضائية الدولية، ومنها إلى الأرض، ليستقبلها العلماء المتحفزون.

القراءات هذه المرة كانت تبعث على القلق، فالذبذبات بدأت بالفعل في التصاعد بشكل مذهل، لدرجة أعجزت أجهزة الرصد نفسها عن تحديد شدتها ومداها الحقيقي.

وحتى مع استخدام أحدث أجيال السوبر كمبيوتر (تيرا سكيل)، والذي تمّ الاستعانة به بأمر مباشر من الرئيس، لدعم تحليل البيانات، فإن كل النتائج تؤكد ودون شك أن هذه الذبذبات الفائقة تصنع فوق القمر بوابة انتقال كونية حقيقية.

هذه البوابة قادرة عند امتلاك التكنولوجيا الكافية؛ السماح لجيش كامل بكل معداته بالعبور من خلالها، واحتلال القمر وجعله نقطة انطلاق تمهيدًا لاحتلال الأرض.

وهو ليس أمرًا مستبعدًا نهائيًا بعد لقاءات النوع الثالث التي تمّت مع مخلوقات مجرتنا، والتي تمّ منذ سنوات عدة، برعاية عدة حكومات في سرية تامة.

ثم إن استخدام الجانب المظلم من قبل قوة كونية شيء مريب، ولكن المريب أكثر هو تلك السرعة التي يتطور بها الأمر، متواترًا مع تلك الرسالة المخيفة التي خرجت من قلب صحراء مصر الغربية.

الكود صفر يتحقق، والتهديد الفضائي حقيقي، ولا يعرف الجميع هل يستطيع برنامج حرب النجوم التصدي للأمر أم لا.

والكود صفر: هو تهديد فضائي حقيقي، يستدعي حشد الجيوش، والتنسيق العالمي لمواجهة الخطر.

كل الأمور كانت تدعو للشك، ولكن التحرك السريع له خطورته أيضًا.

أما عن اليقين؛ فقد جاء على هيئة صورة أخيرة التقطتها أجهزة الروبوت المتحفزة، لكائن مدرع معتم يحمل في يده سلاحًا قاتلاً، قام عن طريقه بتدمير الروبوت المتطور، وقطع فيض المعلومات.

هذه الصورة كانت كفيلة وحدها بإعلان حالة الطوارئ في العالم أجمع.

الأرض في هذه اللحظة تواجه أعنف تهديد، ممكن أن تواجهه من أيام طوفان نوح عليه السلام.

غزاة من كوكب آخر.

•••

هدرت محركات تلك السفينة الفضائية الموجودة في صحراء مصر الغربية بقوة استعدادًا للإقلاع، وبداخلها كان ذلك الشاب المعتم منهمكًا جدًا في العمل.

فبعد أن قام بعزل كل من رضوى وهشام بداخل صندوق ثقيل مصنوع من سبيكة غير أرضية، يدخل في تركيبها الرصاص، قام بتفعيل آلية دفاعية مدمجة في هيكل الصندوق، والذي كان يُستخدم من قبل في عزل حيوانات المجرة شديدة الخطورة، التي كان يقوم بأبحاثه عليها، والتي كان بعضها يمتلك قدرات عقلية معينة تجتذب عن طريقها فرائسها.

بعدها قام بتوصيل مفاتيح القوة الثلاثة ببرنامج خوارزمي خاص، من أجل العثور على وسيلة محددة لتدميرها، لإيقاف الخطر

وبينه وبين نفسه لعن حماقة أجداده وحماقة كهنة الفرعون، الذين قاموا بصنع هذه المفاتيح، على أمل جعل هذه المخلوقات سلاح فناء في النهاية، لو هدد أي خطر مملكتهم.

الآن أنهى الشاب المعتم الجزء الأخطر من العمل، بعزل هشام ولبنى ومعهما الطفيل المتطور، عليه الآن أن يقوم بالجزء الأكثر قسوة وعنفًا في مهمته، ذلك الجزء الذي لم يعد للأسف يؤرقه كما كان يحدث سابقًا.

سيقوم بإنهاء حياة شريف العائل الثاني، قبل أن يتفاقم خطره ولا يمكن احتواؤه.

لقد حانت اللحظة الحاسمة، ولكن عليه في البداية أن يقوم بطقوس الوداع، هذه الطقوس التي ستشمل كل من يحضر الحدث حسب أعراف كوكبه.

لذا فإنه وقف منتصبًا أمام الشاشة العملاقة، التي تُظهر غرفة العزل الموجود بداخلها شريف، وبجواره وقفت رضوى في ذلك الزي الغريب الذي أعارها إياه، والذي التصق بجسدها فمنحها جمالاً مضاعفًا، ليلمس بيده كره ملساء بلوحة قيادة المركبة، لتعزف في الخلفية موسيقى جنائزية كئيبة، صدمت كيان لبنى بقسوة، وجعلت دموعها تهطل مدرارًا، بما يفوق تأثرها لو عرفت سبب عزف هذه الموسيقى.

كان وقع الموسيقى قاسيًا جدًا عليها، حتى إنه ذكرها بكل خيبة أمل مرت بها في حياتها.

إنها لم تعتد هذا التأثر بالموسيقى، فالموسيقى الأرضية سواء أكانت حزينة أو مبهجة فإنها تمنح للروح السكينة، ولكن هذه الموسيقى كان جارحة وكئيبة، ولو استمرت أكثر لحفزتها على الانتحار.

لم تستطع احترام مهابة اللحظة، فأطلقت صرخة عقلية استقبلها الشاب المعتم على هيئة سؤال، ليجيبها إجابة فلسفية لا تشفي الغليل:

– الموت هو أعلى رد فعل يقوم به كائن حي، ونزع الروح هو أبشع الأعمال وأكثرها وحشية، ولكن الموت من سنن الحياة في الكون.

صدمتها الإجابة، فعادت تتساءل بداخل عقلها في روع:

– لماذا تذكر الموت، من سيموت؟ هل تقصدني أنا؟!

جاء رده العقلي سريعًا ليبدد مخاوفها:

– لا تجزعي أيتها الأرضية.. الموت لمن اختار الموت.

لم تستطع استيعاب منطقه، فأرسل لها عدة صور عقلية، أصابتها بصدمة كبيرة، فنكست رأسها، وعادت الدموع لتنهمر من عينيها المحتقنتين، وهي تردد بصوت محتقن مهزوم:

– ألا يوجد بديل؟!

صمت الشاب المعتم ولم يجبها، فتعلقت عيناها بسبابته المرتعشة التي اتجهت صوب أحد الكرات الموجودة في لوحة القيادة ليضغطها بقوة، لينطلق غاز مخدر أخذ يفح بقوة، وشريف المقيد في غرفة العزل يستنشقه في نهم.

فهمت رضوى معنى الخطوة التي قام بها الشاب المعتم، فنظرت له بامتنان، لتصله رسالتها، قبل أن يصلها بث عقلي محمل بأسى شديد:

– عليه أن يموت ليموت معه الطفيل، وليس عليه أن يتألم.

وبحركة سريعة أودعها كل توتره، ضغط كرة أخرى، قبل أن يتركها ترتد، وليصاب جسده برعدة عنيفة.

وبداخل غرفة العزل، انهمر سائل حمضي عالي التركيز، ليغمر جسد شريف بالكامل، ولتبدأ على الفور، الأبخرة في التصاعد من جسده المحترق، البادئ في الذوبان.

كان الأمر سيسير بشكل جيد نحو النهاية، لولا تلك الرجفات المتتابعة الصادرة عن جسد شريف المقيد، والتي توضح حقيقية محاولات الطفيل المحمومة للتغلب على تأثير الغاز المخدر، رغبة منه في المقاومة.

وبالفعل نجح للحظة واحدة في إيقاظ شريف الذي صرخ صرخة واحدة قبل يفقد حياته من الألم والصدمة، ليلتهم الحمض جسده بالكامل، ويستمر تأثيره حتى يلتهم الطفيل الذي لم يجد مكانًا للهرب مع كثافة الحمض.

كان المشهد من أكثر المشاهد التي رأتها رضوى بشاعة في حياتها، صرخة شريف الأخيرة رجت روحها بداخل جسدها، فتمنت لو لحقت به، ورأفة بها بدل الشاب المعتم الشاشة، واستعد لانفجارها.

ولم يتأخر انفجار رضوى كثيرًا، فصرخت:

– لماذا، لماذا؟ من أنتم، ولماذا يحدث كل هذا؟

صعقت الشاب المعتم تلك المشاعر البشرية الهادرة، حتى إنه تسلل إلى داخل رأسها بقدراته العقلية المتفوقة، في محاولة للسيطرة على كل تلك المشاعر السلبية الصادرة عن عقلها، إلا أن عقله تزلزل، وكادت روحه أن تغرق في دوامة من نفس المشاعر التي حاول أن يخلصها منها، وفي هذه

اللحظة المؤلمة أدرك جيدًا حقيقة التحذير، الذي أصبح قانونًا لعدم الاختلاط مع هذا الجنس المخيف، وقطع الرحلات الفضائية إليه.

فهذا الجنس البشري يمتلك مجموعة من المشاعر المتطرفة التي تُحيّد دور العقل تمامًا، وتميل للشر.

تزلزلت مشاعر رضوى، ولكنه سيطر عليها أخيرًا وبصعوبة، وعبر عقله بث لها رسالة بأنه سيخبرها بالقصة كاملة، وهما في طريقهما لمجابهة الخطر الجديد.

وخارج السفينة، كان هناك فريق خاص بدأ في رصد ذبذبات الانطلاق، فريق مصري أمريكي مشترك.

وكان هذا يعني خطرًا جديدًا يجب التعامل معه.

هبط الظلام ومعه هبط الخوف على تلك القرية المنكوبة في جنوب الصعيد، والتي بدأت فيها سلسلة الأحداث المشؤومة.

تلك القرية التي دُفن فيها أصلان حيًا، ودُفنت أسفل مقابرها تلك الصناديق المطلسمة التي تحوي القوى المتوحشة، بداخل مقبرة ملعونة لم يضع عليها كهنة الفراعنة نقشًا واحدًا، والتي أصبحت فيما بعد مهدًا لتلك الثمرة المحرمة، التي أهدت للبشرية ذلك الكائن الهجين المتوحش النهم لكل أنواع اللحوم، خاصة لحوم البشر.

في تلك الليلة الحالكة، لم يكن التوتر يغمر شوارع القرية التي غمرها الظلام، وسوقها الكبير فقط، بل كان التوتر يغمر كوكب الأرض كله من أقصاه إلى أقصاه، فالأمور لم تكن مشتعلة بداخل وكالة الفضاء الأمريكية ناسا وفوق سطح القمر، وفي صحراء مصر الغربية فقط، بل هناك دول كثيرة رصدت الأمر، وبدأت تعد العدة للتدخل.

الكل ينظر نحو السماء متوقعًا ذلك الخطر المخيف..

الغزو..

دون أن يتوقع أحد منهم أن الخطر الأكبر ينبع من داخل الأرض نفسها، من تلك الصناديق المطلسمة التي دفنها كهنة الفراعنة، في تلك المقبرة السرية عندما عجزوا عن مواجهتها.

الخطر الذي أصبح لديه أنياب ومخالب وأتباع.

وفي قرية أصلان كانت هناك كارثة تتشكل، بل إنها تشكلت بالفعل، فقبل عدة ساعات، ثلاث ساعات لو شئنا الدقة، بدأت القرية تُشاهد عهدًا مظلمًا لم يكن ليواجهها في أعتى كوابيسها.

لقد استغلت المخلوقات المتوحشة ذلك التحول الكبير الذي حدث لأصلان، وبدّل من تركيبه البشري لإنتاج وحش رهيب هو مزيج من جينات الأسياد وجينات البشر، هذا الوحش الهجين سيعيد عهد الظلام، وسيحرر السادة حسب الخطة الموضوعة، بمساعدة أصلان المتحول نفسه.

الخطة تتطور مع الوقت، بل وتسبق الجدول الموضوع تمامًا.

من الواضح أن النهار التالي لن يشرق على الكثيرين من أهل هذه القرية المنكوبة.

والآن لنعد لمنزل زاهر، وتحديدًا لتلك اللحظة المذهلة، التي التهم فيها ذلك الكائن الهجين جسد معوض وهو على قيد الحياة بعد أن حقنه بذلك

السمّ العصبي، الذي تركه حيًا وجعله يشعر بكل جزء يُمزق منه، وليموت ألف مرة وهو يسمع صوت أسنان الكائن الهجين القوية وهي تطحن ألياف لحمه القاسية في جشع، ثم لنشاهد تلك المادة الحمضية الحارقة التي أذابت عظامه وحولتها لسائل ارتشفه الكائن الهجين في تلذذ.

كانت تلك اللحظة فارقة جدًا عند السادة، حتى إن عقولهم المترابطة هاجت وماجت، وسرت بداخلها موجات كهربائية عاتية من الحماس؛ لقد نجحت هذه الخطوة نجاحًا ساحقًا، ونجاحها يحسم أمورًا كثيرة لدى السادة.

سؤال لك عزيزي القارئ!

هل تحب أفلام الرعب المعوي وأفلام الزومبي والموتى الأحياء وكائنات الفضاء الشريرة، أهلاً بك معنا لتتابع ذلك الجزء من القصة، وإن لم تكن؛ فعليك تجاوزه إلى الفصل الأخير من القصة، ولكن في البداية عليك أن تعرف بعض المعلومات عن هذه القرية المنكوبة، لتحيط علمًا جيدًا بتطورات الأحداث.

تنقسم قرية أصلان لنصفين، يفصلهما الترعة، ويُطلق على كل منهما اسم زمام، فزمام شرق يقطنه الأعيان والعمدة وأتباعه،وزمام غرب يقطنه الفلاحون والمستأجرون والبسطاء.

يوجد بكل زمام مقهى.

أما الطاحونة ونقطة القرية ودوار العمدة وكشك الكهرباء الرئيسي والسوق الكبير؛ فجميعهم في زمام شرق.

البيوت في القرية متلاصقة، والكثير منها من الطوب اللبني، وارتفاعها محدود اللهم إلا بعض البيوت المبنية من الطوب الأحمر وترتفع لستة طوابق، وهذه يمتلكها جميعًا محمد رشاد المرابي المعروف، والذي يسكن في المركز القريب، يفصل زمام شرق عن الجبل منطقة خالية يستخدمها أبناء القرية كملعب لكرة القدم، حيث إنها ممهدة وتنتشر بها الحشائش، ويطلقون عليها النجيلة.

وفي المنطقة المتاخمة للنجيلة توجد المقابر التي تعلو المقبرة الملعونة، ويبعد عنها بمسافة غير بعيدة كوخ أصلان الذي بدأت منه الأحداث. بعد منطقة المقابر توجد عدة ممرات تقود لسفح الجبل، ومنها إلى الجبل نفسه.

يقع منزل زاهر بالقرب من الطريق العام الذي يُقسّم زمام شرق إلى نصفين، وهو طريق معبد مسفلت من أجل مرور السيارات، الذاهبة إلى المركز أو إلى السوق الكبير.

وعلى ذكر السوق الكبير، فالأربعاء هو يوم السوق الأسبوعي الرئيسي للقرية، واليوم هو الثلاثاء، ومنذ حلول المساء يتحول المكان إلى مهرجان كبير من البائعين والسماسرة والمشترين القادمين من القرى المجاورة.

السوق الكبير نفسه يقام في المساحة الخالية الموجودة أمام المسجد، الذي يوجد به مقام أحد المشايخ، والذي لا ينقطع قدوم الحجيج إليه للتبرك، وبعد صلاة العشاء تخف حركة الأقدام، ويعمّ الهدوء، ويركن الجميع للاستسلام لسلطان النوم، في انتظار صلاة الفجر وازدحام المكان بالزائرين.

اليوم بالذات لم يُرفع أذان العشاء، ولم يكن هناك مصلين.

والسبب واضح جدًا، حيث خرج من قلب الظلام، وتحديدًا من نهاية الطريق العام، كائن مخيف الشكل يشبه إلى حد كبير جنينًا أُنتُزع مبكرًا من بطن أمه، له أنياب مشرعة، وعينان في حجم قبضة اليد، يعدو ككلب مسعور نحو جانب السوق الشمالي، وخلفه وبخطوات سريعة متصلبة ثلاثة من البشر متهدلي الوجوه؛ أحدهم بالغ، وطفلان أكبرهما في السابعة من العمر، تتألق عيونهم بضوء أزرق ساطع.

لم يكن هذا الموكب المخيف يتحرك بعشوائية، بل كان يتحرك في تناغم وتفاهم شديد، وكأنهم يقومون بتنفيذ خطة مسبقة.

الحركة في السوق قليلة، الإرهاق بادٍ على الوجوه التي انتهت من رص بضائعها، أو إطعام ماشيتها، وركنت لتناول الطعام أو التبغ، فلم يرصد أحد ذلك الموكب الجهنمي.

تقدم الموكب من ذلك الجزء المسوّر المتطرف من السوق، والمخصص دومًا للماشية، وعلى الفور تراص كل من أصلان ونعيم وأنيس على هيئة مثلث متساوي الأضلاع، في مركز هذا المثلث يقع ذلك الجزء المخصص للماشية والمحاط بسياج بدائي خشبي.

وامتدت أيديهم لتصنع ما يشبه مثلثًا ضوئيًا متألقًا من أشعة زرقاء عزل الماشية عن باقي السوق، لينقض ذلك الكائن الهجين على الماشية، ليبدأ الخوار في التعالي ليوقظ النائمين والغافلين.

***

انطلقت سفينة الفضاء بسرعة تقترب كثيرًا من سرعة طائرات الركاب، لتقطع الصحراء الغربية في طريقها نحو قرية أصلان بعد أن تفاقم الخطر، وتوجب على الشاب المعتم أن يتصدى له.

خاصة وأن المتخصصين القادمين من كوكبه أمامهم بعض الوقت، لاستقبال تلك المعدات الخاصة التي ستحسم الكثير من الأمور.

ليترك ذلك الفريق المصري الأمريكي المشترك يجذب شعره من الغيظ، بعد أن تلاشت كل الإشارات التي كانوا يرصدونها، مع عدم توفر سفينة الفضاء في مكانها.

كان عليه أن ينطلق بسرعة محدودة، وهي السرعة التي حدّدها له الكمبيوتر التفاعلي، كي لا يحدث اختلال جسدي من أثر السرعة والموجات التي تعمل على إدارة السفينة، للمسافرين الموجودين على متن السفينة، خاصة رضوى، والتي لا يعرف هو لماذا لم يتركها خلفه كما تتطلب المهمة؟

إن ما يحدث له من تغيرات تقلقه بشدة.

إن جنسه وحيد النوع، وهو يعرف أن هذا الوضع لم يكن كما هو عليه منذ خمسمائة عام بتوقيت الأرض، ولكن هذا ما توصل إليه المجلس بعد الحرب العالمية الأخيرة، والتي قادتها أنثى من كوكبه.

فقد قادت أبحاث ما بعد الحرب المدمرة، أن المشكلات في النوع الواحد أقل كثيرًا، كيف وصلوا لهذا الوضع وأين ذهبت الإناث، هو سر دُفن مع الأجيال التي ماتت، ولم يعد أحد يسأل عنه.

والآن أتت تلك الأرضية، لتحرك بداخله مشاعر لم يكن لها أن تتحرك، إن هذا الكوكب يهزمه شر هزيمة، لابد وأن إعادة تأهيله ستستغرق وقتًا طويلاً.

فقط عليه الآن أن يُخبر تلك الأرضية بالقصة التي وعدها بها، والتي تعود لأعماق التاريخ، لتفهم حقيقة الأمور.

هدأت رضوى إلى حد كبير عندما أخبرها الشاب المعتم أنه سيقص عليها القصة، وبرغم أن صورة شريف لم تفارق عقلها إلا أنها شحذت عقلها لاستقبال رسائله العقلية، والعجيب أنها كانت تشعر براحة كبيرة.

في البداية أخبرها الشاب المعتم بحقيقة أجدادها، وكيف أنهم آخر نسل شعب أطلانطس، وكيف أنها تنتمي لعرق خاص من هذا النسل تملك جيناته قدرات متفوقة، وكيف أنها تمتلك قدرات عقلية متفوقة، رصدتها أجهزة الفحص أثناء إخراج الطفيل من داخلها، وأن هذه القوة تتركز في ذاكراتها الحديدية، و...

في هذه اللحظة هاجمتها ذكرى معينة تلت موت أبيها:

(وبالرغم مما يحيط بها من غموض، استمرت على تفوقها دون أن تجد تبريرًا معقولاً يصف هذه التبدل المفاجئ، إلا أنها هبة خاصة حصلت عليها مع أول صفعات الصدمة.

فما يحدث لها عند تلقي الدروس هو شيء عجيب للغاية..

انفصال تام عن العالم من حولها، تصحبه حالة عجيبة من الشرود، تفيق بعدها لتبقى جميع المعلومات حاضرة في ذهنها إلى الأبد)

عادت لتنصت له من جديد.

كما أن لديك قدرة عقلية أخرى، ولكنها تظهر بشكل أقل على هيئة رؤى، فبإمكان عقلك عند تحفيزه، أن يتواصل لمكنون الوجدان الجمعي لأجدادك، فيمكنك من استعادة ذكرياتهم وعلومهم.

كان ما يتحدث عنه حقيقيًا، خاصة مع الرؤى والذكريات العجيبة التي كانت تهاجمها طوال الوقت.

تشتت للحظات ولكنها عادت لتنصت، لصوته العقلي الهادئ:

التاريخ كله متصل أيتها الأرضية، و...

قاطعته هذه المرة قائلة:

– اسمي رضوى وليس "أيتها الأرضية".

صمت للحظات وكأنه يحاول استيعاب الأمر، وفي النهاية اضطر ليخترق ذكرياتها ليفهم طبيعة الأسماء الذاتية.

وفي النهاية استوعب الأمر ولكن لم يتقبله، إن حقيقة التواصل المادي بين البشر جعل الناحية الروحية والعقلية لديهم في أدنى مستوياتها، حتى إن كلاً منهم يضطر إلى وسم روحه بشفرة حرفية يطلق عليها الأسماء، وهو ما يختلف عن البصمات العقلية التي تتميز بها الأجناس الأرقى، وبهدوء بدد من رأسها فكرة سؤاله عن اسمه لأنها لن تكون خطوة ذات معنى، وعاد ليكمل:

– التاريخ الكوني كله متصل أيتها الأرض.. يا رضوى، سلسلة كاملة من التطور الحضاري والروحي، حتى تاريخكم الأرضي نفسه ظل على هذا المنوال لفترة قبل أن يتفوق الطموح البشري على الجانب الروحي، وظل التاريخ نهرًا متدفقًا، حتى شعرت مخلوقات الكواكب الأخرى بخطورة البشر، خاصة في عصر الفراعنة الذي شهد تقدمًا رهيبًا في مجالات عدة، خاصة في العلوم العقلية والروحية، فقرروا التعامل معه بحزم.

إن الفجوات الموجودة في تاريخ الفراعنة لم تكن صدفة أو عشوائية، هناك قوى في الكون أرادت وقف التطور البشري عند هذه اللحظة الفارقة.

لأن طموح البشر لن يتوقف لحظة عن امتلاك الكون كله والعبث به، إن أسرار الفراعنة الحقيقية ليست كلها على كوكب الأرض، هناك بعض الكواكب المهجورة مازالت تئن أعماقها مما تحويه، والمفزع أن البشر برغم

كل العقبات قد بدأوا في غزو الفضاء، وعقد صداقات سرية مع بعض الحضارات الخاطئة، صحيح أنها محدودة الآن ولكن المستقبل يَعِد بشر كبير.

كوكب الأرض نفسه يعج بأسرار كثيرة، بعضها تضعه الحكومات في أماكن محصنة، مع عبارة سري إلى الأبد، ولكن البعض مازال هناك في باطن الأرض ويشكل تهديدًا هائلاً للبشرية والكون كله، والمخيف يا رضوى هو ذلك السر الذي يقبع تحت الهرم الأكبر في غرفته السفلية المحصنة، هذا السر هو ما سيجعل الأرض محطة فضائية كونية دائمة، وحتى تزاح أحجار الهرم وتتحرر أسراره سيظل البشر في خطر داهم.

من هذه الأسرار تلك الصناديق المطلسمة، التي تحتوي على واحدة من أكثر قوى الكون شرورًا وغرورًا.

إنها قوى كونية وحشية، تعمل على استعباد مخلوقات الكواكب، وتتغذى عليها كجراد كوني، وعندما تنتهي منها، تستخدم علوم هذه الكواكب لمحوها من خرائط الكون المعروفة.

هذه الصناديق ظلت على الأرض طوال عشرات القرون، لأنها لم تكن تمثل أي تهديد، وعندما حدثت تلك التغيرات الجيولوجية العنيفة لطبقات الأرض، تحررت تلك القوى جزئيًا، وحاولت الاستيلاء على مفاتيح القوة.

تلك المفاتيح التي يؤدي اجتماعها معًا إلى كسر الحماية التي تمنع تلك القوى من الخروج.

هذه المفاتيح ونتيجة عهد قديم، كان على نسلكم حفظها، ومع الزمن أصبح الأمر مجرد ذكرى، وظلت أماكنها غير معلومة، ولأن الأمر لم يكن يمثل خطرًا، لم يبحث عنها أحد، وظل ذكرها مجرد فقرة عابرة في تاريخ كوكبنا.

وعبر أجهزة متطورة تركها جيل قديم من أجدادي، بثت هذه الأجهزة إشارة محدودة، تعني أن الخطر أصبح وشيكًا، ولأن المسافة التي تفصلنا عنكم كبيرة وتحتاج لأشهر بمقاييسكم لقطعها، تم تكليفي بالأمر لأنني كنت أقرب أبناء جنسي للكوكب، وعن طريق نص صريح في القانون، تحولت إلى يد القانون في هذا الجزء من الكون.

وعن طريق خطة متطورة تمكنت من استعادة مفاتيح القوة، وحاليًا نحن في طريقنا لمكافحة خطر جديد ظهر في المكان الذي توجد فيه الصناديق المطلسمة، التي تحوي تلك الشرور المخيفة.

هضم عقل رضوى كل التفاصيل المتشابكة، التي قصها عليها الشاب المعتم، بسرعة مذهلة نتيجة قدرات ذاكرتها الفريدة التي أصبحت مشحوذة مؤخرًا، وبداخل عقلها تراصت العديد من الأسئلة، وقبل أن تنبس بأي منها

بدأ الشاب المعتم يجيبها عنها كلها في صبر، وهو يتابع خط سير مركبته، والذي يشير إلى أنهم قطعوا نصف المسافة أو أكثر قليلاً:

- الحقيقة يا رضوى أننا شعب وحيد الجنس، نستخدم وسيلة متطورة للتكاثر تشبه الاستنساخ عندكم، والصوت الأنثوي الذي تحدث إليك كان صوتًا مخلقًا عقليًا لتشعري أكثر بالراحة، وليساعدك في مقاومة الطفيل، وأنا فقط الموجود على سطح السفينة هذه.

صمت قليلاً ثم استطرد وكأنه يزن مقدار المعلومات التي يجب أن يمنحها لها:

- إن كياني المعتم هذه يعود لأن كوكبنا بعيد جدًا عن شمسه، ويحجبه عن الشمس كوكب آخر يدور في نفس مداره فلا يصله الضوء.

بشرتنا معتمة، ولكن خلايانا مضيئة، ويدخل في تركيب أجسادنا، نفس المواد التي تدخل في تركيب المادة المعتمة في الكون، لذا فإن الظلام جزء مهم جدًا في حياتنا، ورصدنا خلال رحلاتنا يكون شديد الصعوبة.

صمت مرة أخرى ليسترجع أسئلتها، ثم أكمل:

- خمسة كواكب في هذه المجرة تشكل خطرًا مروعا على باقي سكان المجرة، منها ثلاثة كواكب تدور حول شمس واحدة عملاقة، هذه المخلوقات أحد شعوبها.

بل هم أخطرهم لأنهم السلالة المندثرة، لقد كان هبوطهم على هذا الكوكب من أجل نجدة جنسهم الذي أوشك على الفناء، نتيجة حروبه المستمرة مع كواكب مجموعته الشمسية.

وعندما وصلوا إلى هذا الكوكب غلبتهم طبيعتهم الشريرة، فتعاملوا ومع سكانه بهمجية ووحشية.

وعندها استعان الفرعون بالأجداد بعد هجومهم الوحشي، وبعد أن أفنوا عدة قرى كاملة، وكادوا أن ينهوا ملكه.

تكالب الجميع من أجل قتالهم، وفي النهاية تم حصرهم بداخل تلك الصناديق المطلسمة.

ومن حسن الحظ أنهم كانوا مجموعة استطلاعية، وعدم عودتهم حطمت أمل جنسهم في إيجاد وطن بديل، فلم تتكر زيارة هذ الجنس الوحشي إلى كوكبكم.

دوى سؤال جديد في عقلها، فعاد الاتصال العقلي من جديد ليمتد بينهما:

– الحقيقة أن مصائرنا كلها متوقفة على رد فعل تلك الكائنات.. إننا نحارب المجهول بأقل الإمكانيات، أنا بانتظار مدد خاص في طريقه إلى الأرض، ولو لم يأتِ هذا المدد في الوقت المناسب، فالجميع في خطر.

أنهى عبارته ليسود صمت تام لا يقطعه إلا هسيس المحركات التي تهدر في قوة في طريقها نحو المجهول

***

بعد انقطاع الذبذبة الناتجة عن السفينة الفضائية، التي أقلعت في سرعة وهدوء، غضب أفراد الفريق الأمريكي، وانتقلوا على الفور إلى الخطة (ب)، فأخرجوا من جعبتهم بعض الأجهزة المتطورة الخاصة بالرصد والتتبع، والتي كشفت للعلماء المصريين، جيلاً جديدًا متطورًا من هذه الأجهزة، لم يكن عليهم أن يطلعوا على سر وجوده، ولكنها الضرورات التي أصبحت تستبيح العديد من المحظورات.

على الفور عادت الحياة لباقي أجهزة الرصد بعد أن تم توصيلها جميعًا بتلك الأجهزة الحديثة، عن طريق وصلات خاصة حملها معهم الفريق الأمريكي، لتعيد رصد ذبذبة الدرع، وعن طريق التغيرات الحادثة في أماكن انطلاقها، من زيادة سرعة الهواء والحرارة وغيرها من المتغيرات المصاحبة.

وخلال دقائق معدودة وبتنسيق أمني رفيع المستوى، انطلقت طائرات الجيش المصري لتطارد ذلك الجسم المجهول بالنسبة لهم، بعد أن أضيفت إلى طائراتهم معدات تكنولوجية متقدمة في مجال الرصد والتتبع، تدخل فيها تكنولوجيا فضائية غير معلومة إلا للحكومة الأمريكية.

وهذه الأجهزة كانت قادرة على تحديد موقع تلك السفينة الهاربة، رغم اختفائها عن الرادار والشاشات، بتضافرها مع قدرة القمر الصناعي العسكري المصري، على مسح مساحات شاسعة في وقت محدود.

ولتبدأ أخطر مطاردة في التاريخ.

القبة

وبالقرب من سوق القرية الكبير، صنع كل من أصلان ونعيم وأنيس مثلثًا ضوئيًا محدودًا، حول تلك المنطقة المسيجة، التي تغص بما يفوق على ثلاثين رأسًا من الماشية، والمُعدة لبيعها في الصباح الباكر، للتجار والجزارين القادمين من القرى المجاورة.

هذا المثلث كان بمثابة منطقة عزل محدودة، منحت لذلك الكائن الهجين القدرة على العبث والغذاء.

فقد هاجم الكائن الهجين أول مجموعة من الأبقار، وقام بحقنها بذلك السم العصبي الذي يعمل على تقليل قوة الإشارات العصبية المتوجهة صوب المخ، مما يقلل نسبة الصدمة، ويحافظ عليها حية لتعذب قبل أن تموت.

هاجم خمسة من الأبقار قبل أن تغلبه شهيته، ليبدأ في بقر بطونهم على التوالي وإخراج أمعائهم التي تدلت في مشهد مثير للشفقة، جدير بمسلخ، ليبدأ على الفور في التهامها.

كان المشهد مروعًا، خاصة للباعة والتجار الذين تجمعوا على صوت خوار الأبقار المتألم، وذلك الكائن الهجين المتوحش يفتك بهم.

حاول أحد التجار أن يعبر أحد خيوط الضوء المتألقة عدوًا، في محاولة لإنقاذ أبقاره من مصيرها البشع، ليشق الضوء القاتل جسده إلى نصفين، لتنفض الأمعاء من داخلهما، وتبقى عيناه الفزعتان معلقتان بعيني نعيم المتوهجتين.

وبداخل السياج كان الكائن الهجين يمرح وعيناه الضخمتان تتألقان في شهوة ولذة، إن نهمه غير محدود. ففي وقت قياسي تمكن من التهام بقرة ونصف، قبل أن يبدأ في نشوة بمهاجمة باقي القطيع وتمزيقه إربًا، كان يحلو له أن يشق البطون، لتتهاوى الأحشاء والأمعاء أسفل الحيوان المذهول.

بعض الإناث من الأبقار كانت تحمل أجنة، هذه الأجنة التهمها الكائن الهجين في شبق، أمام أعين أمهاتها الجاحظة من الألم والمفاجأة. وفي دقائق معدودة كان المشهد بداخل السياج الضوئي يثير اشمئزاز أي شخص.

بحور من الدماء المتخثرة، تسبح بداخلها أحشاء وهياكل الماشية. بعض الماشية مازال السمّ العصبي يبقيها على قيد الحياة، على الرغم من كونها فقدت نصف جسدها، وبعيونها تلك النظرة الزجاجية لمستسلمة التي تثير القشعريرة في الأبدان.

كلب يعوي وقد سقط على ظهره متألمًا، وقد رفع قائمتيه الأماميتين إلى الأعلى، وهو يبحث عن نصف سفلي مفقود

وخلف السياج تجمع العشرات من الباعة والأهالي، وأتى بعضهم حاملاً البنادق

نحن في الصعيد، حيث يتوافر السلاح في كل منزل، كما يتوفر الماء والكهرباء

بل وجرؤ بعضهم على إطلاق رصاصاتها نحو أصلان، الذي لم يتحرك قيد أنملة، والرصاصات ترتد عن جسده لتصيب مطلقيها في مقتل. وكأن هناك درعًا ما يحميه منها

أتمّ الكائن الهجين المجزرة، وأشبع نهمه وجوعه، ليتخلى كل من أصلان وأليس ونعيم عن وقفتهم، ويتلاشى المثلث الضوئي، لينطلق الكائن الهجين بعد أن تضاعف حجمه مرتين، ليهاجم المتجمهرين وتبدأ المجزرة الثانية

هذه المرة لم يظهر كجنين، بل تغير مظهره الخارجي بشكل جذري، خاصة عندما كست جسده تلك الحراشيف القاسية، ليصبح جسده أقرب لجذع شجرة تم تقليمه حديثًا

كان يتحرك على قدمين كالديناصورات والعظاءات، مخالبه أصبحت كالخناجر وأنيابه كالحراب.

في بداية هجومه مزق أطراف أحد التجار الذين يحملون البنادق، وتركه ليتألم بعد أن حقنه بسمّه العصبي، إن ما يبحث عنه الآن هو نشر الخوف والفزع، ونشر المشاعر السلبية التي تمهد لسيطرة عقلية هي الأولى من نوعها على هذا الكوكب.

لذا فإنه ترك ضحيته البشرية الأولى لتتألم، ليتحرك بعدها بخفة ورشاقة مهاجمًا ضحيته الثانية.

شاب مرتجف فقد القدرة على الحركة من الصدمة، ليغرس أنيابه في رأسه لتطيح بجانبها الأيسر وتفقأ العين اليسرى قبل أن يتناثر المخ في مشهد دامي.

المتابع قد يتوقف قلبه من الهلع، خاصة مع تلك النظرات غير المصدقة التي تكسو وجوه المحتضرين.

تلك الثواني الفاصلة بين الموت والحياة، تحمل من الدهشة أكثر مما تحمل من الألم.

إحدى النساء المذهولات انطلقت لمسافة مترين تسحب خلفها أحشاءها، قبل أن يلتهم المخلوق حنجرتها.

أعداد من سقط في اللحظات التالية بين بقر وقطع والتهام، تجاوزت خمسة عشر، قبل أن يتوقف المخلوق دون مقدمات عن نشاطه الدموي.

ليبدأ أصلان ومعه نعيم وأنيس في توجيه عقول المتجمهرين عقليًا بعد أن كُسرت إرادتهم، وجعلهم الخوف لقمة سائغة للسيطرة العقلية.

ليصطفوا جميعًا في حالتهم الرثة، غير مبالين بالجثث الملقاة في كل مكان دون احترام، ولا تلك الأطراف أو الأحشاء التي تهرسها الأقدام، ولا المصابين الذين يتألمون بطريقة تمزق نياط القلوب، فلا هم ماتوا ولا هم وجدوا من يسعفهم ويخفف عنهم آلامهم، بعد أن حقنهم ذلك الكائن الهجين بسمّه العصبي الجهنمي.

اصطفوا جميعًا – حتى الأطفال – في صفوف طويلة منتظمة، قبل أن يقودهم أصلان صوب المقابر، لتحدث ظاهرة أخرى مدهشة.

فكل منزل كانوا يعبرون أمامه كان يخرج من بداخله ينضم للمسيرة التي بلغ طولها نصف كيلو متر، وفي يد كل منهم فأس أو معول أو رفش، وعندما وصلت الحشود إلى المقابر لم يعد في النجيلة مكان خالٍ لبشر.

كان المشهد مع هبوط الظلام وغياب القمر مروعًا.

جيش من الفلاحين رثي الهيئة، مع بعض الأهالي بمناماتهم، يصطفون كجيش من الموتى الأحياء في قلب الظلام، وكأنهم بانتظار خروج الشيطان أو المسيخ الدجّال.

وفي لحظة واحدة اصطف الجميع بطريقة غريبة تشبه زهرة اللوتس، ليسود بعدها صمت رهيب لا يقطعه إلا صوت التنفس المنتظم لتلك الصفوف المأسورة عقليًا.

كم من الزمن مر عليهم في هذا المكان؟ لا أحد يعرف تحديدًا، لقد تلقوا أمر الاصطفاف، ولو ظلوا واقفين على هيئتهم المتصلبة حتى تفارق الروح أجسادهم فلن يبالوا.

عليهم فقط أن ينفذوا ما يملى على عقولهم.

وبعد دقائق ممتدة توارت فيها كل الأصوات، حتى أصوات المخلوقات الليلية التي فاجأها ما يحدث، فسكنت أعشاشها وجحورها، جاءهم الأمر العقلي، فأخذ الجميع في التفرق عبر صفوف المقابر.

وبدأت أكبر عملية انتهاك للقبور منذ انتهك الكيان الصهيوني قرى الفلسطينيين بعد تهجيرهم من أجل بناء المستوطنات.

وبعد هدم مجموعة كبيرة من القبور، انهمك المستحوذون عقليًا من الأهالي في الحفر، فكان الفأس ينزل فوق الجثث الحديثة ليمزقها، والقديمة ليهشمها، والأقدم لينثرها في الهواء.

اختلط الرفات الممزق بالأتربة ومخلفات الحفر، من لم يكن لديه أداة يحفر بها كان يستخدم أظافره أو عظام الموتى في الحفر.

وبعد نصف ساعة، تحولت منطقة المقابر إلى أثر بعد عين.

لم ينسوا بالطبع أن يُخرجوا سعيدة كئيبة السحنة، وأمنوا لها مكانًا مريحًا، فهي برغم كل شيء أصل ما يحدث، وعقلها هو جهاز البث العقلي الرئيسي.

لم تمضِ الأمور بسلاسة حتى النهاية، فبعض الأهالي بعد مضي الوقت كانوا يقاومون حقل السيطرة العقلية لسبب غير مفهوم، فكان المخلوق المهجن يمزقهم إربًا، ويشرع في التهامهم قبل أن تزول ملامح الدهشة من وجوههم.

جحيم أرضي كامل كان يمتد هناك في منطقة المقابر، وكأن غضب الله قد اصطفى هذه القرية.

وبعد ساعة كاملة ظهرت حدود المقبرة الخارجية.

كانت مقبرة حجرية ذات قاعدة معدنية عجيبة، صعقت فوهتها تلك السيدة المسنة التي عثرت عليها، لتتحول في لحظة إلى جثة محترقة متفحمة تتصاعد الأبخرة من كل مكان في جسدها، فلم تجد حتى الفرصة لتصرخ، دون أن يبالي أحد باحتراقها.

العشرات احترقوا تباعًا حتى ظهرت المقبرة بالكامل، واختلطت رائحة الموت مع رائحة اللحم المحترق.

ظهرت المقبرة كهرم مقلوب يتحدى الجاذبية، مهشم من جانب واحد، ومن داخله ظهرت الصناديق الثلاثة، دون أن يجرؤ أحد على لمسها.

وفور ظهور الصناديق توقف الجميع وساد الصمت، ورفع الجميع أنظارهم صوب السماء.

***

استقبلت أجهزة الاتصال في السفينة الفضائية رسالة عاجلة قادمة من القمر، قرأها ذلك الشاب المعتم، لتظهر على وجهه ملامح الامتعاض الشديد، وهو يتابع عبر الأقمار الصناعية الأرضية، التي استطاع قرصنتها عن طريق برنامج اتصالات خاص مكنه من السيطرة عليها، تطورات الأمور في تلك القرية القريبة، وقلبه المزدوج يعتصره الحزن والألم، من همجية ووحشية ما يحدث هناك، لتخبره سطور الرسالة بأن الدعم سيصله قريبًا.

ـه كان يرصده في هذه القرية من هول، هو ما جعل كلمة قريبًا هذه متأخرة للغاية. لذا فإنه مع المعطيات الجديدة التي كان يرصدها طوال الوقت، وبالاستعانة بكمبيوتر السفينة التفاعلي، وبالإمكانيات المتاحة لديه، بدأ وضع خطة جديدة للاحتواء.

إنه ليس مقاتلاً، ولكنه تلقى تدريبات إلزامية لمدة عام كامل في إحدى الوحدات العسكرية، أبرزت ما لديه من مهارات تخطيطية وقتالية.

وعلى كل حال عليه أن يحاول.

كان كل ما يسيطر عليه ويزعجه، هو ذلك الكم المخيف من الضحايا الذي يتساقط دون هوادة، وكانت أول خطوة في خطته الوليدة أن يوقف تلك المجازر التي تحدث في القرية دون تأخير.

وبرغم فقر ما لديه من معلومات، والذي ترتب عليه جهله الكامل وعدم قدرته بالإلمام بمخططات وترتيبات تلك الكائنات الوحشية القادمة من أعماق التاريخ، فإنه لن يقف حتى تتعاظم شرورهم أكثر من هذا، ولابد له من إيقاف سيل الضحايا المنهمر.

وفور وصول مركبته الفضائية لحدود القرية؛ ارتفعت إلى أعلى بطريقة رأسية ناعمة، ثم توقفت للحظات عُطِّل خلالها الدرع المتطور، ليتمكن من بدأ الجزء الأول من خطته.

وعن طريق قاذفات خاصة، كان يستخدمها في عزل قطاعات ضخمة من غابات كوكب (بيجور) في مهمته الأخيرة، لحصر الحيوانات الفضائية محل الدراسة، بدأ في إطلاق عدة مجسات متطورة، يبلغ طول كل منها ثلاثة أمتار، وتنتهي برأس متألقة، زارعًا إياها في محيط القرية، ليفصل بين كل منها عن الآخر كيلو متر كامل، لتصنع في النهاية دائرة شبه مكتملة حول القرية من النقاط المتألقة.

وقبل أن ينطلق المجس الأخير ليحتل موقعه؛ حدثت الكارثة المفاجئة.

فقد أصاب – وبشكل مباغت – هيكل السفينة الخارجي صاروخ أرضي شديد التدمير، لم ترصد اقترابه راداراتها المتطورة، هذه الإصابة العنيفة أهدرت من طاقة السفينة الكثير، وأفقدتها توازنها في لحظات، وعندما حاول الشاب المعتم تفعيل منظومة الدرع الإشعاعي، تألق للحظات قبل أن يخبو محققًا له أسوأ كوابيسه.

القراءات التي أمامه كانت توحي بعبثية الموقف، فلم يتوقف تأثير الضربة المفاجئة على الأضرار السابقة فقط، بل امتد لأجزاء كبيرة أخرى من السفينة الفضائية، ومقدار الخسائر الأولية الآن لا يمكن حصره دون فحص دقيق.

كان من الغباء الشديد أن يدخل حربًا مماثلة بسفينة فضاء بحثية، لا تملك إلا درعها وبعض الأسلحة المحدودة، التي تُستخدم لتدمير الشهب والنيازك التي تعترض مسار السفينة خلال رحلاتها العديدة عبر المجموعة الشمسية، خاصة وأن العالم كله محتشد ضده.

انطلق الصاروخ الذي أصابه من مسافة بعيدة، صاروخ مزود بتقنية خاصة تمنع اكتشافه، تقنية طورتها معامل الجيش المصري، وهاهم نسور الجيش المصري يقتربون في حزم من موقع سفينة الفضاء، مستخدمين تلك الأجهزة الأمريكية الهجينة لرصدها.

ولديهم أوامر بالتعامل المباشر.

شلت الصدمة الشاب المعتم لثوانٍ معدودة، خاصة وأن التطور الأخير قلب كل الموازين رأسًا على عقب.

لقد اعتمد منذ هبط على سطح هذا الكوكب على السرية والاختفاء، لتجنب أي مواجهات جانبية مع شعوب هذا الكوكب، الذي بلغ تطورًا ماديًا مخيفًا جعله قادرًا على رصد كل شبر فوقه.

لم يكن هناك وقت الآن لرفاهية الندم أو اليأس، أو البحث عن مصدر الإصابة.

الأولوية عنده الآن هي عزل القرية تمامًا لحصر الخطر بداخلها، في انتظار وصول الدعم والمتخصصين، الذين تدربوا منذ خرجوا من داخل أنابيب الاختبار، لمواجهة مثل هذه المواقف المشتعلة.

لذا فإنه وجه كل جهوده نحو إطلاق المجس الأخير، وبمجهود عنيف نجح في تحديد مكان الإطلاق، وسفينته الفضائية تتأرجح في قوة، ليهبط المجس الأخير في قوة مخترقًا الأرض في موضعه المحدد.

لقد خدمه القدر حتى الآن، فلم تتعطل القاذفات الجانبية لتكتمل دائرة النقاط المتألقة حول القرية، ولتتكون فور اختراق المجس الأخير للأرض قبة إشعاعية عملاقة عزلت القرية تمامًا عن العالم الخارجي، وبداخلها بدأت السفينة الفضائية تهبط هبوطًا اضطراريًا خطرًا نحو حقل يغص بأعواد الذرة، لتهشمها وتسحقها قبل أن تستقر فوقها تمامًا، ليبدأ برنامج حصر الأضرار في عمله.

كان تكوّن القبة المفاجئ مفاجأة قاتلة لنسور الجيش المصري، الذين ألهب حماسهم إصابة ذلك الجسم المجهول، خاصة بعد أن ظهرت من العدم لتعترض مسارهم في قوة وعنف، لتتحول إلى جدار إشعاعي شديد القوة، سحق هاتين الطائرتين المسرعتين المتقدمتين في لحظة واحدة، لتتفجرا بشكل مروع قبل أن يتساقط حطامهما في مساحة واسعة خارج القبة.

كان هذا المصير هو مصير الطائرات الأربعة الباقية من التشكيل المهاجم، لولا أن امتص قائدوها الصدمة بسرعة مذهلة تدل على مهارة عالية.

فخفضوا سرعة مقاتلاتهم إلى النصف قبل أن يُطلقوا مظلات الطوارئ، لتخفف سرعة الطائرات أكثر، لينطلقوا في مسارات حرجة جنبتهم الاصطدام بالقبة، ليتفادوا سطحها المتألق القاتل، وينسحبوا بعدها بتكنيك منتظم تدربوا عليه كثيرًا.

لينتقلوا بعدها إلى استخدم أدوات الملاحة اليدوية الشراعية، خاصة وأن المجال الكهرومغناطيسي المحيط بالقبة أدى إلى حدوث اختلال وقتي في أجهزة القيادة، قبل أن يدور كل منهم دورة كاملة بعد أن استعادوا سيطرتهم على طائراتهم المقاتلة، ليتخذوا بتنسيق مذهل تشكيل رأس السهم للهجوم، وكل منهم يرغب في الثأر لرفاقه.

وفي نفس الوقت،كان الكائن المعتم قد حصر الأضرار الحادثة بداخل سفينته الفضائية، لتغشاه موجة هائلة من اليأس والقنوط، حتى إن رجفة عنيفة اجتاحت جسده. كان يتابع ذلك الهجوم الوشيك، من الطائرات المقاتلة التي تراصت في وضع شهير للهجوم، قبل أن تطلق صواريخها شديدة التدمير نحو القبة التي تألقت في قوة، قبل أن تصد الهجوم بكل بساطة، وكأن تلك الصواريخ القوية لا تأثير لها عليها.

المخيف لم يكن ما يحدث خارج السفينة الفضائية التي فقدت درعها بالكامل مع هبوطها العنيف، ليظهر هيكلها المعدني المتألق الشبيه بالأطباق الطائرة، الذي تحيط به تلك الجسور المعدنية الكثيرة التي تكوّن حولها شبكة من معدن معتم، جعلتها تشبه سجنًا كونيًا متنقلاً؛ بل ما كان يحدث بداخلها.

فبداخل السفينة الفضائية التي حيدتها الأضرار، تألقت تلك الصناديق الثلاثة، التي تحتوي بداخلها على مفاتيح القوة، بقلب تلك الخزانة المؤمنة التي تمّ جمعهم بداخلها بواسطة ذلك الشاب المعتم، المنشغل في إصلاح بعض الدارات العجيبة في لوحة القيادة، بعد أن تلقت ترددًا عقليًا فائقًا، جعلها تنفتح في هدوء، لتطفو من داخلها ثلاثة قضبان معدنية متماثلة، تحركت بداخل كل منها آلية شديدة التعقيد جعلتها تنفصل عن كمبيوتر السفينة، وتفسد عمل تلك الخوارزمات التي كادت أن تفك شفرتها، قبل أن تعمل على اندماجهم، ليكوّنوا ما يشبه قضيبًا مستطيلاً طويلاً من المعدن، تألق بكلمات هيلوغرافية قديمة ومخيفة.

ولم يتوقف نشاط هذا القضيب المطلسم عن حدود طفوه وتوهجه بداخل الخزانة، بل تحركت بداخله تلك الآليات المعقدة، لينطلق من أطرافه تردد صوتي عالٍ، استقبلته تلك الصناديق المطلسمة في نهم، لتستجيب آليات مماثلة بداخل الصناديق المطلسمة الموجودة داخل المقبرة الملعونة، وخلال لحظات كانت تلك المخلوقات الوحشية قد تحررت.

الجزء السادس

أبناء السماء

أطباق طائرة

تصاعدت حدة الذبذبات فائقة القصر بترددات غير مسبوقة، فوق سطح القمر، لدرجة أن أرض القمر نفسها أخذت في الاهتزاز، وكأن القمر نفسه يتهيأ للخروج عن مساره.

وحول تلك الفجوة القمرية العميقة التي تتكون بداخلها البوابة الفضائية، ظهرت ثلاثة كائنات مدرعة، تتطابق مع ذلك الشاب المعتم في الملامح والهيئة الخارجية، وكأنهم توائم متماثلة، كدليل لا يقبل الجدل على تطور أبحاث الاستنساخ على ذلك الكوكب إلى درجة رهيبة.

الاختلاف الوحيد بينهم وبين ذلك الشاب المعتم، هو ذلك الزي المدرع المعتم الذي يغطي أجسادهم بالكامل، مع تلك الخوذ النصفية التي تغطي نصف الوجه والعيون، ناهيك عن أن الزي مدجج بالكامل بالأسلحة القتالية الفتاكة.

كانت عيونهم المتوهجة بالضوء الأزرق الساطع مركزة على مركز تلك الفوهة التي تشع بالضياء دونًا عن باقي المكان من حولها، في تلك المساحة حالكة الظلمة من الجزء المعتم للقمر، وقد ظهر على وجوههم تصميم رهيب، وانتظار حذر وترقب.

وفي اللحظة التي دوى فيها الأزيز تراجع الجميع إلى الخلف ووقفوا وقفة عسكرية منتظمة، وعيونهم تتابع تلك المركبات الفضائية، والتي تشبه جميعها الأطباق الطائرة التي احتلت مانشتات الصحف لفترات طويلة، لتثير فضول العالم، والتي بدأت تخرج من قلب الضياء غير ملتفتة لجاذبية القمر الضعيفة، لتنتظم فوق سطحه غير المنتظم في دقة شديدة، قبل أن تتوقف الذبذبات ويخبو الضياء، وتبدأ أجهزة البوابة في إعادة الشحن استعدادًا لرحلة العودة.

وبدون لحظة تأخير واحدة، وبتناسق وتناغم دقيقين، دخل كل مقاتل مدرع إلى طبقه الطائر، والذي يبلغ حجمه حجم طائرة بوينج حديثة، قبل أن تبدأ رحلتهم نحو الكوكب الملعون.. كوكب الأرض.

وفور رصد علماء ناسا ظهور تلك الأطباق الطائرة، عن طريق تليسكوب فضائي تم تعديل زوايا الرصد الخاصة به ليتبع حركة القمر.

وبالقرب من الغلاف الجوي، بدأ تسلسل أقمار حرب النجوم في العمل، والتي ادّعت الإدارة الأمريكية وقف العمل به منذ عدة سنوات، تبعه انطلاق عشر سفن فضائية صينية مقاتلة، اخترقت المجال الجوي بسهولة وفي سرعة مذهلة، تدل دون شك على تسرب أمر ذلك الوقود المتطور الأمريكي التجريبي إلى الصين.

ولم تترك روسيا، ذلك العملاق الصاعد من جديد، الأمر دون أن تدلي بدلوها فيه، فقامت بتفعيل منظومة راجمات صواريخ خارقة، تحمل رؤوسًا نووية ذات قدرات متفوقة، ويتم التحكم بها كالطائرات بدون طيار، وجعلتها تنطلق بالفعل صوب القاهرة.

وبدا أن دخول الكائنات المدرعة إلى داخل الأرض لن يكون سهلاً بأي حال من الأحوال.

فكل دولة أصبحت تضحي ببعض أسرارها الحربية من أجل الذود عن الكوكب.

دون أن يدري أي من قادتها أن ما يحدث هو حرب كونية ضروس لإنقاذهم، وإنقاذ كوكبهم.

ولكن موعد التفاهم والحذر كان قد مضى منذ زمن.

***

انتهى الشاب المعتم، من إصلاح ذلك الجزء التالف بلوحة القيادة، بأن قام باستبدال بعض الدارات يدويًا، ليعود كمبيوترها التفاعلي للعمل بشكل جزئي، راصدًا مجموعة أخرى من الأضرار لم يكن هناك مجال أو وقت لإصلاحها.

كل هذا الكم من المفاجآت السيئة أخذت تهبط على رأسه كالصواعق، مما أصابه بحالة من السخط والعدائية لا مثيل لها.

الأمور كانت مأساوية بالفعل إلى أقصى مدى، وتلك المشاعر المتطرفة التي كان حذرًا من سيطرتها على روحه؛ بدأت تنشب مخالبها في كيانه.

عصف به غضب شديد، خاصة عندما فشلت كل جهوده لاحتواء الأزمة، فبعد كل ما قام به وكل ما خطط له، هاهي المخلوقات الوحشية تتحرر أخيرًا، وكأنها كانت على علم بكل خطواته وتهيأت لها.. الذي يجهله هو كيف استطاعوا الوصول لذلك التردد العقلي الفائق، الذي جعلهم يستطيعون السيطرة على مفاتيح القوة؟ هل كان هناك خائن بين الكهنة، ولو لم يكن فكيف عرفوا كل تلك المعلومات وتحركوا من خلالها؟

هو على يقين أنها بلاشك مخلوقات متوحشة، ولكنها ليست حمقاء، إنه هو الأحمق لأنه صدق أنه بقدراته المحدودة يمكنه احتواء أمر مماثل.

تصاعدت حدة الغضب بداخله إلى درجة مخيفة، خاصة وهو يسترجع تلك اللحظات العصيبة التي مرت عليه، أثناء قيامه بعملية الهبوط الاضطراري العنيف، بعد إصابة مركبته الفضائية بذلك الصاروخ المخيف، الذي استطاع خداع أجهزة الرصد وإصابتها في مقتل.

كم هو أحمق لأنه أزال الدرع قبل أن يتأكد من عدم وجود من يلاحقه.

شعر بدهشة شديدة من إمكانية امتلاك البشر لتلك التقنيات الحديثة، وشكر الخالق على نجاته، ثم شرع في تفقد الأضرار الجديدة التي لحقت بالمركبة، والتي أظهرها الفحص الأخير، لترتفع دقات قلبه المزدوج، وليبدأ في ضخ دمائه المشعة إلى خلاياه بطريقة محمومة، وخطيرة.

كانت الخسائر فادحة بالفعل.

لقد فقد في البداية درع الحماية بالكامل، وهبوطه العنيف المفاجئ بعد ذلك الهجوم العاصف، أدى إلى تحطم الدفة وفقدانها لكل قدرة لها على التوجيه، مما أدى إلى اصطدامها بالأرض في عنف، لتصاب رضوى بإصابات بالغة، وتسقط على أثرها في غيبوبة عميقة بعد أن تضرر رأسها بشدة، وهي تصرخ باسم أبيها في عنف يمزق نياط القلوب.

ليزداد الأمر بداخله سوءًا!

لم يتجاوز هذه المحنة بسهولة، لقد صار سريع التأثر والانفعال، لقد أصابه فيروس البشرية.

كان ما يشغل عقله ويؤرقه في هذه اللحظات الرهيبة هو كارثة ذلك التردد الصوتي الفائق، والذي انطلق من سفينته عبر ذلك القضيب الملعون، الذي

تشكل من خلال مفاتيح القوة الثلاثة، لتحرر المخلوقات الوحشية أخيرًا، ببصمات صوت الكهنة الذين قاموا بسجنها عبر عشرات القرون، ولتتخطى تكنولوجيا الأجداد، لتجهض كل جهوده.

أصابه إحباط شديد، كاد يعصف به، وهو يفكر ويتساءل:

ترى ماهي الخطوة التالية الصحيحة لمواجهة تلك التطورات المفزعة؟!

لم يجد إجابة منطقية واحدة، فهو نفسه معرض لخطر سيطرة تلك الكائنات على جسده.

وبرغم كل شيء، كان عليه أن يتحرك، لأنه ولأول مرة متأخر بخطوة عن عدوه، ولابد من حسم الكثير من الأمور.

مسح ببصره سفينته لآخر مرة وكأنه يودعها، ثم قام بتلغيمها كإجراء احترازي لنسفها في حالة محاولة تلك المخلوقات الاستحواذ عليها.

ولم يجرؤ على تفعيل خاصية التفجير الذاتي، والتي تحوّل مفاعل السفينة إلى قنبلة رهيبة من الطاقة الصافية، فما زال لديه أمل في إنقاذ الآلاف من البشر الموجودين بداخل القرية، ومازال لديه أمل في العودة لوطنه، فلم يحن وقت الانتحار بعد.

أنهى كل ترتيباته بداخل السفينة، فتأكد من عزل هشام ورضوى، ودقة عمل الأجهزة الطبية الآلية التي تعمل على إسعاف رضوى، ثم قام بتفعيل منظومة الحماية حول السفينة، فحولها إلى فخ مميت

تسلح الشاب المعتم بما في سفينته الحثية من أسلحة، وارتدى زي الصيد الواقي الذي كان يستخدمه في قنص تلك المخلوقات التي يقوم بدراستها، وقرر أن يتصدى بنفسه لزحف تلك المخلوقات الوحشية وأتباعها، حتى يصل الدعم الذي بدأ يشك في حقيقة وصوله، وكأن الجميع قد تكالبوا على إفشال جهوده ومخططاته.

اقترب من باب السفينة، فانفتح تلقائيًا وهبط منه ذلك الممر المعتم ليلامس الأرض، وليهبط منها بقامته الممشوقة وجسده المعتم، لينسحب الممر إلى داخلها قبل أن ينغلق الباب خلفه بقوة، ولتحيط بها في إحكام شبكة قاتلة من أشعة ضوئية متقاطعة، تستمد طاقتها من إحدى خلايا الطاقة الاحتياطية التي نجت من الهجوم الغادر، قبل أن تتألق عيناه بذلك الضوء الأزرق الساطع، ويبدأ في قطع الطريق القصير نحو المقابر.

وفي المقابر كان هناك حدث فريد من نوعه يحدث.

بل ظاهرة مدهشة.

فبعد انطلاق التردد العقلي الفائق من ذلك القضيب الذي شكلته مفاتيح القوة الثلاثة، ليشكل مفتاح قوة خارق، والذي حصلت هذه المخلوقات الوحشية على تردد تفعيله من عقول الكهنة، قبل إغلاق الصناديق المطلسمة عليهم وسجنهم في ذلك السجن الأبدي.

وقد تمّ ذلك عن طريق قدراتهم العقلية المتفوقة المتضافرة، والتي عن طريقها نسخوا نسخة كاملة من ذكريات الكهنة واحتفظوا بها في عقلهم المركزي لآلاف السنين، حتى حان الوقت لاستخدامها، وبنوا على أساسها خطتهم كلها.

لقد خدمهم القدر بدفن أصلان حيًا في ذلك القبر الذي يعلو مقبرتهم، ثم تلك المرأة ذات العيب العقلي الخلقي، والتي مكنتهم من إنشاء اتصال حقيقي ومسيطر مع البشر، لتتواصل عن طريقها مع بداون، ولتبدأ الدائرة الجهنمية في الانغلاق.

وهاهي تلك المرأة تواصل عطاءها بسيطرتها على عقل كل من أصلان وأنيس ونعيم، وتحويل عقولهم لجهاز بث رهيب استطاع مع تحفيزهم له، بث ذلك التردد الذي حصلوا عليه من عقول الكهنة، وتلك الكلمات المطلسمة التي حطمت اللعنة.

صحيح أن ذلك لم يحدث دون أضرار، ولكن لم يهتمّ السادة بالضحايا، فقد أدى أصلان وأنيس ونعيم دورهم، قبل أن تنفجر عقولهم، وينتفضوا انتفاضتهم الأخيرة، لتفارقهم أرواحهم المعذبة.

ليأتي دور ذلك المخلوق الهجين، الذي كان الطعم الأخير لجذب الشاب المعتم إلى القرية بوحشيته ودمويته، بعد فشل الطفيليات في حصولها على مفاتيح القوة.

الآن وبعد أن فُتحت الصناديق المطلسمة، وأخرجت ما بقلبها من أسرار، هاهم السادة يخرجون، بكل حقد السنين، وكل مخططاتهم القديمة لاستعمار الكوكب وإنشاء وطن بديل، ولكن خططهم هذه المرة كانت أكبر وأخطر وأوسع.

فما قرأته هذه المخلوقات في عقول البشر، وما حصلت عليه من معلومات جعلتهم يغيرون وجهة نظرهم في التعامل مع هذا الجنس المخيف.

فلن يكون البشر مجرد غذاء فقط كما حدث مع مخلوقات كواكب أخرى في أزمنة سابقة، بل سيكونوا عبيدًا لهم، ليساعدوهم في استعمار باقي كواكب المجرة، وربما الكون كله.. فقدراتهم العقلية أنبأتهم بأن الجنس البشري جنس متفرد وخارق، ولو تمّ تحفيز قدراته الكامنة سيتحول أفراده بجهد محدود لجنود خارقين.

الآن فقط عليهم أن يبدأوا خطة السيطرة، والخطوة الأولى تتمّ بالفعل.

كانت معنويات السادة في أقصى حالاتها، لم يكونوا همجيين كما هو شائع عنهم، إنهم منظمون ومتناغمون، كيانات متفردة تعمل ككيان واحد، وأفكار بألف عقل. سمعتهم السيئة صنعتها شراستهم ونهمهم، تلك الشراسة التي تُعتبر جزءًا من صميم شخصيتهم الأساسية.

وهاهم بعد عشرات القرون من السجن والعزل استطاعوا ترويضها وإخضاعها.

لا يشبه الأسياد أبدًا ذلك الكائن الهجين المتعطش للدماء الذي لا عقل له، ولا تلك الطفيليات المخلقة في المعامل والتي تُوجه عقليًا.

إنهم كيان متفرد هلامي، يُشبه إلى حد ما تلك الحالة التي أصبح عليها أصلان بداخل المقبرة.

هلام قادر على التسامي والتبخر، تسبح بداخله ما تشبه الفيروسات، التي تتكامل مع بعضها، لتشكل تلك المخلوقات.

كل جزء منهم مخلوق كامل، وجميعهم مخلوق كامل.

فور خروجهم من الصناديق المطلسمة، اندمجوا سويًا في نشوة لا مثيل لها، تبادلوا المعلومات والخطط والحقد.

رصدوا تلك القبة وعرفوا ما تمثله وخطرها المحتمل.

رصدوا مئات البشر الواقعين تحت سيطرتهم العقلية عن طريق تلك المرأة كئيبة السحنة، والتي بدأ جسدها في الانهيار، وبالتالي عقلها، وأصبح حتميًا عليهم الحصول على عوائل جديدة تساعدهم في التواصل العقلي مع هذه الكائنات، ثم رصدت عقولهم ذلك الكائن المعتم المسلح وما يموج بعقله من أفكار سيئة نحوهم، لتستعيد ذاكرتهم ذكريات الحروب القديمة التي خاضوها ضد أجداد هذا المخلوق، ثم حددوا الأولويات.

وكسحابة من غبار الجنيات السحري أزرق اللون، انتشروا في المكان ليستولي كل منهم على عائل جديد ليمتص حيويته وحياته.

كانت الملاحظة الأولى أن البشر برغم قدراتهم العقلية الكامنة، لديهم أجساد هشة لن تتحمل استضافتهم كثيرًا قبل أن تبلى، ولكن لهذه المشكلة حلول كثيرة، فأجساد البشر لديها قدرة كبيرة على التكيف والتطور.

عليهم الآن القضاء على ذلك الكائن والاستعداد لفريق الدعم الذي يتوقع وصوله، بعد أن قرأوا عقل الشاب المعتم، ثم عليهم التخلص من القبة ليبدأ الغزو الحقيقي.

تواصلوا عقليًا، بعد أن سيطروا على ما يفوق على الثلاثمائة من الأهالي، ليصنعوا أقوى اتصال عقلي تمّ على سطح الكوكب منذ بدء الخليقة.

ولم ينسوا أن يردوا الخدمة للمرأة كثيبة السحنة، فقاموا بتقديمها كوجبة غير مشبعة للكائن الهجين الذى مارس لعبته الجهنمية بحقنها بذلك السم العصبي، قبل أن يتحركوا جميعًا كجيش جهنمي خارق

وأخذوا يقطعون الطريق نحو موقع تواجد الشاب المعتم.

نحو موقع المعركة الأخيرة.

***

وعلى بعد آلاف الكيلو مترات من سطح الأرض. انطلقت الأطباق الطائرة الثلاثة، لتخترق عتمة المنطقة المظلمة من القمر، كثلاثة شهب عملاقة، نحو موقع المعركة المنشودة.

لم يكن أي من ملاحيها المدربين بحاجة إلى استعادة الخطة الموضوعة أو مراجعتها، فالأوامر كانت صريحة، لابد من إفناء هذه الكائنات، حتى ولو كان الثمن نصف سكان هذا الكوكب نفسه، وليكن هذا هو الحل الأخير، فهم مقاتلون وليسوا مجموعة من الهمج.

كان تاريخهم يغص بمئات المعارك التي استطاعت قواتهم المقاتلة عبر عشرات القرون، من إبادة هذه الكائنات المتطفلة خلالها، عبر الكواكب التي قاموا باحتلالها.

بل واجتثاث جذورهم من كوكبهم قبل أن يقوموا هم باستعماره، بعد أن صاروا خطرًا كبيرًا على المجرات وقاطنيها.

مجلس الحكم كان واضحًا ودقيقًا، لن يسمح بعودتهم أبدًا، يكفي الكون ما فيه من شرور، ليهدد توازنه شر قادم من أعماق التاريخ.

فهم ولو كانوا أخطأوا حينما تجاهلوا تلك النصوص في تاريخهم، والتي ذكرت فيها بقايا هذه الكائنات الوحشية، لثقتهم في سجنهم الأبدي المظلم، فإنهم لن يكرروا هذا الخطأ السخيف مرة أخرى.

وهؤلاء الثلاثة هم صفوة مقاتلي هذا الكوكب، كل منهم يوازي فرقة مقاتلة كاملة، وهم من استطاع الناقل الكوني المحدود نقلهم عبر الفضاء مع معداتهم، وإلا كان مجلس الحكم أرسل جيشًا كاملاً لولا ضيق الوقت.

اخترق الثلاثة المجال الجوي، وعلى الفور بدأت الأقمار الصناعية الدفاعية في العمل، بإطلاق شحنات ليزرية هائلة، تصدت لها دروع مركباتهم المقاتلة في بساطة مذهلة، لتبدد طاقتها وكأنها لم تكن.

الأمر الآن يختلف.

فالأطباق الطائرة التي يقودونها هي أحدث ما توصلت إليه تكنولوجيا التسليح لديهم، كل طبق منها قادر على إبادة جيش كامل، لقد استعدوا تمامًا هذه المرة.

وفي نفس اللحظة كانت قلوب العلماء والعسكريين تخفق بقوة بداخل وزارة الدفاع وناسا، وهي تشاهد الأقمار الصناعية وهي تُطلق حزمها القوية من الليزر، وتلك المركبات تناور وتتفاداها، أو تعادلها دروعهم المتفوقة.

وبمجرد فشل مدافع الليزر ذات الشحنات المحدودة والمكلفة؛ انتقلت الأقمار الصناعية إلى المرحلة التالية.

الصواريخ الخارقة والمصممة بتكنولوجيا فضائية متطورة، والتي شاركهم أسرارها بعض الفضائيين – الذين علمنا في الصفحات الماضية أنهم على

اتصال شبه دائم بحكومات الأرض وعلماء ناسا – ضمن العديد من الأسرار والتقنيات الأخرى.

تمّ إطلاق هذه الصواريخ بغزارة وكرم لا مثيل لهما، وعندما واجه ملاحو الأطباق الطائرة هذه الصواريخ، أدركوا خطورتها فانتقلوا للمرحلة الثانية.

وقاموا بتفعيل الدروع لأقصى مدى، ثم هاجموا منظومة الأقمار الصناعية العسكرية الخاصة بحرب النجوم، وأفنوها خلال دقائق معدودة، ليهوي بعضها في اتجاه الأرض منذرا بدمار مروع، عزاه الراصدون لسقوط الشهب كما تم توثيقه في روسيا في حادثة الأورال الروسي ، وإن قامت عدة مقذوفات موجهة إنطلقت من الأطباق الطائرة بتبخير ذلك الحطام قبل أن يصل إلى الأرض فلم يتم رصد إلا الحادث الأخير، وليبقى حطام البعض منها معلقًا في مدارات عشوائية حول الأرض، ليعلن إلى الأبد فشل المشروع في حماية الأرض.

وقبل أن يقوموا بتعديل مسارهم من أجل الاتجاه إلى القرية المنكوبة؛ ظهرت أمامهم سفن الفضاء الصينية المقاتلة العشرة، لتتصدى لعبورهم الغلاف الجوي.

وكان هذا يعني المزيد من الوقت الضائع والخطر

المعركة

تقدم ذلك الشاب المعتم عبر الطريق المظلم غير الممهد، وقد شهر في يده بندقية ارتجاجية قاتلة، ورفع ذروة الطاقة فيها إلى أقصى مدى لها، وعيناه تتألقان بذلك الضوء الأزرق الذي يميز كل مخلوقات مجرتهم.

كانت روحه قد تغيرت كثيرًا وأصبحت أكثر قدرة على تقبل العنف، وكان في هواء كوكب الأرض فيروسات تحضّ على إتيان كل الشرور، وفوق جسده كان زي الصيد الواقي، الذي صنع حوله هالة متألقة من ضوء باهت، والذي يربطه عن طريق جهاز اتصال متطور بسفينته الرابضة كجثة هامدة وسط حقول الذرة التي شهدت هبوطها العنيف، وبداخله تعاظم ذلك الشعور باليأس وقرب النهاية.

عندما تمّ استدعاؤه للخدمة تحت لواء الجيش في هذا الكوكب الملعون، عرف أن هذا الاستدعاء هو الأخير.

لا أحد ينجو من براثن هذا الكوكب الملعون أبدًا.

تقدم الشاب المعتم بخطوات مسرعة قبل أن يتوقف في منتصف المسافة في الطريق الذي يفصله عن المقابر، عندما لمح ذلك الطوفان القادم من

البشر مشتعلي العيون، وعرف في لحظة واحدة أن المعركة لن تكون عادلة أبدًا.

وعلى الفور نزع من خلف ظهره أداة أسطوانية الشكل، ثبتها إلى الأرض قبل أن يضغط كرة مرنة في مقدمتها، لتصنع أمامه درعًا إشعاعيًا جديدًا، ليقيه من الهجوم المباشر لهذه المخلوقات الوحشية ومن الموجات العقلية، ثم جلس لينتظر اقتراب أولهم من مدى بندقيته الارتجاجية.

وعندما رأى أن الصفوف الأولى يتقدمها الأطفال، عرفَ جيدًا أن هذه المخلوقات لا تعبث، وقد درست خصمها جيدًا وقيّمته، ولكنها لسوء حظها تجاهلت طبيعة هذا الكوكب التي بدلته.

وعلى الفور اتخذ وضعًا هجوميًا خاصًا، لُقن له في مركز التدريب الإلزامي، وبدأت المجزرة.

كانت قوة سلاحه أسطورية، فقد أصابت الطلقة الأولى ثلاثة من الأطفال لتمزق أجسادهم في مشهد بشع، قبل أن تُسحق تلك الكائنات الهلامية التي تستحوذ على أجسادهم.

أبهجه أن السلاح استطاع ردعهم، بنفس درجة الحزن التي صعقته لقتله الأطفال.

ولكنه لم يتوقف.

فقد قام باطلاق سلاحه على دفعات متتالية أطاحت بعشرين من البشر المستحوذ عليهم عقليًا، لتغادرهم تلك المخلوقات كسحابة من الضباب الأزرق.

كان سلاحه قويًا لدرجة أن طلقاته كانت تمزق الأجساد وتنثر الأشلاء في كل مكان، ولم يكن هذا يبهجه كثيرًا، ولكنه كان مباشرًا في حسم نتيجة هذه المعركة الجهنمية.

اندمج الشاب المعتم في اقتناص المهاجمين، ليُعاد صهره وتشكيله في أتون المعركة.

ومع كل لحظة تمضي كانت الأشلاء تتراكم والدماء تصنع نهرًا كبيرًا ومخيفًا.

وفي النهاية نفدت كبسولات الطاقة في سلاحه الأول، وقد أحاطت به الجموع الغاضبة والمستعدة لتمزيقه إربًا في دائرة كبيرة لتشتيته.

كانت الكائنات تشعر بغضب عاتٍ، لمن فقدته من عوائل، فهي لم تتوقع منه ذلك الصمود والقسوة.

لذا فإنها أصدرت أمرًا عقليًا بهجوم كاسح.

وكان من الواضح أنه الهجوم الأخير.

***

لم يكن أمام الأطباق الطائرة الثلاثة إلا الاشتباك مع سفن الفضاء العملاقة العشرة، التي بدأت دون إنذار في صب جام غضبها على الأطباق الثلاثة، التي ناورت وحاورت، وتفادت كمية من الطلقات والأشعة الحارقة، كانت تكفي لإفناء مدينة بالكامل لو أصابتها إصابات مباشرة.

وعندما قام المدرعين الثلاثة بمتابعة التطورات المتلاحقة وغير المتوقعة من ذلك الجنس البشري، انتقلوا إلى المرحلة التالية.

الحسم.

وقبل أن يتخذوا التشكيل المناسب، فاجأهم سلاح نووي جديد أطلقته إحدى السفن، ليطيح بأحد الأطباق الطائرة في مشهد أسطوري، خلدته تلك الأقمار الصناعية غير العسكرية التي تتابع المعركة، والتي لم تُدمر في هجمتهم الأولى، قبل أن تتعطل تمامًا من جراء الانفجار النووي، لتعمل أقمار صناعية بديلة على الفور كانت معدة حول الأرض؛ تحسبًا لو قامت

دولة ما بتفجير سلاح نووي خارج غلاف الأرض لشل كافة الاتصالات، قبل أن تقوم بهجوم إرهابي على إحدى الدول العظمى.

وعلى الفور اتخذ قائدا الطبقان الطائران الباقيان وضعية هجومية كاملة، فأصبحوا على خط واحد قبل أن يطلقا قذيفتين عملاقتين سرعان ما انقسمتا إلى عشرات القذائف، التي أطاحت بالسفن العشرة كإعصار جارف، قبل أن يقتحموا الغلاف الجوي متجهين صوب القرية المنشودة بعد أن خسروا ثلث قوتهم.

وعند اختراقهم الغلاف الجوي كشهب مشتعلة، رصدت أجهزتهم تلك الصواريخ ذات الرؤوس النووية الخارقة التي كانت تجوب السماء بحثًا عنهم، يتم التحكم بها عن بعد عن طريق سوبر كمبيوتر متطور يقبع في أعماق مبنى وزارة الدفاع الروسية، تُعيد بث إشارته غواصة حربية تقبع في المياه الدولية.

ثمانية صواريخ، كانت تعني أن الاصطدام حتمي ونهائي.

حاول المقاتلان المدرعان المناورة بسفينتيهما الفضائيتين المتطورتين لعدة دقائق، دون قدرة حقيقية على تفجير هذه الصواريخ الجهنمية، لأن تأثيرها المدمر سيكون واحدًا في الحالتين.

فقط استطاعا أن يقتربا من تلك القرية المنكوبة أثناء مناورتهما، قبل أن يُفعّلا آلية خاصة في سفينتيهما قادرة على احتواء الإشعاع الصادر عن الانفجار لو حدث، ثم غادرا الطبقين الطائرين عن طريق قاذفات خاصة مرتبطة بمقعديهما.

وتركا الطبقين يصطدمان ببعضهما بشكل مروع ليتفاديا ذلك الانفجار النووي الذي كان سيُفني المنطقة – دون أن يصل تأثيره لتلك الكائنات الموجودة أسفل القبة– مذكرًا بتلك السفينة الفضائية التي سقطت في حوض نهر تونغوسكا بمنطقة كراسنويارسكي بأعماق سيبيريا.

وما أن حدث الاصطدام؛ تراجعت الصواريخ الثمانية كطائرات صغيرة، وتوجهت نحو الغواصة التي قامت باستقبالها في مرابض خاصة، قبل أن يعود ضباطها لمتابعة التطورات الواقعة على الأرض.

أما عن المقاتلين المدرعين، وبعد قطعهما لعدة كيلو مترات في الجو، رصدتهما طائرات الجيش المصري التي تحوم حول القبة بلا انقطاع، منذ حادث تحطم الطائرتين اللتين اصطدمتا بالقبة، وهما يطيران على ارتفاع منخفض تجنبًا للرصد.

فالمقعدان القاذفان نفسهما، كانا يحتويان على أدوات طيران مدمجة بداخلهما، فاستخدماها للتحليق صوب القبة، قبل أن يطلقا من خلالها

ذبذبة خاصة فتحت فجوة فيها احتوتهما داخلها، ثم أغلقت خلفهما. قبل أن تلحق بهما الطائرات المندفعة أو صواريخها الغاضبة، التي بددت طاقتها القبة.

ليصلا في وقت قياسي إلى ذلك الشاب المعتم، الذي أسقط بأسلحته حتى الآن ثلاثين مهاجمًا، وبمجرد هبوط الجنديين إلى أرض المعركة؛ اشتركا في حصد الأرواح مباشرة دون أن يحتميا بأي دروع، وكانت هناك مفاجأة تنتظرهما.. مفاجأة قاتلة.

فقد هاجم أحدهما ذلك الكائن الهجين، قبل أن يتهيأ لصدم الهجوم المفاجئ.

ليشترك معه في قتال رهيب، أظهر مدى براعة هذا الجندي المدرع.

الكائنات المتوحشة تقود معركتها الأخيرة بشراسة لا مثيل لها، حتى إنها بدأت بدفع قطعان مختلطة من الماشية والكلاب والذئاب وجرذان الأرض لمهاجمة، المقاتلين الثلاثة.

وكان الأهالي المُستحوذ عليهم عقليًا يقاتلون في ضراوة، وقد بدأت قدراتهم الكامنة في الظهور، حتى إن بعضهم كان يقفز قفزات هائلة تتجاوز الأمتار العشرة، في نفس الوقت الذي كانت فيه قوات الجيش التي تراصت

خارج القبة تبحث عن طريقة جديدة لاختراق القبة الصامدة، برغم انضمام الفريق الأمريكي إليها.

أنهار من الدم أخذت تتدفق، خاصة وأن جزءًا من هذه الكائنات، التي كانت تتحرر من الأجساد الممزقة، بدأ في السيطرة على العشرات من الأهالي الغافلين، والذين جذبتهم أصوات المعركة الدائرة؛ لدائرة السيطرة العقلية للكائنات.

الدماء في كل مكان والأشلاء أصبحت تغطي الأفق والهجوم عنيف.

جيش كامل من الفئران هاجم الجندي المدرع الثاني، فاستخدم لصد هجومها حربة ليزرية، أخذت في تمزيق أجسادها الصغيرة وتفجيرها في مشهد بشع، دون أن ينجح في إبعادها عنه.

الشاب المعتم كان في حالة مزرية، وهو يشاهد نتائج المعركة المروعة، وأخيرًا توقف عن استخدام السلاح الذي منحه له الجندي الثاني، قبل أن يخوض معركته الضارية ضد الفئران، بعد أن غطت أسراب الطيور الأفق من حوله، فأصبح عاجزًا عن استخدام السلاح، برغم الدرع الإشعاعي الذي يحميه

وفي خلال ثوانٍ معدودة، مرّ شريط حياته أمام عينيه، واسترجع تلك المعلومات المخيفة عن تلك الكائنات المتوحشة، وعن فرعون الذي نعم بصداقة أجداده، ورضوى الساقطة في غيبوبتها، ثم ذلك الاستدعاء الملعون.

ثم تواصل عقليًا مع المدرعين، وأخبرهما بالتراجع صوب سفينته لتساعدهم بما لديها من درع واقٍ في صد هذه الهجمات الضارية.

وبالفعل حاولوا التراجع دون جدوى، فالهجوم كان ضاريًا ومروعًا، والدائرة من حولهم تضيق، خاصة بعد أن بدأت قطعان الماشية، المتألقة عيونها بالضوء الأزرق القاتل، في الهجوم عليهم.

حاول كل منهم فتح ممر آمنٍ يعبر من خلاله لنقطة التلاقي التي حددوها دون فائدة، وفي لحظة واحدة دوت الفكرة في رؤوسهم جميعًا، وارتجفت لها أجسادهم.

وعلى الفور وعن طريق جهاز الاتصال الخاص به، والمتصل بكمبيوتر السفينة، فعّل الشاب المعتم جهاز التفجير الذاتي الخاص بمركبته الفضائية، القابعة وسط حقل الذرة كشبح عملاق.

كان يعرف أن الانفجار سيقضي عليهم جميعًا، مع تلك الكمية الرهيبة من الطاقة الصافية التي ستنتج عن مفاعل السفينة الحيوي، وكان هذا بمثابة أمر بالإعدام على الجميع، ولم يكن هناك بديل.

إن موتهم جميعًا أفضل من استحواذ تلك الكائنات المتوحشة عليهم، خاصة وأن ذلك الكائن الهجين أصاب الجندي المدرع الثاني بإصابات فادحة، وجيش الفئران استطاع دفن الأول أسفل منه، وشلّه تمامًا عن الاشتراك في المعركة، والطيور قد حاصرته فلم يعد هناك فكاك من هذا الفخ القاتل.

ابتسم الشاب المعتم ابتسامة تحمل كل مرارة الكون.

وقبل أن تتلاشى ابتسامته، دوى الانفجار المروع، الذي انطلقت منه كرة هائلة من الطاقة احتوتها القبة الإشعاعية بصعوبة، لتسحق القرية بالكامل وتحولها في لحظات إلى ركام وغبار.

ولتنتهي اللعنة القديمة وأسطورة السادة.

الخاتمة

بعد أسبوع كامل من تلك الأحداث المروعة التي حدثت في تلك القرية المنكوبة، والتي مُحيت من على خريطة الوجود لتصبح أثرًا بعد عين

وبعد أن تلاشت طاقة تلك المجسات التي صنعت تلك القبة الإشعاعية، التي عزلت القرية قبل فنائها وبعد فنائها؛ استطاع الفريق المصري الأمريكي المشترك دخول تلك القرية، بعد أن حددت الأجهزة المتطورة الخاصة بقياس الإشعاعات، أن الانفجار لم تنتج عنه طاقة إشعاعية قد تسبب ضررًا على الكائنات الحية.

التأثير المباشر للانفجار، كان على أرض القرية الخصبة التي أحدثت وحذفت من خريطة الرقعة الزراعية في مصر.

وهذا كان أفدح أخطار الانفجار، ناهيك عن عشرات الآلاف من الضحايا الذين تبخروا في لحظات، مع ماشيتهم وحقولهم وأحلامهم.

التقرير الذي صدر عن وكالة ناسا، وكان تحت بند سري للغاية، يشمل عدة نقاط بالغة الأهمية، سنستعرضها معًا:

١ – الأرض كانت مسرحًا دمويًا لصراع بين فصيلين من المخلوقات الفضائية التي يغص بها الكون، أحد الفصيلين أراد حماية سكان الكوكب من هذا الصراع، والآخر كان ينوي الشر دون شك.

٢ – تلك الأحداث التي تمت في إحدى مدن القاهرة الكبرى، والتي نتجت عنها مجازر مروعة في أيام سابقة، كانت امتدادًا لتلك المعركة الشرسة.

٣ – تكنولوجيا القبة مازالت مجهولة، ويتمّ دراستها في معامل ناسا بالاشتراك مع فريق مصري خاص من العلماء.

٤ – أما عن بقايا الأطباق الطائرة المتصادمة، والتي يا للعجب لم ينتج عنها انفجار نووي أو إشعاعي، فهي أيضًا في معامل ناسا، لمحاولة سبر أغوار هذه التكنولوجيا المتطورة.

٥ – تم رصد انفجار محدود بداخل إحدى فجوات القمر المظلمة، والذي يرجح أنه نسف بوابة العبور المحدودة، التي أتت منها الأطباق الطائرة، لينتهي هذا الخطر مؤقتًا.

٦ – أما عن الإفصاح عن طبيعة مهمة هذه الكائنات فلا أحد يعرف حقًا. لقد تمّ عمل تعتيم إعلامي كامل عن الأمر بالتنسيق مع الحكومة المصرية.

لأنه لا يمكن أن تخبر الشعوب بما تجهله الحكومات ، وتم بث أخبار كاذبة بأن القرية تم تهجير سكانها لغرقها بالكامل في مجرى السيول ، ولم تكن القرية الأولى التي تغريق لتثير الجدل أو الفضول .

٧ – تمّ تمرير بعض المعلومات المفبركة للصحف، وتمّت التغطية على كل ما تمّ رصده وتناقله عبر الإنترنت من صور للأطباق الطائرة؛ بصور وأخبار كاذبة جعلت الخبر غير مصدق، وذاكرة الشعوب واهنة، ومع مرور الوقت سيُصبح الأمر أقل حماسًا لديهم.

خلاصة التقرير:

– إن الأرض معرضة للخطر أكثر من أي وقت مضى، من مخلوقات الفضاء التي لم تنقطع آثارها طوال تاريخ البشر، خاصة بعد أن تمّ تفعيل الكود صفر، وحدوث ذلك الاشتباك الحقيقي.

التوصيات المدنية:

١ – لابد من إعادة إنشاء وتفعيل برنامج حرب النجوم وتطويره.

٢ – الكشف عن تقنيات الصين الفضائية التي فاجأت الجميع.

٣ – لابد من وضع القمر تحت الملاحظة، والأفضل إنشاء قاعدة حربية دولية متكاملة هناك.

٤ – كما يجب الدعوة لتعاون عالمي على أعلى مستوى، لردع أي من هذه الهجمات الشرسة المحتملة.

٥ – وأخيرًا يجب إبعاد الرأي العام حاليًا عن متابعة مثل هذه الأمور شديدة الخطورة، بل ونشر تكذيب رسمي عن حقيقة الأطباق الطائرة، ليتمّ تجهيز الأرض وتهيأتها في سرية تامة. نقطة.

سري للغاية.

تمت بحمد الله

حقيقة الاطباق الطائرة

مقال حقيقي صادر عن (I ٢٤ news) الإخبارية، بتاريخ ١٧ أغسطس ٢٠١٣م، وتناقلته العديد من الصحف العالمية والعربية.

السي آي أيه تكشف سر موقع ارتبطت به روايات عن أطباق طائرة في نيفادا

الولايات المتحدة الامريكية ترفع السرية عن طائرة كان الجميع يعتقد في الماضي أنها صحن طائر قادم من كوكب آخر.

كشفت وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية (سي آي أيه) أن الاطباق الطائرة التي كانت تظهر في سماء صحراء نيفادا، وتسببت في نسج روايات عن قطاع أطلق عليه اسم "المنطقة ٥١"، ليست في الواقع سوى طائرات تجسسية من طراز يو-٢ يجري اختبارها في هذه القاعدة السرية للغاية.

وكشفت هذه المعلومات في تقرير رسمي عن تاريخ برنامج "يو-٢" بين ١٩٥٤ و١٩٧٤، حرره مؤرخان في السي آي أيه، ورُفعت السرية عنه مؤخرًا.

وقالت السي آي أيه في هذا التقرير إن "المنطقة ٥١" التي تمتد حوالى عشرين كيلو مترًا، اختيرت في ١٩٥٥ لتُستخدم مهبطًا لاختبار هذه الطائرات.

ومع بدء التجارب والتدريبات على الطائرة التي تُحلق على ارتفاع أكبر بكثير من الطائرات التجارية في تموز/يوليو ١٩٥٥؛ تزايد الحديث عن "ظهور أشياء طائرة غير معروفة"، كما قال معدو التقرير.

وأضافوا أن الطائرات التجارية كانت تُحلق على ارتفاع ثلاثة آلاف إلى ستة آلاف قدم. أما طائرات "اليو-٢" فكانت تُحلق على ارتفاع يزيد على عشرين ألف متر.

وتابعوا أن "المعلومات عن ظهور هذه الأشياء الطائرة كانت تأتي بشكل عام في المساء، من طيارين يقودون طائرات تجارية عادية في رحلات متوجهة من الشرق إلى الغرب".

وكانت الشمس تنعكس على جناحي طائرة اليو-٢ في ذلك الوقت، "مما يبدو لطيار الطائرة التجارية، التي كانت تحلق في مستوى أدنى وبفارق ١٢ ألف متر، وكأنه جسم ملتهب". والأمر ينطبق على الطائرة المتوقفة على الأرض.

وقالوا "في تلك الفترة لم يكن أحد يتصور أن طائرة يمكن أن تحلق على ارتفاع عشرين ألف متر، لذلك لم يكن أحد يتصور أن شيئًا ما كهذا يمكن أن يكون بهذا الارتفاع في السماء".

وأكدت السي آي أيه أن سرية الموقع لم تكن مرتبطة بكائنات قادمة من المريخ، بل بإخفاء طائرة تجسسية جديدة عن السوفييت.

وكانت طائرة الاستطلاع يو-٢ قد صُممت للاستطلاع فوق الأراضي السوفييتية على ارتفاع عالٍ، وأُبقي تطويرها سريًا.

صدر للمؤلف

- وبدأ الظلام – رواية
- حديث الموتى – مجموعة قصصية
- في مملكة الغيلان – رواية
- الملعون – رواية
- نصف حياة – رواية
- الشفق الأسود – رواية
- عزيف – رواية
- همسات – رواية
- أيام الرماد

للتواصل مع الكاتب

A_elmenofy@yahoo.com
https://www.facebook.com/a.elmenofy?ref=tn_tnmn



Noon_publishing@yahoo.com

ت-٠٢-٣٥٨٦٠٣٧٢ ٠١١-٢٧٧٧٢٠٠٧

UFO

الاستدعاء الاخير

الاف السنين من الانتظار بداخل سجن ذهبي رهيب لا فكاك منه
سجن من الذهب الخالص،سجن صنعه لهم جنود فرعون،
بالاستعانة ببعض الخونة من قاطني مجرتهم، سجن أزلي كئيب
مطلسم

وها هي الفرصة قد سنحت لهم أخيرا للانتقام ،فما ان تحضر
تلك الكائنات الطفيلية لهم مفاتيح القوة، حتى تحل تلك
الطلاسم وتتكسر التعويذة

في خلال هذه الفترة ليهدوا للبشرية هدية خاصة جدا هدية
تنموا، وتتطور في رحم تلك البشرية، التي يحرسها خادمهم
البشري المتحول ، وطفليه

الموضوع كله أيام، وربما ساعات، ويعود عهدهم من جديد
عهد السادة



